وقف وقف وقف ووقف

كتاب اليميني في

شرح أخبار السلطان السعيد الشهيد يمين
الدولة وأمين الملة محمود بن الأمير ناصر الدين
سبكتكين قدس الله روحهما وما جرى لهما من الحروب
والوقائع في بلاد الترك والإسلام من إنشاء
الإمام شمس الكفاة أبي المظفر محمد عبد الجبار
العتبي رحمة الله وإنما أثبت هذا الاسم له
على أخبار الدولة يمين الدولة لتقدير الله تعظيمه وكساه
ملأ الله رضوانه عليه

[illegible]

كتاب اليميني في شرح أخبار السلطان السعيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الظاهر باياته الباطن بذاته القريب برحمته البعيد
بعزته الكريم بالائه العظيم بكبريائه القادر
فلا دافع والقاهر فلا مانع والعزيز فلا يضام والمنيع
فلا يرام والمليك الذي له الاقضية والاحكام الذي
تفرد بالبقاء وتوحد بالعز والسناء واستاثر
بمحاسن الاسماء ودل على قدرته بخلق الارض
والسماء كان ولا مكان ولا زمان ولا نبات ولا
ولا ملك ولا انسان فاوجد المعدوم ابداعا واحدث
ما لم يكن انشاء واختراعا جل وتعالى فيما خلق عن احتذاء
صورة واستدعاء مشورة واقتفاء رسم ومثال
وافتقار الى ظهير وناصر واستدلال في كل ما ابدع
وصنع وفطر وقدر دليل على انه الواحد بلا
شريك ووزير والقادر بلا ظهير ونصير والعالم بلا
تبصر وتذكر والحليم بلا تروية وتفكر والحي

فاذا انتبه رعته واذا هدا سلت عليه سيوف الاحلام
وحباه الله له من البسطة في العلم والحلم والهيبة بالاسم
والجسم والظفر باجناس الاعداء في وقايع تعز صبر
النفوس على امثالها وكادت الارض ان تمور من اهوالها
ما لم يسمع بمثله خبر لاحد من الملوك الاعاظم اساطير
الاولين ابديها التهويل والتطويل والتعجب والتعريب
دون الحقيقة التي يشهد بها العيان ويقوم عليها البيان
والبرهان فلو نشرت صحايف الدول الاسلامية وايام
الملل الحنيفية لكانت دولته غرة تلك الدول ومساعيه
فيها طراز تلك الحلل اذ لم يقتن احد من الملوك من مفاخر
المآثر وزهر المناقب والمفاخر ما اقتناه هو بنفسه
وابيه واثاره ومساعيه ولما حباه الله له كرائم الخلال
ووفاه طبع الجلال في معاني الكمال سياسة ارتق
بارد شير في زمانه والمنصور في سلطانه وهيبة خففت
لها اجنادب الليالي النابية وحذفت عليها عيون

الأراقم العادية وعدا لا صمم بين الضدين حتى النار با
الماء والف بين الذئاب الطلس والنقاد فهف الأنياب
شبا الأطراف والقرون صلابة الأجواف وكانت
ايامه مشغولة بنشر السياسة عن نشر الدراسة ٥
وبفرض السيادة عن نقل الاستفادة ولطف الله تعالى ٥
بأولاد كالنجوم الزواهر بل البدور الخوادر بل السيوف
البواتر بل العقبان الكواسر من لم يرمق الألحاظ
أشخاصا نوازيهم فخامة وجلالا ووسامة وجمالا وسعادة
واقبالا وسماحة وأفضالا وعلوما وآدابا ولفظا وكتابة ٥
وحفظا وحسابا وأخلاقا مرة وعذابا فجمع الله له
تمام السعادة وقصر عليه أدوات السيادة وفضل الشيخ
الجليل شمس الكفاة أبا القاسم أحمد بن الحسن لوزارته
وتدبير أمور مملكته من ذخره الله لزمان صادف فترة
من أحوال الرجال بأبناء الفعال فلم يطبع مثله على
غراره ولم يصنع شرواه في مضماره سماحة شيم

الذي لا موقف بيده الخير وهو على كل شيء قدير رفع
السماء عبرة للنظار وعلة للظلم والأنوار وسببا للغيوث
والأمطار وحبوة للحقول والقفار ومعاشا ٥
للوحوش والأطيار ووضع الأرض مهادا للأبدان وقرارا
للحيوان وفراشا للجنوب والمضاجع وبساطا للمكاسب ٥
والمنافع وذلولا لطلاب بادية الرزق وأرباب البضائع ٥
وانتصب الجبال أوتادا راسية وأعلاما بادية وعيونا
جارية وأرحاما لأجنة الأعلاق حاوية وجعل البحار
مغايض لفضول الأنهار ومعابر لسيول الأمطار ٥
ومراكب لرفاق التجار ومضارب لصالح الأمصار
ومناهج الأوطار تحوي من الدر والمرجان نباتا وتنبع بين
اللج بين الملح الأجاج عذبا فراتا وتقذف للآكلين لحما
طريا وتحمل للابسين جوهرا وحليا واستخلف على عمارة
عالمه من انتخبهم من خلقه وأيدهم بإلهامه وذرعهم
بأوامره وأحكامه فكانوا أعلامهم من ملائكته حين

قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن
نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون ۝
وأقام عليهم منة من لدنه يمدهم الرشاد ويحذرهم الفسا
ويرجيهم الثواب وينذرهم العقاب ولم يقتصر على ما
أقامه به من الحجة وأوضحه من المحجة حتى ابتعث
الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين بالمعجزات الباهرة والدلا لات
الزاهرة والبينات المتظاهرة داعين الى توحيده ۝
ونادبين لتسبيحه وتمجيده فأزاح بهم العلة وازال الشبهة
وأفاد سكون النفس ونفي خلاج الشكوك ولم يزل
يستحدث من يشاء من خليقته موسومين بسنن الاسماء
ومثل من قام بعدهم على مناهجهم من الولاة والامراء
حتى انتهت نوبة الخلق الى زمن النبي المصطفى والأمين
المجتبى الابطحي المرتضى صلى الله عليه وعلى آله فأرسله
بالحق بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا
وجعل أمته به افضل الامم وكلمتهم اعدل الكلم وملتهم

أوسط الملل وقبلتهم أسد القبل وسنتهم أقوم
السنن وكتابهم أشرف الكتب ووعدهم أن يكونوا يوم
العدل والقضاء للفصل شهداء على من يظهر الجحود وينكر
الواحد المعبود قال الله تعالى جده وهو أحكم الحاكمين
وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس
ويكون الرسول عليكم شهيدا فنسخت بشريعته
الشرائع وبصبغته الصنائع وبدليله الدلائل وببدره الا
قمار والأهلة ولتشرف بنوته مسداة بالخلاص ملحمة
بالاخلاص مكللة بالتمام مطرزة بالدوام على تعاقب الليالي
والايام لم يفرط فيها من شيء يقتضي تماما ويستدعي دوامه
وإحكاما قال الله تعالى جده اليوم أكملت لكم دينكم
وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فاطلق
على الدين لفظ الكمال لاستقامته على غاية الاعتدال
وانتفائه عن عوارض النقص والاختلال الى ان قبضه الله
جل ذكره اليه مشكور السعي والأثر ممدوح النظر والفكر

مرضي السمع والبصر محمود العيان والخبر واستخلف
في أمته الثقلين اللذين يحميان الأقدام أن تزل والأ
حلام أن تضل والقلوب أن تمرض والشكوك أن
تعترض فمن تمسك بهما فقد أمن العثار وربح التجارة ومن
صدف عنهما فقد أساء الاختيار وركب الخسار وازدف
الأدبار أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت
تجارتهم وما كانوا مهتدين فصلى الله عليه وعلى آله
ما انسلخ الليل عن النهار واقترن العز بأطراف الرماح
ونادى المنادي حي على الفلاح صلاة تكافي حسن بلائه
وتضاهي سابق غنائه وتقضي فرض طاعته وتقتضي فرض
شفاعته وسلم تسليما وبعد فإن الدين والملك توأم
فالدين أس والملك حارس وما لا حارس له فضائع وما لا
أس له فمهدوم والسلطان ظل الله في أرضه وخليفته حجته
خلقه وأمينه على رعاياه حقه به تتم السياسة وعليه بسم
الخاصة والعامة وهو بهيبته ترتدع الحوادث والفتن

وبإبانته تحسم المخاوف والمحن ولولاه لاختل النظام و
تساوى الخاص والعام وشمل الهرج والمرج وعم الاضطرا
ب والهيج واشرأبت النفوس بآمالها في طباعها من البغي ○
والتباين والتفاضل والتنابر حتى يشغلهم ذلك عما يصلحهم
معاشا ومعادا أو يفنيهم أو يرديهم يوما وغدا وإلى هذا المعنى
يلتفت قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما يزع السلطان
أكثر مما يزع القرآن إذ كان أكثر الناس يرون ظاهر البسا
ساف فيردعهم خوف المعاقبة وحذار المؤاخذة عن سنن
الجد والعدول عن السمت المقتصد ومن لنا بمن يستقري
آي كتاب الله بعمره ويتدبرها بعقله ويجعل لنفسه منها
زماما يهديه إلى الأصلح وينهيه عن الأقبح فيكون مؤدب
نفسه ومقوم ذاته ورائض أخلاقه وعاداته ومعنى حديث
عمر رضي الله عنه منتزع من قوله عز وعلا لأنتم أشد
رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون ○
فموضع السيف للعامة وموضع القرآن للخاصة وإن كان

الجميع في معانيه مشتركا وبأوامره ونواهيه مرتبطا
غير ان العامي بين السيف فبين بدع والخاصي بين الخلف فيلمع
وشتان ما بين مدبر ومسخر لغيره ومودب ومهذب
بنود ربه وقد كان يختلج في صدري معنى قوله لقد أرسلنا
رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس
بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ٥
وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز جمعه
بين الكتاب والميزان والحديد على تنافر ظاهرها من المنا
سبة وبعدها قبل الروية والاستنباط عن جوار المشاكلة
والمجانسة وسألت عنه عدة من أعيان العلماء بالتفسير
والمشهورين من بينهم بالتذكير فلما أحصل منهم على
جواب يزيح العلة ويشفي الصدر وينقع الغلة حتى أعملت
التفكر وأنعمت التدبر فوجدت الكتاب قانون الشريعة
ودستور الأحكام الدينية يبين سبل المراشد و
يفصل جمل الفرائض ويتضمن مصالح الأبدان والنفوس

٦ وتضمن جوامع الأحكام والحدود وقد حظر فيه
التعادي والتظالم ورفض التباغي والتخاصم وأمر بالتعادل
والتناصف في أقسام المخرج جوالهم بين رجع السماء و
صدع الأرض ليكون ما يصل منها إلى أهل الخطاب بحسب
الاستحقاق بالتكسب دون التغلب والتوثب واحتا
جوا في أسداء متوجهاتهم بأقواتهم مع النصفة إلى المندوب
لأبيها إلى استعمال آلة العدل يقع بها التعامل ويعم
معها التساوي والتعادل فألهمهم الله اتخاذ الآلة
التي هي الميزان فيما يأخذونه ويعطونه لئلا يتظالموا لمجا
لفته فتهنا لكوا به إذ لم يكن يبسط لهم عيش مع تسوغ
ظلم البعض منهم للبعض ويدل على هذا المعنى قوله جل
ذكره والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا في
الميزان وأقيموا الوزن بالقسط وذلك أنه تعالى جعل
السماء علة للأرزاق والأقوات من أنواع الحبوب والثما
فكان ما يخرج منها من أغذية العباد ومواقع حبوتهم

مضطرا الى ان يكون اقسامه بتمم على الانصاف د
ون للخراف ولم يكن تم ذلك الا بهذه الالة المذكورة
فنبه الله تعالى على موقع الفائدة فيه والعائدة به بتكريره
ذكره فكان ما تقدم ذكره معنى الكتاب والميزان ثم
انه من المعلوم ان الكتاب الجامع للاوامر الالهية و
الالة الموضوعة للتعامل بالسوية انما يحفظ العام
على اتباعهما ويضطر العالم الى التزام احكامهما بالسيف
الذي هو حجة الله تعالى على من جحد وعند ونزع عن
صفقة الجماعة اليد وهو بارق سطوته وشهاب
نقمته وجذوة عقابه وعذبة عذابه فهذا السيف
هو الحديد الذي وصفه الله بالباس الشديد فجمع
بالقول الوجيز معاني كثيرة الشعوب متدانية الجنوب
محكمة المطالع مقومة المبادي والمقاطع فظهر
بهذا التأويل معنى الاية وبان ان السلطان خليفة الله
على خلقه وامينه على رعاية حقه بما قلده الله من سيفه

ومكن له في ارضه واحق الولاة بان يكون شريفا بينهما
وعند الله تعالى كريما وجيها من كانت عنايته بنصرة
الدين وحمايته بيضة الاسلام والمسلمين اوفر واوفى
ومجاهدته لاعداء الله المارقين عن شرايعه المارقين
دون حدوده وقرابينه بنفسه وماله ورهطه ورجاله
اشرح للصدور واشفى وقد علم ابناء البدو والحضر وابناء
المدر والوبر من حيث مد الصباح جناحيه الى ان
ضمهما للوقوع في افق الغرب ان راية الاسلام لم تظل
على سلطان احسن دينا واصدق يقينا واوسع علما واوفر
حلما واسد سيرة واخلص سريرة واتم وفاء واعم
سخاء واوفر حباء واغنى غناء واعظم قدرا وافخم ذكرا
وامد باعا واشد امتناعا واجل جلالة واكمل عدالة
وارفع ملكا وسلطانا واطوع انصارا واعوانا واروع
سيفا وسنانا واحمى للاسلام وذويه وانفى للشرك و
منتحليه واعدى للباطل ومزيليه اثباتا ووراثه

وطاعا واستفادة من الأمير السيد الملك المؤيد يمين الدولة
وأمين الملة أبي القسم محمود بن ناصر الدين أبي منصور سبكتكين
تغمده الله بغفرانه ملك الشرق وحبيبه والصدر من
العالم وبدنه لانتظام الأقليم الرابع لما يليه من ثالث الا
قاليم وخامسها في حوزة ملكه وحصول ممالكها
الفسيحة وولايتها الطويلة العريضة في قبضة
ملكه ومصير أمرائها وذوي الألقاب الملوكية من
عظمائها تحت حمايته وجبايته واستذرائهم من آفات
الزمان بظل ولايته ورعايته واذعان ملوك الأرض
بعدهم لعزته وارتياعهم من قابض هيبته واحتراسهم
على تنائي الديار وتحاجز الانجاد والاغوار من فاتح
دكفته واستخفاء الهند والروم تحت جنوبها عند ذكره
واقشعرارهم لمهب الرياح من أرضه وقد كان رحمه
الله منذ لفظه المهد وجفاه الرضاع وانحلت عن لسانه
عقدة الكلام واستغنى بالاشارة عن الافهام مشغول

اللسان بالذكر والقرآن مشغوف النفس بالسيف والسنان
ممدود الهمة الى معالي الأمور معقود الامنية بسياسة
الجمهور لفتنة مع الاتراب جد وجده مستبد بالم لما يعلم
حتى يقتله علما وخبرا ويحذر لما يحذر حتى يدمنه مرا
وفسرا وكان الامير الماضي ابو منصور سبكتكين انار
الله برهانه يرى الدنيا بعينه ويسمع باذنه وينطق
بلسانه ويستحلي مذاق العيش به ويستطيب روح الهواء
بقربه ويستفتح مغالق الامور بيمنه ويستنجح عواقب
الخطوب باسمه ولم يزل يترشحه ويرشحه الى ان استنزلته
رويه البلوغ وبصيرة الادراك عن حجره ولم ينفك يتدرج
بين الطائفة وكراماته وولاياته واقطاعاته من رتبة
الى أخرى أعلى منها مكانا وأرفع شأنا الى قيادة الجيوش
والعساكر بخراسان وهي الرتبة التي طالما تناحر
عليها كباش الرجال وقروم الابطال فلم يحظ بها الا
العدد اليسير الذين سار ذكرهم في الآفاق وتسامع

بهم رجالات خراسان والعراق سناء وقدرا ودهاء ونداء
وسماحة وحشمة ونباهة ونعمة هذا على طراوة سنه ونضارة
غصنه وعنفوان أمره وريعان شبابه وغمره فقد
قاد الجيوش لخمس عشرة حجة ولداته إذ ذاك في الأشغال
فعدت بهم هاتهم وسمت به همم الملوك وسورة الأبطال
وهلم جرا الى أن ملك خراسان بأسرها والسنان
عن آخرها وبلاد نيمروز بحذافيرها وجبال غور على حصا
نتها ودوخ السند فاستباحها وغزا الملتان فاجتاحها
وتوغل الهند عودا على بدء فنكا جراحها وأذل لقاحها
وجاس مغانيها وزاد عمها وافتتح صياصيها وقلاعها وأ
قام عن بيوت الأصنام مساجد الإسلام وعن مشاهد الهنا ن
معاهد التوحيد والإيمان فصادف الأطفال تمد في بطا
لاتها بأقدامه وتفرع بأقيال الوثنية وأعلامه فظل
إنذا بالهم وحبالهم وحماتهم كما قال أشجع السلمي
وعلى عدو ابن عم محمد رصدان ضوء الصبح والإظلام

ورجاحة كرم وسماحة كف وفصاحة قلم وهمة يبنى الدنيا
هباء بين أخواتها الثابرة بل نقطة موهومة من نقط
الدائرة وغدت سدته مثابا للفضل وأهله وسوقا
للأدب ومنتحليه يجلب إليه بضاعات الفضائل بين
منظوم ومنثور ومختوم ومنشور وقد صنف طبقات
الأدباء والكتاب تصانيف في ذكر آبائهم وتصاريف
أحوال الزمان بهم بحسب قوتهم في البيان وسهمتهم
من بلاغة الخاطر والبنان حتى أن أبا إسحق إبرهيم بن هلال
الصابي عمل كتابه المعروف بالتاجي في أخبار الديلم
موشى بحبر ألفاظه الساحرة ومغشى بحلل معانيه
الزاهرة لحل عقد البيان بما قصده وبيض وجه
البلاغة بما سوده وأن يكن دولة تقتضي إثبات محاسنها
بالتخليد وتقييد مآثرها للناشد فهذه هي التي تقتضي الأحبار
أن تخلد وأن يبقى من معاليها كلامهم ويكلوا بتحبير مسا
عيها أقلامهم ولو أدركها الماضون من أرباب

التصانيف لودوا لو كانت ألفاظهم عن غيرها معزولة
والى ذكر محاسنها منقولة ولحدثتهم انفسهم بأن يعتذروا
اعتذار ابي نواس بقوله

اذا نحن اثنينا عليك بصالح فأنت كما نثني وفوق الذي نثني
وأن جرت الالفاظ يوما بمدحة لغيرك انسانا فانت الذي نعني

وقد كنت اقدر ان بعض الصنائع هذه الدوله ممن له
حظ في الصناعة وتوجه في طرق البلاغة ينتدب
لتقييد اخبارها وجمع كتاب في تصاريف احوالها
واطوارها لما قام الامير ناصر الدين انار الله برهانه
اميرا الى ان اجلى ابا علي محمد بن محمد بن ابرهيم سيمجور
عن خراسان كسرا وحصله من بعد في يده اسيرا
وولى امورها سياسة وتدبيرا وما تقدم له انما ذلك كله
من الحالة الامير الرضي ابو القسم نوح بن منصور
رحمة الله عليه ونصرته واستعانته ما لطف اليه من دعوته
والمدافعة عن بيته وخطته واستيفاء ما فصل

عن ذوائب الترك من ولايته وكفهم عن غيبه
عن ذات الحجريه واستباحته ما اسلم عليهم من نعمته
محافظة على حقوق سلفه الاولى طالما صنعوا الصنا
يع وشيدوا العوارف والرغائب وأنفقوا الأموال
حتى كنزوا المحامد وعرفوا الحرمات اقدارها وحفظوا
على البيوتات أسنادها وقضوا النفوس المتقطعين
أوطانها الى ان ورث السلطان المؤيد يمين الدوله
مكانه خلفه في ترتيب الأمور وتدبير الجمهور وتألف
الأخوة والأقارب واستمالة القلوب ببذل الرغائب
الى ان استقل به سرير الملك مطاعا وساد
ولاة الأطراف الى نعتيه سراعا فوجدتهم قد عولوا في
معانيها على ما سار في اكناف الحضرة من الاشعار الفارسية
لازدحام شعراها على بابه الرفيع تقصيرا بهم الى قلة
صبرها بما في ديباجة الرودكي وصنعة المشرقي والدقيقي
ولعمري انها كافية شافية ومن وراء الاشباع والاقناع

أنّه ولّد شهادة وإنّ خراسان لا تعرف عن ديارها ار
تحالاً ولا تألف غير أقطارها مجالاً فاقتضاني حكم ما أسلفته
في هذا البيت الرفيع من خدمه وتعرفته أيام الأمير ناصر الدين
قدّس الله روحه من بركة اصطناعه ونعمه ان امتع أهل
العراق بجُناب في هذا الباب عن لي اللسان كأني أبيان
يحدونه سمراً على السهر وأنساً في المقام والسفر ٥
ويعرفون به عجائب آيات الله تعالى في تبديل الأيام وتقلب
الأمور من حال إلى حال مبتدئاً بذكر الأمير ناصر
الدين أكرم الله مآبه من حيث نشأت نبعته وتفرعت
دوحته إلى أن استعان به الأمير أبو القسم نوح بن ٥
منصور برّد الله مضجعه في تلافي دولته والإسلام له من
إلى علي بن سيمجور حين نزع يده من طاعته واستجره
بحقي مسلته عن دار إقامته لكفاية ما دهاه من أمره
وأثر من طائفة من الترك على جفوته وأطمعهم برسائله
ووسائله في نود ملكه وما جرى على يده من الفتوح

المأثورة والمقامات المشهورة ومتبعاً ذلك بلواحقه ٥
من وقائع السلطان يمين الدولة وأمين الملّة في الهند
والترك والخلج وما أتيح له من النصر والفلج وما يتصل
بها من أخباره وأخبار ولاة الأطراف في جواره والله
ولي المعونة على درك المنشود وإصابة الغرض المقصود
بمنّه ورحمته

ذكر أيام الأمير أبي منصور سبكتكين رحمه الله عليه وذكر أحواله

قد كان ذلك الأمير
قدّس الله روحه في جملته أبي النفس حمي الأنف جري القلب
قوي البطش كريم الخيم رضي التدبير كبير الهمة كثير الحلم
بسر ذلك في خصاله وخلاله ومتصرفات عزماته وأحواله
وحكى لي أبو الحسين جعفر بن محمد الخازن أنه كان ورد كلا
أيام الأمير السديد منصور بن نوح في جملة أبي إسحق بن
البتكين صاحب جيوش خراسان وهو إذ ذاك حاجبه
الكبير ووجهه الغزير وعليه مدار أموره وبيده مناظم
شؤونه وعرفه الذكاء أن الدولة بنشبها منه وغنايه وصرامته

ومضى لسبيله وتوسموا فيه الارتفاع الى اليفاع فحين صرف أبو
أسحق الى غزنة واليا عليها وسادّاً مسدّ أبيه بها أنصف فهو
بانصراف فيه على جملته في زعامة رجاله ومراعاة ما وراء ابيه فلم
يلبث ابو اسحق بعد معاودته اياها واستقراره بها الى ان قضى
نحبه وودع عمره ولم يبق من قرابته وبطانته من يصلح لمحله
ومكانته فاضطر العدد الدهم من مواليه وموالي ابيه الى من يتولى
زعامتهم ويتكفل عن الايالة خاصتهم وعامتهم فلم ينفكوا مختلفين
في الاختيار وساخطين عقب الاختيار الى أن اجتمعت كلمتهم
على أمير والتقت آراؤهم على الرضا بتدبيره والاذعان
لحكم تقديمه وتأخيره فمسحوه بأيمانهم طائعين وحالفوه
بأيمانهم متابعين فولى أمورهم برأي طيب وحزم عجيب
واهتمام شديد وقام بمصالحهم حميداً ولم يزل يركض بهم
في أطراف الهند غازياً مجاهداً أعداء الله الكفرة بها
ومفتتحاً قلاعها ومستلماً ذخائرها وزاحماً ومحكماً سيوفه
في أهلها مؤمناً من أسلم وشهد ونكالاً من أشرك وجحد

وجرت بينه وبين عساكر الهند حين غبوا بأمره وتظا
فروا على مدافعته واستنقاذ عادته حروب لبس فيها
جلد النمر وادّرث نارها تاريث المتذمّر وعضّ في معاناتها
على جذم الصبر وجافى الجبن عن الشجاعة وأبى النفس بالطو
والمخمصة وأنى تخذه مركب الحمية وحث أصحابه ورفقاه على
لذة الامنية أو راحة المنية كما أغناه عمرو بن الاطنابه
الانصاري بقوله

أبت لي عفتي وأبى بلائي ... وأخذي الحمد بالثمن الربيح
وإجشامي على المكروه نفسي ... وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت ... مكانك تحمدي أو تستريحي

وحكى لي أبو الحسن رحمه الله في عمار ما كان يذكره من
مواقفه ومقاماته وآثاره في العدو ونكاياته أنّ رأفتهم
في بعض وقائعهم نوكلي الوقائع ونحن في العدد اليسير
وهم في الجم الغفير وطالت بنا وبهم ممارسة الحروب
حتى أقوى الناس من الزاد وعجزوا عن الاختيار والاستمداد

ولم يكن أمامنا إلا السيوف القواضب وورانا إلا المهامه
والسباسب فصرخوا إلى بادهاهم وسألوني حملة السا
على ما عداهم فعرفتهم إلى كنت استصحبت الحاصلين على
سبيل الاستظهار صدراً من السوق وهو الآن قسمه
بيني وبينكم عدلاً سواء بالغاً ما بلغ من قدر الكفاية إلى أن يمن
الله تعالى بالفرج وكشف هذا الضيق والحرج وكنت
أخرج لهم أياماً عدة لكل واحد منهم أولاً أولى من بعدهم
آخراً فعاً صغيراً فيجتزي به طول النهار والليل ونحن
على ذلك معالجة المكروه ومكابدة المحذور وملاقاة السيوف
والسهام بنحر الوجوه والصدور إلى أن وهب الله النصر
وأهب الظفر وأحاق سوء العذاب بمن كفر فولوا
الأدبار بين قتيل مزمل وجريح مزمل وعفير مرهق
وأسير بالقد موثق وسمعته يذكر ذات يوم ما كان من حسن
تدبيره وتقديره عند اقتضاء الأمر إليه وانتصاب الإمارة
عليه وبزاحة حاله عن التوسع في الإنفاق والتحرق في

البذل والإطلاف وأنه كان كأحد رفقائه في الحال والما
واحتاج مع ذلك إلى أن يأخذ لمؤنة الزعامة عليهم من
نفقاته الراتبة وكان يدخر منها ما يفي نصيباً فيهم في الأ
دفعة أو دفعتين ولم يزل على هذه الجملة إلى أن اتسعت
حاله فزاده حسب الزيادة إلى أن استكمل أسباب الإمارة
وكان كما قيل نفس عصام سودت عصاما وعلمته الكر والإقدام
ولم يلبث أن اتسعت رقعة ولايته وعظم حجم جريدته
وعمرت أرض خزانته واشتقت النفوس من هيبته
وتعلقت الأطماع بمعونته وكان من أحدى فتوحه ناحية
بست وسبب ذلك أن بايتوز كان قد ملكها على طغان
أحد الأمراء وكان بها غصباً وأجلاه عنها جريداً فالتجأ
هو إلى الأمير ناصر الدين رحمه الله مستظهراً به ومستنجداً
إياه عليه بمال يضمنه ويلي برهنه وطاعة يبذلها وخدمة
بالنفس أو المال عند الحاجة يلتزمها فلبى نداه وحقق فضله
رجاه ونهض بعظم جيوشه حتى أناخ بباب بست

وبدر بأي تور إلى معسكره مستأ وسنا القتال كأشد ما يكون
نفحاً بالصفاح ومشقاً بالرماح وإثخاناً بالجراح فلما اضطرب
الفريقان والتقت حلقتا البطان حمل الأمير من قلب عسكره
حملة كشفتهم عن مقاماتهم واغصت شوارع البلد بهم وتدارك
عليهم الحملات من كل أوب حتى جلوا عنها مفلولين وتفرقوا
في متون الهضاب وبطون الأودية والشعاب مخذولين فاستشعر
طغان بها شاكراً إحسانه ومرجياً تحقق ما أوجب عليه
ضمانه وبذل به ذهنه ولسانه وهو يتمثل في ذلك بسنن
من وعد وإخلاف وبين تحرج بين وفاق وخلاف حتى إذا حان
حين الأداء طالبه الأمير بالوفاء وأغلظ له في الاقتضاء لما
رآه من فرط الإباء والالتواء وهما على صحراء غاصة بغلمانهما
وأتباعهما فحدته عجرفية الطبع بالمنع ولم يرض بالقول حتى
انتضى سيفه وضرب يد الأمير ضربة أوسعت جرحها فلما
عدم ضرب بيده إلى سيفه وهي تشخب دماً فقد منكبه بضربة
انفصلت له منه فطلبه بأخرى فحجز عنهما أخلاط الفريقين

بعضها بالبعض وأهاب الأمير إلى رفقائه وغلمان داره بطرد
الغواة وحطمهم وسيف تلك النواحي من سوادهم فلم يتلع النهار
إلا وليست له صافية وأطرافها عن ذوي الخلاف خالية وامتد
بأي تور وطغان إلى نواحي كرمان وسجستان ولم يعلم أحد منهما
بأن يلبث وراءه فضلاً عن أن يتمنى لقاءه وكان من جملة ما استفاد
الأمير من صفاء أبا الفتح علي بن محمد البستي الكاتب صاحب التجنيس
رحمه الله فإنه كان كاتباً لبأي تور فلما استمرت الكشفة
أعجبته صحبته فتخلف عنه ودل الأمير عليه فاستحضره ومناه
واعتمده لما كان قبل معتمداً له إذ كان محتاجاً إلى مثله في آلته
وكفايته ومعرفته وهدايته وحنكته ودرايته وحدثني أبو الفتح
رحمه الله قال لما استخلصني الأمير وأحلني محل الثقة إلا
من عنده في مهمات شأنه وأسرار ديوانه وكان بأي تور
بعد حياً وحساده يلوكون ألسنتهم بالقدح في والجرح
لموضع التهمة لي لما أشفقت لقرب العهد بالأخبار من أن
يعلق بقلبه شيء من تلك الأقوال ويتبطن عرض القبول بنفس

تلك النبال فحضرته ذات يوم وقلت ان همة مثلي من ارباب
هذه الصناعة لا ترتقي الى اكثر مما ارى الامير اهلا له من
اختصاصه واستخلاصه وتقريبه وترتيبه واختياره لمهمات
اسراره فبر اجدانة عمدي بخدمة من كنت به موسوما وا
هتمام الامير ببعض ما تقي من شغله بقتضاني ان استاذنه
في الاعتزال الى بعض اطراف مملكته ريثما يستعد له هذا الا
مر في نصابه فيكون ما آتيه من هذه الخدمة اسلم من التهمة
واقرب الى السداد وابعد من كيد الحساد فارتاح لما سمعه
واوقعه من الاحماد موقعه فاشار على بناحية الرخج وحكمني
في ارضها اتبوأ منها حيث اشاء الى ان ياتيني الاستدعا فتوجهت
نحوها فارغ البال رافع العيش والحال سليم اللسان
والقلب بعيد القديم من مخاصمات النمم قال وكنت اذ لحن
ذات ليلة وذلك في فصل الربيع اوم منزلا امامي فلما اصبحت
نزلت فصليت وسبحت ودعوت وقمت للركوب ففتح صباه
الشروق طرفي على قرية ذات منية محفوفة بالخضر معممة بالنور

١٥ والزهر وامامها ارض كانما مفروشة ببساط من الزبرجد مكلل
بالدر والمرجان مرصع بالعقيق والعقيان يتشعب بينها انهار
كبطون الحيات في صفاء الحيوة وقد فغمني من نسيم هوائها
عرف المسك السحيق والعنبر الفتيق فاستطبت المكان
وتصورت منه الجنان وفزعت الى كتاب ادب كنت استصحبه
لاخذ الفال على المقام او الارتحال ففتحت اول سطر من
الصفحة عن بيت شعر ه واذا انتهيت الى السلامة في مداك فلا
فقلت هذا والله الوحي الناطق والفال الصادق فقدمت
بعطف مبني اليها وعنيت ستة اشهر بها في انعم عيش وارخا
واهنا شرب وامراه الى ان اتاني كتاب الامير في استدعائي
الى حضرته بعجل وامل وترتيب وترحيب فمضيت اليه
وخطت بما حظيت به منها الى يومي هذا وكان اختياره ذلك
احد ما استدل به ذلك الامير على رايه ورزانته ودرجه به
الى محله ومكانته وصار من بعد يتبرك باقلامه منشور الاثار
عن حسامه ويلبس بعباراته وتتابع منحه ومقاماته وهلم

جبراً الى زمان السلطان يمين الدولة فقد كتب له عدة فتوح
الى أن زحزحه القضاء عن خدمته ونبذه الى ديار الترك عن
غير قصده وارادته فمات بها غريباً ولم يجد من مساعدة الز
مان نصيباً ولما استتب للأمير تلك النواحي واستوثقت على
شعار دعوته الأقاصي والأداني وصفت له أشرابها ودرت
عليه أخلافها استخلف عليها من اختاره من ثقاته وخواصه
وكانت بلاد قصدار قد وقعت من وراء بستة ومرد عليها
والتها لحصانة أطرافها ونواحيها وحزونة مصاعدها ومداريها
فظن أن بعد الشقة وحزونة المضرب وضيقة المدخل ٥
ووعورة المتغلغل مانعة من الدمور عليه وقاطعة دون
الوصول اليه فلم يرعه الا صبحة الغارة واحداق الخيول
به كالخط في الاستدارة قد طوى اليه تلك الطرق القاصية
والقلل العاسية المتناصية في ركضة لم ينل فيها جنبه قراراً
ولا عينه غراراً ولا خيله جماماً الا الماماً فهجم عليه في ربضه
بنفسه وصحبه فأخذه كما مثل

فأخذته أخذ المتصب شانه عجلان بشوى مما القوم نزل
فكان صباحه كما قيل ٥ اذ اخرس الفحل وسط الحجور وصاح الكلاب
وعق الولد ٥ ثم رأى ان يمن عليه ويرجع اليه ما كان
بيديه فأطلقه تطولاً وانعاماً واعاده الى مكانه احساناً
وامتناناً ووافقه على مال يحمله وآخر في كل سنة يحمله
فعرف باسمه تلك المنابر واشترك في العلم بحاله الوارد والصادر
والغائب والحاضر ولم يزل بعد ذلك يدارك الركض ٥
على أطراف الهند غازياً ومجاهداً حتى افتتح قلاعاً كانت مرتفعة
في جبالها مطيفة بأسوارها متسقة برجالها وحصلها كلها في
يده ونظم خرزاتها في سلك ملكه ولم يزل يتوغل تلك الحدود
حتى افتتح بلاداً لم يسكنها قبل الا كافر ولم يطأها للاسلام
خف ولا حافر وحبس على جبال الهند ما دهاه ممن يطرق
مسافة ملكه وينقص من أطرافه وولايته ويلصق الهون
والخسار بمن تمادى عن حوزته أخذه الهم والغم وملكه
المزعج والمكمد ورأى الأرض نقضاً فنت عليه بما رحبت

فار بنفسه وعشيرته وأعان جيوشه وعساكره وما خف
من نبال قبلته يريد الانتقام منه بوطي عرصة الاسلام واستبا
حة حليته للحرام يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى
الله الا ان يتم نوره ولو كره المشركون ٥ وسار كما
هو حتى جاوز لمغان دانيا من ولاية الامير ذنو الواثق ٥
بطوله الساكن الى قوته وحوله وقد باض الشيطان في رأسه
وفرخ وشوى السوداء في دماغه وطبخ فهو بطن الظنون
وبعد حساب الحسبان ما لا يكون ولما سمع الامير وروده
وتقلبه استعد لمناهضته وجمع أولياءه على محاجزته واستجا
ش من مطوعة الاسلام من وجب استجاشتهم لمناهضته
وكف بأسه ومعرته وبرز من غزنة متوجها نحوه وقا
صدا قصده بنية في الجهاد قوية وحمية للاسلام ابية وانفو
س الدولة وأمنى الملة كالليث الخادر والعقاب الكاسر
والموت الكاشر لا يؤم صنما الا أذله ولا يروم عقدا الا
حله ولا ينزح مسدا الا حطمه ولا يصاول قرنا الا اباح

دمه وتشبت الحرب بينهم اياما وليالي وأديرت عليهم كؤوس
الطعن والضرب ملأى حتى سكر الفريقان من سورة الطعن
وبقرب تلك المعارك مما يلي الكفار عقبة تعرف بعقبة غورك
يخفض عنها طرف العقاب ويعسكر دونها جيش السحاب ذات
ماء ومشارف ومثاني ومعاطف في بعض أوهادها شرعة
ماء كالشريعة الحنيفية في الطهارة لا يقبل قذرا ولا يحتمل
غثا ولا غثرا وان ألقي شيء من القاذورات فيه اكفهرت له
السماء واختلفت النكباء واظلمت الشواهق والأعماق وغصت
بالزمهرير الآفاق حتى يرى الموت الأحمر عيانا والعذاب
الأكبر حقيقة وبيانا فعندها أمر الامير رحمه الله بما
لمائها ضربا من النجاسات تعمدا فقامت القيامة على الكفرة
الفجرة وتوالت عليهم الصواعق والقوارع وأحاطت بهم
الرياح الزعازع ومدت السماء عليهم سرادق البرد والجمد
وأثارت عليهم زعازع الأعصار والقتر حتى عميت عليهم
المذاهب والمهارب وانسدت دونهم المساقي والمساور

فاستشعروا القنوط الهول والوهل وشهدوا بأن قد شاهدوا
الموت قبل الأجل وأرسل جيبال يطلب الصلح ويستكف الحرب
على مال يؤديه وحكم الأمير في قلاعه ومملكته لنفسه فهم الأمير
بإجابته الى ملتمسه اشفاقا على أوليائه والصواب عن له في
رأيه فنهى السلطان يمين الدولة أولئك الرسل لهوا وأبى
أن يكون فصل الحرب الا عنوة وقهرا حمية للاسلام والمسلمين
وثقة بالله رب العالمين فانصرفوا بما عرفوا من صورة
الحال وضيق المجال واضطر جيبال ما أعياه من الحيلة
في أمره الى أعادتهم في طلب الموافقة خاشعا والتماس الموادعة
طائعا ضارعا وكانت زبدة كلامه انكم قد عرفتم حمية الهند
واستهانتهم بالموت اذا طرقهم طارق محذور وحزبهم
حادث مكروه فان يكن امتناعكم عن الصلح طمعا في الغنيمة
والفيء والقبلة والسبي فما هو الا نصبر عزمهم متطلبين في
استهلاك الأموال وسمل الأعيان وعرض الفيلان على النيل
ومشي الرجال بعضهم الى بعض بأطراف الحراب وظباة السيوف

ثم شأنكم وما يبقى من جماد ورماد وموات ورفات فلما سمع
ذلك الأمير من كلامه واحس مصدوقة ما هم به عقد بأسه
من مرامه رأى حفظ الدين وأوليائه في موادعته وأسبغ اليه
عن ماله وعدته أرجح من تخليته وما اختاره من التقاطع بالسيوف
والتهافت في الوفود فوافق الأمير السيد لمس الدولة وأمين
الملة على نقد بدا الأرهاق عنه على ألف ألف درهم شاهية
وخمسين رأسا من الفيلة ضمنها نقدا وعلى عدة بلاد وقلاع
في سرة مملكته كان اشترطها عليه بتسليمها الى من يتسلمها
من جهته بعد أن يبعث اليه رهائن من عشيرته وأعزته
على الوفاء بما يضمنه والانجاز بما يبذله وقبض المال والفيلة
نقدا ووافقه على البلاد المذكورة وعدا وأرسل معه من يسلمه
وحاجته دليلين يعدلان به عن المتعسف ويقفان به على
القصد في المنصرف وبعث معه من ثقاته ليتسلم الأماكن
المشروطة منه فلما أوغل به المسير ورأى أنه قد خف
عنه الطلب واسترخى اللبب جدد خبث الضمير بالإخلال

وأدركه عجز الرأي في استئناف الخلاف واعتقل من
كان في صحبته بدلا عمن رهنهم من عشيرته وقدر ألا
مير أن الذي بلغه أرجاف يردفه خلاف وباطل ليس له حا
صل إلى أن تناصرت به الأنباء فبرح الخفاء وانكشف الغطاء
وعلم أن الله تعالى قد طبع على قلبه وحال بينه وبين رشده
ليحق به وبال أمره ويحق عليه مآل كفره وشحذ عزيمته لغزو
بلاده وتطهيرها عن خبث جنانه وإلحاده ونهض في الكماة
من غلمانه والحماة من رفقائه وأعوانه متوكلا على الله وحده
ومستنجزا في النصر وعده وسار حتى اقتحم بهم ديار الهند
فلم يبرز له بارز من أعوان جيبال وجيوشه إلا أوسعهم
طحنا واستلحمهم ضربا وطعنا وقصد لمغان وهي كورة
بحصانة الأطراف وغزارة الأخلاف مشهورة فافتتحها
عنوة وأقذاراً وأضرم بعضها على الكفار نارا وهدم بيوت الأ
صنام وأقام فيها شعار الإسلام ومضى عنها قدما يفتتح البلاد
ويقتل الأنجاس الأوغاد حتى أذل المشركين وشفى صدور

١٩
قوم مؤمنين ولما أربى على الغاية في النكاية وأوفى على قدر الإمكان
في الإثخان وبردت يده وأيدي أوليائه بما يغمر العد والحد
من كرائم الأموال وغرائب تلك البلاد عطف الأعنة
وراءه حميد الظفر كريم الورد والصدر وتطايرت كتبه
في الآفاق بذكر ما فتح الله للإسلام على يده فاشترك الناس
خاصة وعامة في الارتياح له والاستبشار لموقعه والشكر
لله على ما أتاحه فيه من صنعه ولما رأى جيبال ما قد
هاله جزاء ما نقضه من عهده ونكثه من مرائر عقده
ورأى وجوه رجاله جزر السيوف القواطع وطعم النسور
والخوامع سقط في يده وفت في عضده ونالت منه الندامة
وقامت عليه القيامة وبقي زمانا مبهوتا على حاله لا يعرف
الرأي في ظهر أدباره وفي وجه إقباله ثم جرته الأنفة
لاستئناف المناجزة طلبا للثأر وطمعا في الانتصار فصمت
ودبر وأقبل وأدبر ثم عزم وقدر ونادى فحشد وثار
في مائة ألف أو يزيدون فبلغ الأمير خبره فقابل إقباله

بالاستقبال وحرض المومنين على القتال وسار بقلب منشرح
وامل منفسح حتى اذا انتاشت الخطى بين الفريقين فرع الامير
ثنية مشرفة على سواد الكفرة فاذا النمل منثورا والجراد
مبثوثا فراع منهم ما يروع الذباب من سواد الغنم والليوث
الجياع من هوادي النعم وحث اولياء الله تعالى على الكفرة
الغلف فاجابوا سراعا بقلوب محشوة بالدين مملوة من صدق
اليقين وتقدم اليهم بان يثبتوا بوا الحملات بينهم في كل
حملة خمس مايه غلام بالدبابيس الحاطمة والقرانكفات
الهاشمة حتى اذا ابلوا عذرهم في الجهاد خلفهم من اضرابهم
من ينوب عنهم منابهم رضا وهضا وطعنا وطحنا ففعلوا ما أمر
واحتذوا ما رسم فلم يبذل هذه حالهم حتى استغاث الملا
من حر الوطيس ووقع الدبابيس وهموا بان يجعلوها
حملة تزحزح الاقدام وتقلع الجيش اللهام فعندها تداعت
الصفوف وعزلت العوامل الا السيوف واختلفت الضربات
من واحدة تقط الهام واخرى تقد الاجسام وثارت عجاجة

عنوا استترت العيون عن الاشباح فلم يعرف الصفاح من الرماح
ولا الرجال من الاقيال ولا الابرار من الفجار ثم انجلت
عن هزيمة الانجاس والارجاس واسلمتهم عددهم وعتاد
هم واسلحتهم واولادهم وفيلتهم وكراعهم وقد غصت
البيداء بجيف قتلاهم بين جريح لحد الحسام وطريح من هول
ذلك المقام سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة
الله تبديلا ولوت الهنود بعد ذلك اذنابها على رؤوسها ورضوا
بان يسلموا من جمر الطلب في اقاصي ديارهم وصفت تلك
النواحي لذلك الامير ودرت عليه اخلاف الاموال وانحلت
له عقد الجبايات وحصل له من وجوه الغنايم وغيرها
طما داسر من الفيلة الحربية وكثف سواد جيوشه ودانت له
الافغانية والخلج ممن شاء استنار منهم الالاف في خدمته
وامتهان الارواح والنفوس في نصرته والقيام بفروض طاعته
وعند ذلك اوجب اغاثة الامير ابي القسم نوح بن منصور
والي خراسان واعانته على جيوش الترك الذين احتوه عن

دار مملكته بخارا وزحزحوه عن وطنه بها حتى فرّق دهاهم
واضطرهم الى الانهزام ورآهم كرّة لم ينبسط له غيره من
أولياء تلك الدولة وأبناء تلك النعمة لاجرم ان الله جازله
جماله وذكره وقصر عليه سناءه وقدره وجعل كدحه سببا
لاتساق الملك الى ولده وتوطئة لبقاء العز في عقبه وذلك
فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ٥ ٥٥

ذكر الأسباب التي أهاجت الترك في ولاية الامير
ابي القسم نوح بن منصور وتوسط مملكته واجلائه
عن بيته ووطنه

قد كان انتقل الملك اليه سنة خمس وستين وثلثمائه واجتمع
اولياؤه وحشمه على بيعته بعد أموال عظيمة اطلقت وعين
نباب فرقت حتى تبدد شمل الأموال التي كان وزراء السامانية
من قبل يجدّون لها ويدأبون في جمعها كابي الفضل البلعمي وابي جعفر
العتبي ومن كان ينتصب منتصبهما في الوزارة وتدبير أمور
المملكة وكان محمد بن ابرهيم بن سيمجور اذ ذاك

صاحب الجيش بنيسابور فتلطف له في الرضا به وعقد البيعة
له على صغره وحداثة سنه وضوعفت له الصلات المطلقة
لأمثاله من أركان الدولة حتى لانت عريكته ونمت بشعبه وفو
ضت الوزارة الى ابي الحسين العتبي رحمه الله فقام على ميعة
شبابه بالأمر قيام الحدب الشفيق وكفله بنا صحته كفالة
المؤيد بالنصر والتوفيق حتى استقامت بحسن تدبيره الأمور
وانشرحت الصدور وانسدت الثغور واستطارت
هيبة تلك الدولة شرقا وغربا وقربا وبعدا وكان الأمير عضد
الدولة وتاج الملة على جلالة قدره ونباهة ذكره ومناعة
جانبه وخشونة حده يتوخى رضاه فيما يحتكم عليه من
المطالب التي تختص بولايته وربما أخذته العزة واللجاج
فيذكّر ما رآه من الأدواء المعضلة التي تخص والامور
المستقبلة فتسمح قرونته ويذل صعبه وحزونته وحدثني احمد
الخوارزمي وكان من جملة حاشيته منذ يحمل رسوم كل عام
الى بيت الله الحرام وبمجاورته وسكان مدينة الرسول صلى الله

عليه وسلم ونقوشهما فيهم ووضعها مواضعها منهم قال دخلت
اليه ذات يوم مصدري عن خراسان فسألني على رسمه عن حال
ذلك الشيخ في سلامته واستقامة الأمور في ضمن كفالته
ثم قال هات ما استدعاه واعرض ما بدا له فعرضت تذكرة
كان سلمها الي تشتمل على تفصيل ما رسم لي حمله من دار
العراق وفي جملتها ألف ثوب مستعملة مطرزة الأطراز
باسم الأمير السيد الملك المؤيد المنصور ولي النعم أبي القسم
نوح بن منصور ولي أمير المؤمنين وخمسمائة ثوب مطرزة
بالشيخ السيد أبي الحسين عبيد الله بن أحمد ومثلها مغلة
عن الحاجب الجليل أبي العباس تاش فلما تأمل النسخة
دخلته نخوة الملك وملكته حمية العز وطار به الغضب كل
مطار فألقى الي في الجواب أن ابن العتبي لو اغتنم سلامة
ما بيده وسيعود بالتشريف منه لكان أولى به وأعود عليه
وعلى صاحبه مما يسوقني بسد الأحكام وأمثاله غمراتي أجل
سواحل جيحون قبل عودك منه وجمعك مرابط للجحافل ومراكز

للقنا والقنابل فخرجت من مكاني محاذر القوى خوفا من سطوته
وباسه وأخذت أجر رجلي على الأرض تهيبا وارتياعا الى أن
اركبت على الرسم وانصرفت عن المناخ فلما أزف ارتحال
الحجيج أتاني رسوله فبادرت اليه وأحسنت خدمة ٥
المجلس بين يديه فزادني على المعهود بشرا خصيصا وبرا وترحيبا
وقال قد أمرنا في معنى التذكرة وما استدعاه ذلك الشيخ
كراهة لاستيحاشه وخلافا على خلاف وفاقه فليجتز
الفعل به ليوافق عودك فراغ الصناع منه وحصول المراد
به قال فاستعملت ذلك كله على الطرز المذكورة وحملتها
في صحبي الى بخارا مشفوعة بسابق ما رسم لي تحصيله ٥
وتحريره وقد أكثر الشعراء من أهل العصر في وصف محاسن
الشيخ أبي الحسين العتبي رحمه الله ولا سيما أبو طالب
المأموني فإنه سير في مدحه قصائد معدودة منها قوله من
قصيدة يمدحه بها ٥ ٥ ٥ ٥ ٥ ٥ ٥ ٥ ٥
هذي عزائم عتبي تفرق ما بين الجماجم والأعناق إن غضبا

ذو همة لو أعيت الأرض أن يرد فيه من صدره لم يسعها الأرض
اذا انتهى للنهى او للردى فلما أجرى به سحبا او حفلا لجبا
يبتني الصعد صعادا والندى يدي اذا انهلّ للمعروف او قطبا
وقوله فيه من اخرى شعر
كاس مصونة طلته الى السيف فيما ان يرى الغد مقنعا
يوردها عني عزم موتك محزم يخلي خلفه البيض طلعا
اذا امر النهي الجليل سبوغها هوت سجدا في الدارعين وركعا
يعود بها وجه الخلافة ابيضا بابيض من آل عتبة اروعا
ومن ذلك قول اللحام فيه
واعتب الدهر اذ عاتبته بفتى من آل عتبة نفاع وضرار
كانما جاره في كل نائبة جار الاراقم في ايام ذي قار
ومن ذلك قول ابي الحسن العلوي الرضي
كانما الدهر تاج وهو درته والملك والملك كف وهو خاتمه
والبر والبحر والاعلام اجمعها والخلق والفلك الدوار خادمه
وتقلد ابو العباس نائب الحجبة الكبيرة فولي امور الباب وزعامته

للحجاب والسفارة بين اولياء السلطان وحشمه في تنجز
حاجاتهم واستطلاق اطماعهم وعشريناتهم واستزادة مرا
تبهم وولاياتهم حتى تحققت النفوس بمحبته وتعلقت الآ
مال بعنايته وفتح ابو الحسين عليه ابواب الفوائد والا
صابات حتى كثر وفره وظهر امره واستفاض ذكره وكان
ابو العباس من جملة قيان ابي جعفر العتبي رحمه الله
طلب منه اهداه الى الامير السيد ابي صالح ايثارا له بتحفة
على نفسه لكيسه وذكائه ورضى شمائله وانابه فاستتم
ابو الحسين الصنيعة عنده بالرفع منه والتنويه به والاشالة
لضبعه وباعه وتدريجه الى المحل الذي توسمه في قوته واضطلا
عه وجرت امور ذلك الباب بتعاضدهما وتوافدهما على
اذهاب المصالح على احسن الوجوه هيبة وجمالا وهيبة
وجلالا ونفاذا للامور لينا وشمالا واستخلف ابو الحسين
فائق لطول خدمته كان للامير السديد وحظوته عنده
واختصاصه بعنايته واشتراكه في وصايته فكان يشركهما

في التدبير وصيانة هيبة السرير وافق أمر الجنن بخراسان
على أبي الحسن محمد بن إبراهيم فصدد كل منهم بحماية الملك سدادا
للثغور وسياسة للجمهور وحصرا لبواجم الشرور إلى أن بعث
أحمائها سفتق وحبوها تتحذف وكان من ذلك أمر سجستان
وسببه أن خلف بن أحمد كان استنصر الأمير السديد على
طاهر بن الحسين قريبه وخليفته على أعمالها بعد انصرافه
من حج بيت الله الحرام وذلك في شهور سنة أربع وخمسين
وثلاثمائة ليمكنه كان من الولاية واستظهاره بالمال والعدة
واستمالته قلوب الأجناد والرعايا من أهل تلك الخطة
فأحسن نصرته ومعونته وكفاه كلفته ومؤونته وأمده لمن
استمدهم من كماة الجيوش لرده إلى بيته وتقرير ملكه
في يده فانحاز طاهر حين أحس بالمدد وكثرة العدد إلى
اسفرار حتى قر خلف قراره ووضع عنه أصاره وصرف
عن طيش استغناء أعوانه وأنصاره ثم كر عليه كرة
أحلته عن داره وطرحته إلى بادغيس متنادي بشعاره

فعاود حضرة الأمير السديد مستصرخا إباه وضارعا إلى
غوثه فيما دهاه فأحسن لقياه وأكرم مثواه وأعاد تقوية
وإنجاده وكثف بالجيوش سواده ورده إلى سجستان ووافق
وصوله إليها مضي طاهر لسبيله وأصاب ابنه الحسين بصية
ووراثته في الخلاف مذهبه فحاصره خلف فيما مناصبا له
الحرب غاديا ورائحا ومماصعا ومماوجا حتى كثر القتلى
بين الفريقين وطالت يد الانتصاف على أصحاب الحسين فعمد
كتب لانحيازا متنصلا عن سمة الخلاف ومتلطفا للاستقالة
والاستعطاف مظهرا للطاعة في وفادة الحضرة ومباشرة
تراب الخدمة متى صادف أرجا من ضيق الخناق وفكاكا من
شدة الإرهاق وأحسن ذلك الأمير إجابته وقابل
بالقبول إنابته وسهل إلى ورود الحضرة سبيله وحقق
بالإحسان والإفضال تأميله واستمرت أمور سجستان
على خلف بن أحمد فطالت عليه أيامه وطارت فيها أوامره
وأحكامه وانبسط بالعزيمة باعه وتموجت بذخائره

الأموال ربائعه وقلاعه وانقطعت عن تجارا مواد خدمته
وطاعته واغنائه بمال موافقته ومقابلة حق الاصطناع
بواجبه وانضاف الى ذلك استهانته بالاوامر الصادرة
اليه في حثه على رشده ودعائه الى ما يجمع صلاح يومه وغده
فجرد عند ذلك الحسن بن طاهر لمناهضته في حرات
خراسان ومشاهير رجالها ومساعير ابطالها لحصره
في قلعة ارك وادارك عليه الحرب زمانا طويلا فلم تغن فتيلا
ولم يجد الى الافصاح سبيلا وجعل ابو الحسن العتبي يزيده عددا
الى عدد وصفدا الى صفد وكان من جملة القواد بها
كبانش وكباش واخوه الحسن بن ملك واضرابهم من
ابناء تلك الدولة ووجوه انسابها ورجوم سمائها فطال
هناك ثواهم لمناعة الحصار وحصانة سوره وشدة
اغلاقه وسدوده واعتياص الخندق المحيط به على الفارس
ان يعبره ركضا وعلى الراجل ان يقطعه خوضا ولا رصاد
خلف الباهم بفنون الحيل بقبل استنباتها بالظن والحسبان

وتقصر عن الارتقاء اليهم

امانا للبيات واطلاعا من مامون الجهات وقد فاجروا
الافاعي من افواه المجانيق والعرادات حتى يضطروا
بذلك الى الارتحال والتنقل في المضارب والمحال
ونصوا هناك سبع سنين على هذه الجملة حتى فنيت الرجال
ونزفت الاموال وذهبت الجرائب وعطبت المطايا
والركائب فكانت هذه من اوائل الوهن على تلك الدولة
ومن هنالك وهي العقد وانشق السلك وتراب الفتق واتسع
الخرق ولكل امرئ امد ولكل امد اجل ولكل ولاية
نهاية يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب ٥ وتداعى
اركان تلك الدولة مما بين هذه الحال لزوم صاحب
الجيش ابي الحسن مكانه من نيسابور كلا على صاحبه لا
يناهض خصما ولا يفتح سدا ولا يحسن ردا ولا
يفكر في مصالح الدولة بدا وتناضلوا بينهم ما كان الامير
السديد يضطغنه عليه لا لتوازيه بالمكان وجموده
عن نصرة السلطان وبنوا اراهم على صرفه والاستبدال

به وكتب اليه في الصرف وقلد ابو العباس تاش ما كان اليه
من الامر فلما ورد الرسول اليه وادى ما حمله على رؤس
الاشهاد ابى عليه الحمية خطة الهوان ولقنته الانفة
كلمة العصيان وطارت نعر الخلاف في راسه فادى
الامر انتكاثا لا على فرط قوته وباسه واعتزازا باولاده
واعضاده واستظهارا بجيوشه واجناده ثم بيّن الله
وخمّر الراى والتفكر فلم يرض بان يتناقل الالسنة ذكر
استصعابه على مشيخته في الدولة وتناهى مدته في الخدمة
وتصور ما يتبع الخلاف من ركوب المصاعب التى تسلب
النفوس جمامها والعيون منامها والاموال المذخورة
نظامها الى ما فيه من التعرض لمكروه النوائب والتحرك
لمحذور العواقب فراى ان قبول الضيم على السلامة من
لواحق الآفات اقرب الى الصواب وابعد من المعاب
فدعا الرسول واستقاله عثرة ما قاله وعرض صدق
الطاعة متشفعا بفرط الخضوع والضراعة وقال

انما انا نبعة غرسها السلطان بيده وسقاها بماء كرمه فله
المنة في استبقائها للاثمار واقتلاعها والقائها على النار
وصرفه على جملة الطاعة ولبس القلادة والبدار الحثيث
بجلّى اليه من ديار المملكة ويتلطف التسكين من كان يفتل
في ذروته من بنيه واوليائه بتسويله واغوائه فعل من
استشف بصيرته اسرار العواقب وانفق عمره في تجارب
النوائب ونهض الى جهستان منتظرا ما يستانف به امره
ويقدر عليه تدبيره الى ان رمى به في نحر خلف بن احمد
لاعضال دائه وتحمّس العساكر طول ايامها بقيائه فيا
الى سجستان وبلته من خلف مودة واسباب على الايام
موكدة فافتح الراى عليهم بالنزول للحسين بن طاهر
عن منصبه والانتقال الى غيره عن معاقله لينتسب هو وقد
كان قبل محدقا به من اولياء تلك الدولة الى الانصراف
عن جنابه بعلة الاسماح وظاهر النجاح فاذا كان وجهه
لدى الفئات اليه متضعفا منه ومتضاحما فيه فقبل

مشورته وقارف أركان الى حصار الطارف حتى دخلها أبو الحسن
بن سيمجور وصلى الجمعة بها مقيماً رسم الخطبة للأمير الرضي
وطالعه بذكر ما فتح الله على يده وسناه من رتاج ذلك الأمر بجده
وجهده ورتب الحشم بها أميرك وقرر أعمالها عليهم تقريره
وانصرف وراه وسنورد ما جرى في أمره من بعد في موضع
مثله ٥ ذكر حسام الدولة أبي العباس تاش وا
نتقال السلارية اليه ـــــ ثم سير أبو العباس
تاش من بخارا الى نيسابور على قيادة الجيوش وزعامة العسا
كر وتدبير القاصي والداني من أمور الممالك ووصل جناحه
بفائق الخاصة ونصر بن طغان الشرابي وبني طل على فخامة
أخطارهم وجلالة أقدارهم وسير تحت رايته أعيان
الأولياء والحشم بعد أن أزيحت علته فيما شاء واقترح من
الأموال والأسلحة والعتاد والعدة فوردها سنة أحدى و
سبعين وثلثمائة في آلة راعت الأبصار وهيبة أعجبت
النظار وجيوش تحف الجوانب والأقطار تدبر الأمور

بصرامته ونظم المنثور بفرط حزامته وتألف الجمهور بحسن
سياسته وزعامته ووافق تلك الأيام انقطاع شمس المعالي
قابوس بن وشمكير وفخر الدولة أبي الحسن علي بن بويه
الى نيسابور عن حرب بينهما وبين مؤيد الدولة بويه وسببها
أن عضد الدولة أبا شجاع كان قصد فخر الدولة وهو أخوه
لاجلائه عن ولايته التي كان أبوه ركن الدولة أوصى بها
له وعقد الوثيقة على كل منهما به على الجملة التي أشار اليها
أبو اسحق الصابي في كتابه المعروف بالتاجي ودبر ودس
الى عسكره من استمالهم عنه وأغراهم به فلما أحسه
وهو اذ ذاك بهمذان وتدانت الخطى بينهما خف معظم
جيوشه الى عضد الدولة مستأمنين وولوه أعقاب الغدر
هاربين فلما أنس خذلانهم اياه وكفرانهم نعماه وما
لأمن ما قدر أي بن عمه مختاراً كف قطع رحمه وأرق
دمه ظالعهم الى طريق الديلم هاماً على وجهه وناجياً
بحشاشة نفسه ومتقلباً بركوب شعابها المضطربة وأحاجها

الأسنة ما أخذه من مس الطلب وركض الأكراد والعرب
وتوغل تلك البلاد طاويا مسافتها إلى جرجان حتى ألم بشمس
المعالي قابوس بن وشمكير لاجئا إليه ومستأمنا إياه فآمنه
وآواه ومهد له ذراه وأعطاه فوق ما تمناه وأشركه فيما
ملكت يداه حتى جعل الملك وهو العلق الذي طالما ضنت
النفوس بابتذاله وقاية له دون من هم باغتياله وسعى
في استنفاد حاله وبيان ذلك أن عضد الدولة و
مويد الدولة أرسلا إليه يستزيدانه على شرط أموال
تحمل إليه وولايات عن نفسه تضاف إلى ما في يديه
وعلى مواثيق يستأنف في التعاقد على الصفاء والتعاون
حالتي السراء والضراء فرجع إليهما أن الرجاء رحم
والوفاء كرم وأن الأمان عنده حرمة لا يرى إخفارها
في دين المروة وشرط الحفاظ والفتوة وصاه
أوهمهما به أو كادا أن يأتي بيض المواضي وزرق الا
سنة والعوالي فأحفظهما هذا الجواب وحرضهما

على محاربته وانتزاع مملكته من يده وكتب أبو شجاع
إلى أخيه بمناهضته بعد أن أمده بما فوق الحاجة من مهم الرجال
ونفائس الأموال فبرز من الري متوجها نحو جرجان في جمو
ع الديلم والترك والعرب وسار إلى استراباذ متغلبا على ما
يرده من بلاد طبرستان إلى أن أناخ بها فكان شمس المعالي
قابوس بن وشمكير بادره إليها وجمع عسكره بها فلما تلاقيا تناو
شا الحرب من لدن طلوع الشمس إلى الزوال حتى احمر بساط
الأرض من دماء الأبطال ثم انجلت على عسكر الجيل كشفة
أعياهم ضبطها لزوال الأقدام من المقام فتفرقت جموعهم في
خمر الغياض والآجام وعطف شمس المعالي إلى بعض قلاعه
مشحونة بذخائر أمواله واستظهر عليها بالأهبة للغيبة وسار
نحو نيسابور فلما وردها لحق به فخر الدولة من طريق أسفرا
ئن فالتقيا هنالك واجتمع إليهما من فرقتهم الكشفة في الطرق
المختلفة من طبقات الرجال وكتبا إلى أبي القسم نوح بن منصو
ر إلى خراسان بحالهما في قصد دولته وأمل الانتعاش بعونه

ونصرته وافتكاك ما غصبا عليه من الولايات بعز دعوته
رد عليهما من الجواب الضامن للآمال ما انشرح ما شرح صدورهما
وشد بالنجح القريب ظهورهما وكتب الى ابي العباس تاش باجلال
محلهما واكبار قدرهما واكرام جوارهما وتقديم الاجتهاد
لردهما الى ديارهما ففعل ما رسم وتلقى بالامتثال ما حتم و
عطف اليهما اعنة الخيول من كل وجه حتى استظهر بحسب
الرجال وعزم على الارتحال ونهض من نيسابور قاصدا قصد
جرجان اذ كان مؤيد الدولة بويه بها للمنع ولا بد للامير
شمس المعالي اولا من يده ثم يتفرغ من التدبير فيه الى غيره
وعن له ان يستدرج قابقا على سمت قومس والري ليقطع الامداد
والمواد عنه ويلبس اخبار تلك الديار فيتنبه شغل قلبه بتوجه
الجيوش اليه من وجهين واخذ افنيته من جانبين فنهض
على السمت المذكور ثم بدا له فيما دبر وراى ان التجرد
للاستظهار على الوجه الواحد اصوب من الحزم والاحتيا
ط اقرب فاسترده من وجهه الى ارد وار فاجتمعا على التظاهر

والتعصب ارآهم على التناصر وسار حسام الدولة تاش في
تلك العساكر الى باب جرجان وفيهم شمس المعالي وفخر الدولة
حتى اناخوا بظاهرها وتحصن مؤيد الدولة بويه بها واتخذ
الخندق وتعمقه ومتحيز عوره ومدرج للبلد حصنا ودون
محفظة الرجال شحنها ومادهم الحرب حتى عبر شهران
كوم واحد مدا ومدة الكفاح وملازمة السلاح وضاق الطعام
في ربض جرجان حتى اغبا الديلم قوتهم الذي يحفظ على النبا
ت قوتهم فكانوا يتزاودون من نخالة الشعير المعجونة بالطين
وعهدي بهم يدرجون كيسهم الى اهاليهم بالذي اشباه الفرا
ريج منها شكوى للحال والهزال وكانت كاقراص البداد
في السواد وزحف الفريقان بعضهم البعض وكان فخر الدو
لة على الميسرة مقابلا لعلي بن كامة صاحب جيش مؤيد
الدولة فاظهر الغنا واحسن البلا وحمل عليه حملة
زحزحته عن مقامه كليا وطرحته الى الاستراباذ هزيما
ولو اعيب بمدد في الحال لفسح ضيق المجال وجعلها

أخيرة المقالب لمن القوم نافسوه مخذلوه لاجرم ان نوبة من
كتائب الديلم عطفت على من تشاغل بالنهب والاغارة من أوباش
الخراسانية فطفقوا عليهم حبالة الأسر ثم عرضوا عن آخرهم
على السيف وورد بعد ذلك على أبي العباس تاش أبو سعيد الشبيبي
في رجال من جنود خوارزم أبناء الشهامة والسهام وأقدح
للحروب فلم ينفعوا أنباطهم الا في مناقب الأشداق ومواضع
النفر والأحداق فأفنوا العور والقتل في الديلم يومهم ذلك
ولم يزل يقوم الحرب بينهم على ساقها متظاهرة وغبًّا فتنتصف
البعض فيها من البعض وكان أبو الفضل الهروي المنجم أشار
على مؤيد الدولة بمصابرتهم الى أن يبلغ المريخ درجة الهبوط
فيجعلها واحدة عليهم نحسًا أو نحسًا فاستتر ذلك في نفسه
واستعد لوقته فلما كان من يوم الأربعاء من شهر رمضان
سنة أحدى وستين وثلثمائة ثار بنفسه وعسكره وعسا
كره على اختلاف أجناسهم وكان أهل خراسان
يظنون أن حيث نهم ملك عارض ينقشع عن قريب على الرسم

فلما رأوها عيانًا ذكاءً وشاهدوها غمارًا ولبانًا أقبلوا عليها
مستطرين فاذا الأمر أدّ والخطب جدّ والجد بعد يد والبا
س شديد وبرز الديلم من وراء الخندق الى العدا محرجين
من جهد البلاء وضنك البؤس والأواء فاستعرت وقدة
الحرب ودارت رحا الطعن والضرب وتحدث الناس
بأن مؤيد الدولة قد خبث فابنا وأضرابه لما لحمله اليهم
سرًّا واطمعهم في أمثاله حيلة ومكرًا وأوطاهم على التخا
ذل في الحرب لليوم الموقت والأجل المضروب فلما حمل عسكر
الديلم من تعبيتهم ولوا أولئك أدبارهم نفورًا وثبت حسام
الدولة تاش وفخر الدولة في القلب يتضاربان بالسيوف
والقراعيات ويردان الحملات المتداركة بصدق الثبات
في الثبات الى أن الغت ذكابينها في كافر وقد انهزمت
الجيوش وتفرقت تلك الجموع بحذرة فخر الدولة فضل
المقام لتكاثر الأقبال من كل وجه عليه وتوجه الأطماع
من كل أوب عليه فانقلب اذ ذاك بوبيد المعسكر متساخفًا م

الفيل الذي كان حصن القلب في بعض تلك المخاضات واعجله حق الأمر
عن التوقف لأزعاجه وأخراجه فتركه على حاله وتجاوز بنفسه وترك
المعسكر شاغراً بما فيه من الأموال المعلمة والأسلحة المنضدة
والغلمان الحصارية والغلات المجموعة ومضى على حاله الى ان عاود
نيسابور فعلما بلاد وكتب الى بخارا بالخبر الوقعة وما حدث من
من الرجعة فعاد الجواب بتقوية الآمال ولمة الرجال وتهنئة
الأمداد والأموال وطير الصاحب كتبه في الأطراف بذكر
الفتح على ما ينطق به رسائله وأنشد البجلي إنشاداً عن نفسه
في مؤيد الدولة من قصيدة ٥ ٥ ٥

ماذا لغيرك في هيجاء وملحمة مذكورة آل ساسان وساسانا
قادت لمن بخارا أمنه فلقد غادرته عند نوم الناس يقظانا

والبجلي هذا مطبوع الشعر مسبوك النقد سديد البديهة شديد
العارضة فانقطع الى الأمير شمس المعالي بجرجان في آخر ايامه
فقرض له في جملة حاشيته الى ان قضى نحبه فمن شعره فيه
من قصيدة ٥ لله شمسان تذكر الخير هما وللزينة النقصان ملتزم

أدري بتلك سنا من غير معرفة فيما ورث هذا العلم والكرم
يا أيها الملك الميمون طائره وخير من في الورى لمنتجع قدم
كونت من قبل ترعانا وتكنفنا لا تهدي البنا الشيب والهرم
ووصف ابو الحسن الجوهري رحمه الله الفيل المقبوض عليه في
الحادث اللازب من قصيدة اولها

قل للوزير وقد تبدى يستعرض الكرم المعتدى
افنت اسباب العلى حتى أتت أن تستجدا
لو مس راحته السحاب لأمطرت كرماً ومجدا
لم يرض بالخيل التي سدت الى العلياء تسدا
وصوارم الرأي التي كانت على الأعداء جندا
حتى دعوت الى الغلى من لا يلام اذا تعدى
متهصاً به العلوج وفطنه أعيت معدا
متعسفاً طرق العوالي حيث لا تستام قصدا
فلا كرسوي حين يلبس من رقاق الغيم بردا
فيل الغمامة التي أكا نما وزعدا

راس كقلة شاهق كسيت من الحلاء جلدا
فتراه من فرط الدلال مصعر للناس خدا
وهي بخرطوم كمثل الصولجان يرد ردا
متمددا كالأفعوان لمده الرمضا مدا
أو كمترا قص بمنبر بوالي الدهقان وجدا
أو كالمصلب شد جثمانه الى جذع شدا
فكأنه بوق يحركه لينفخ فيه جدا
بسطوا بساطا من لجين فخطان الصخر هدا
أذناه مروحتان أسندتا الى العودين عقدا
عيناه غايتان ضيقتا لجمع الضوء عمدا
فلقد تقوه الخليج بلوك طول الدهر جهدا
تلقاه عن بعد فتحسبه غماما قد تبدى
متناكبان للنور يق ما يلاقي الدهر كدا
ودفا كدكة عنبر متمايل الأوراك نهدا
ذنبا كمثل السوط يضرب حوله ساقا وزندا

عطوا على أمثال أعمدة الخباء إذا تصدى
أو مثل أمثال نهدن من الصخور الصم نهدا
متوردا خوض المنية حيث لا يبغينا فوردا
متملكا فكأنه متطلب ما لا يؤدى
متلفعا بالكبرياء كأنه ملك مفدى
أدنى الى الشيء البعيد من ادمن وهم وأهدى
أذكى من الانسان حتى لو رأى خللا لسدا
لو انه ذو لهجة وفي كتاب الله سردا
عقته أرض الهند حتى حل من زهوه بهندا
قل للورى بعبدك حتى مد أباك الفيل عبدا
سبحان من جمع المحاسن عنده قربا وبعدا
لو مس أعطاف النجوم جرين في النزع سعدا
يا أيها الملك الذي أجدى وعلم كيف يجدى
ما بال عبدك لا يرى لفاخر النشر قصدا
برد الزمان ولينه مما يلاقي ما قد بردا

مدسدعق بلمم الاآحاشا أن تصدا ه ـــ ه ـــ

وهو نهر جرجان الذي جرت تلك الحروب على سواحله وهو

يتلوى في أرض جرجان تلوّي الحيات كثير الأوداء والعطفا

ومنابع عيونه جبال دنا وراءه تنصبّ العين حتى تملأ النهر

وتدهده الصخر نعم ه وواصل أبو الحسين الفتى كتبه الى ولاة

الأطراف بخراسان في استنهاضهم واستنفارهم لمنجد

بهم الامور ونجمع معهم ما ثم تتصل بهم ولمن يستنجده من

رجالات خراسان على رتق ذلك الخرق ورتق ذلك الفتق

ومحو سمة العجز واستعادة رونق الملك واقبل يستنفد للأ

الجهد ويواصل الكتب بجمل وعده وخلع الرضى عليه خلعة

جمع له بها بين تدبير الأقلام والقواضب وأضاف له الى بزة

الكتاب زي أرباب الكتائب فكانت خلعة خالعة لروحه

قاطعة لعمره خاتمة لأمره وذلك لأن أبا الحسن بن سيمجور

كان يشكو الى فائق ما دهاه من قصده اياه حين عزله عما

كان يليه وكاده في نفسه وحريمه ولم ينفك يرصده بالغوائل ويطلبه

بوجوه الأوتار والطوائل الى أن أشار فائق عليه بطائفة

من الغلمان السعدية كانوا أضرابهم في السفه والشغب

والتحكم في المطالب بفرط القوة والغلب ودسّ اليهم من

أغراهم بشفاه تحرّزها اليهم حتى تآمروا بينهم على

قتله وتجمعوا على الفتك به مغتنمين خلوة كان اعتمّ لحمى لداء

طاري عليه واحسّ أبو الحسين بما دبّر من الأمر واشفق على

نفسه مما استطار من شرر الشر فسعى الى الأمير الرضى

صورة الحال وما أرصد به من الأغتيال فبعث اليه بعدّة

من القواد ليوافقوه الى الدار اجادة له مما كان حشناه وصار

لروحه عما حاماه فتسامع طائفة من المشتركين في التدبير

عليه بخبره فطاروا بأجنحة الركض على أثره ووضعوا فيه

السيوف والدبابيس حتى أثخنوه ضربا وحطما ورضا وقصا

وأشفق من كان في مسايرته على أنفسهم فخذلوه وأفلوه

فكان كما قيل كلبة وجدته ضباع وأشرى بلحم أمرئ لم يشهد

اليوم ناصره وترك على الشارع صريعا مع دما وعندهم

انه قيل وأن ليس للحياة اليه سبيل ونقل كما هو الى باغ قريب
من مصرعه ليراعي ما يحدث من الرأي في غده فلما غشيه موج
الظلام وهب عليه رخاء السحر أن انه سمعها الباغبان
فبادر اليه فاذا به رمق باق ونفس مختنق فسعى الى دار
السلطان مخبرا بنبأ حياته واصطبر به على نفسه حتى أمر
به فنقل الى الهندز والزم الأطباء المثابرة عليه طمعا في
انتعاشه فاستصعب داؤه على الدواء وقضى الله على عمره با
لانقضاء فمضى لسبيله عظيم القدر والخطر كريم الورد والصدر
عديم المثل في سعة الرحل فقيد النظير في الفضل ولم يبرز في
كتب الأولين ان أحدا من الوزراء انبعثت همته لنشاط طوعه ومروته
على مثل ما نزعت عنه فضل أفضاله وقوته سماحته كالغيث يقذف بالوبل
أو الريح تعصف بالرمل وسياسة خفت لها [illegible] الليل
وغصت بها مشاعب السبل وأنشدني أبو جعفر الحاتي
البنيسي فيه بنفسه هي عليك أبا الحسن حينا ملك كل عين
جرعني غصص الهوى وأرتني يوم الحسن

وليعضهم فيه وقد زاره في جماعة من أصدقائه ــــ
مر على قبرك أخواننا وكلهم قد هالوا شانا
فلم يعودك على قولهم عز على العلياء فقدانكا
وقد كان حسام الدولة وشمس المعالي وفخر الدولة بنيسابور
على انتظار معونته واستفاضة ما أشار لهم في عدته فحدثني
أبو نصر العتبي خالي رحمه الله وكان على البريد بنيسابور قال
لي دعاني أبو العباس تاش أحد نهار يوم فلما وصلت اليه وجدت
الثلاثة متناظرين الآراء بينهم في معاودة الحرب واستئنافهم
معالجة الخطب مخاطرين بأنفسهم فيما تداولوه وسألوني
أن أنهي الى ذلك الشيخ صدق انتظارهم لمعونته واستعدا
دهم للبدار الى أمره وأقبل الى شمس المعالي من بينهم فقال
اكتب الى ذلك الصدر بأن الحرب لم تزل بين الرجال سجالا
وانها تستصعب مرة وتصحب أخرى والحازم من يستفتح
بالحرب باب الظفر والنجح يلف بين الجند والضجر وأضرب
له أبيات المتنبي مثلا ــــ

يرى الجبناء أن العجز حزم وتلك خديعة الطبع اللئيم
إذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر حقير كطعم الموت في أمر عظيم

فاستدلت بنو عبيد بقوله على فضله ورد عليهم بعقب ذلك
نعي أبي الحسين فأوسعهم وجوما ونثر عليهم من التدبير ما كان
منظوما وورد على أبي العباس تاش كتاب السلطان في استد
نائه إلى الباب ليتدارك ما اختل وتلافي ما انحل واعتل فاغتنم
السداد وسار حتى ورد بخارا فرتب تلك الأمور ونظم المنثور
وتبع الجناة على أبي الحسين فطبقهم بالقتل والتدمير وعمهم
بالنفي والتسيير واستوزر أبو الحسن المزني فتعلل بالدرب
ووجل في التقدم والتأخير لمنافثة الأعمال واستبداد
آخرين عليه بالإيراد والإصدار وقد كان أبو الحسن بن
سيمجور وانكفأ عن سجستان إلى خراسان من غير أمر
صدر إليه استبشارا بما نجوم الفتن وانتقاص الأعمال
بما بتراجع العسكر عن باب جرجان وتشوفا بالنفاق سوقه

فيما بينهما فكتب إليه أبو الحسن مقبحا فعله وناعيا إليه عقله
وسامه إلى يعدل إلى قهستان متدرعا وعن ملابسة الأعمال
متورعا وأن يسلم أبناء الدولة في جملته وتحت رايته إلى أبي علي
على أن يعاود سجستان فيكفي أمرها ويلم شعثها ويرأب
صدعها وجعل باذغيس وكنج رستاق برسمه على أن يزداد
في توليته وحباه متى عرف في الطاعة صدق نيته وعنايته
ولما استقر أبو العباس تاش ببخارا اغتنم أبو علي خلو خراسان
عنه وعن المناضلين دونه فراسل فائقا يريده على مخالفته
والجهاد بمنابذته وترك الرضى بمتابعته فوجده سمح القياد
لما يراد طوع الزمام إلى العناد واجتمعا على توكيد العقود
وإمرار المواثيق والعهود وبدأ أبو علي بمصادرة عمال
أبي العباس تاش بنيسابور ومطالبتهم بما كان تحت أيديهم
من أمواله وارتفاعات أعماله ثم نهضا إلى مرو وسدا دون
الولايات وحالا دون الأموال والارتفاعات حتى اضطر
إلى مناهضتهما ومكاشفتهما بما أهمه من أمرهما فاستفتح الخزائن

عن ذخائر الأموال ونفائس الأسلحة والأثقال وبرز
من بخارا إلى أعلى الشط فخيم على طرف الرمل وتردد السفراء
بين الفريقين على حفظ نظام الألفة واستبقاء جمال
الدولة وإخماد جمرات الفتنة فوقع الاتفاق على أن تكون نيسا
بور لتاش وبلخ لفائق وهراة لأبي علي وتفرق كل منهم على
رأس عمله وللخوارزمي في أبي علي وقد حصل هراة له

تهنا بالأمير هراة إذ قد علا عن أن ينازعه هواها
وكيف ينال الدنيا جميعا بأخيه من الدنيا أخوها

وانحدر أبو العباس تاش إلى مرو وقد كان قبل نهوضه من
بخارا توصل إلى عزل العتبي عن الوزارة بأبي محمد عبد الرحمن
الفارسي المتولي كان لأمور كتخدائية من قبله
إلى أبي علي وفائق وأدهانه في أمرهما فلما استقر هو بمرو
صرف عبد الرحمن بعبد الله بن عزيز وهو المعروف بمعاندة
آل عتبة ومشاحنتهم ونصب العداوة لهم وحرق الأديم
كيادا عليهم فبدأ بصرف أبي العباس تاش عن قيادة الجيوش

لأبي الفوارس

ونقلها إلى أبي الحسن بن سيمجور مضادة لأبي الحسين العتبي
في تدبيره وتداركا بزعمه لما وهى من أصل تقديره وتقريره
وأمر بالكتاب عن السلطان إليه في نقل العمل عنه وتعويضه
كورتي نسا وأبيورد منه والإيعاز إليه بالامتداد إليهما والا
قتناع بهما وحذف عنه خطاب الزعامة واقتصر به على ما كان
موسوما به من الحجابة فلما وصل الكتاب إليه أحس بمادة الشر
ودلالة الختل والختر وعلم أن ذلك فاتحة الخطب عليه
والتشفي منه والوضع من قدره والثلم في جاهه ومحله فاستحضر
وجوه القواد وأعيان الحشم وعرض عليهم الكتاب
وعدد لهم دأبه ودينه في طاعة سلطانه ومناصحته والإ
خلاص لدولته والذب عن حوزته والشكر لما وسعه قديما
وحديثا من نعمته وإقباله مدة مصاحبتهم إياه عليهم
بحسن رعايته ورفق زعامته وإيالته نيابة عنهم في
تنجز أوطارهم وتزيين مساعيهم وآثارهم ومواساته
لهم مما اتسعت له يده من خاص ماله وخالص ملكه وانه

ذلك

يومه أو في نفسه وتمنعه منه مقصود وعن باب مالكه وولي نعمته
مردود ولا منع من جهته لأحد منهم عن رأيه واختياره في
معاودة بخارا واللحاق بأي جانب شاء فليختر كل منهم ما احب غير
منازع في قصده ولا مدافع عن وجهه فاستمهلوه وشافهوا
من وراهم من أهل العسكر صورة الحال ويعرفون
ما عندهم من الآراء في المقام والارتحال وجمعوا بعد ذلك
دفعات متباعدين في الاختيار مرة ومتقاربين أخرى
الى أن اتفقت كلمتهم على موافقته وترك مفارقته والاذعان
لرياسته ومرافقته على ما يلقاهم الزمان به من سلم وحرب
وذلول وصعب وسهل وحزن وسرور وحزن وكانوا ابناء الخ
راسانيين رد الزعامة عليه رعاية لحق خدمتهم وتحكما
للكرم في تحقيق مسألتهم واستبقاء لوجوههم ما طاعتهم
فأبى ابن عزيز أن يقع لهم لجاج أو يستمر بين أولياء الدولة خلاف
وكتب اليهم يستميلهم الزور ويدسهم الغرور سرابا بقيعة يحسبه
الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا وساءتهم معاودة الحضرة

نطمئنا لهم وسفها للنفاق عليهم فلما عرفوا صورة الجواب
ازدادوا نصرة في طاعة أبي العباس تاش ونفاذا في خدمته و
تصرفا بين أمره ونهيه وخنوعا له في وجوه تكاليفه ذكر
انقلاب فخر الدولة أبي علي ولابنه وما جرى بعد ذلك
بينه وبين حسام الدولة أبي العباس تاش من التكاتب
والتعاون الى آخر عمره اتفق بعد معاودة تاش بخارا
ان قضى مؤيد الدولة نحبه ولقي ربه وقبل انقضاء الحرب كانت
بينهما ما دهاه الخبر بوفاة عضد الدولة أخيه فتماسك
عن اظهار المصاب اناه بالخطب الذي كان أمامه حتى كفيه
لحفظته المره وبقضيه بغتته المستمره وتشاور أولياء
تلك الدولة فيمن ينتصب منصبه ويسد في الرياسة مسده
فأشار الصاحب اسمعيل بن عباد الى فخر الدولة اذ لم يكن في
ذلك البيت أحق بالامارة وانهم استقلالا بأعباء الرياسة والسيا
سة وكفاية منه فطيروا البريد اليه في البدار اليها ما اورثه
الله تعالى من عقيلة الملك وذخيرة الملك عفوا لا منة لاحد

عليه بجد ولاحق تختم لسانه بشكره، واستخلفوا اخاه أبا العباس
خسره فيروز بن ركن الدولة على ضم المنتشر وتقويم المنآد
إلى أن يلحق بهم فيتولى تدبيرا بليه ويتولى عنه تخبير ما يتشنه
ببابه ولمليه وبادر فخر الدولة من نيسابور الى جرجان بطا
البيدق بين جناحي الأفق فاستقبله العسكر خاضعين له
وعلى صدق الممالاة والموالاة مبايعين وتبوأ مقعده من سرير
الملك وارثا ما أوصى بحوله أبوه وسالبا ما كان بيده أخوه
كذلك يؤتي الله الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء وهو الفعال
لما يريد ٥ وانشدت لأبي الفرج بن مسعدة أبياتا من
قصيدة ٥ ولو قبل الفدا لكان يفدى وأن جل المصاب عن التفادي
ولكن المنون لها عيون تكد لحاظها في الافتقاد ٥
فقل للدهر أنت أصبت فالبس بعد عمله دونا ثوب الحداد
إذا قدمت خاتمة الرزايا فقد عرضت سوق الكساد
وكتب الى أبي العباس تأنيبا بذكر ما صار الله اليه واعلقه
بسديه وأن ذلك كله موقوف على أحكام مشاركته ومصرف

في الأقسام أراد به وانهم يرتجي لاستجابة أيامه النافقة وأيام
دولته العالية ارتياحه لما تمكن به من معاضدته على مصالح أحواله
ومرافدته على مناجح آماله تشفيا لما كان ظهره من مقامه
قبله وقدمه من جهده في أيام الحيرة وأرباد النجح له فلما
عنه ممنيا بما أتاحه الله من كريم صنعه وزفه اليه من هدي
ملكه وشاكرا له ما أوجبه وراه وشاكيا اليه ما دهمه و
دهاه وكتب اليه بأنه سهمه فيما يليه وقسيمه على ما حوته
أمره ممتثل في كل ما يرومه ويلتمسه فليثن أمره على ما يقف
عليه أفواجه منتظرا لما يقتضيه ثمرة المناصحة من النجح
بالملك والمال وتشرب الرجال في أعقاب الرجال وكان قد
نهض أبا سعيد الشيبي وهو الملقب بشيخ الدولة الى حامل
فخر الدولة رسولا لغرضه في العاجل بقدر من المال وزها الف
فارس من شجعان العرب والأتراك فورد نيسابور وانضم
اليه ابو محمد عبد الله بن عبد الرزاق مواليا لأبي العباس تاش
على ابي الحسين بن سيمجور فاجتمعا على التعاضد واتفقا على التعاون

والتراافد ولتحدد تاش إلى نيسابور فسبقه إليها أبو الحسن وأجاز
المقيمون بها أسطارا لوصوله في سواد خيوله ولحق بهم فصارت
الأيدي واحدة والقلوب على الإخلاص متوافقة وقصد باب
نيسابور من جانبها الغربي فخيم بظاهره وناوش أبا الحسن
الحرب أياما عدة وهو متحصن بالبلد ودروبه ومتحيز بضيق
مداخله وسدوده ولحق بأبي العباس تاش قبر وزان بن الحسن في
كبار القواد ممن يعزمون على السير ويدخلون ولو حرب
الأسد فلما أحس أبو الحسن بن سيمجور بإناخة تاش علم فو
تهم على حرب المضيق وإعجازهم بأطراف الرانات والمزا
ريق فاتخذ الليل جملا وترك البلد هملا وسار بجمهوره
سائرا عورة لا تنهزم بلباس الظلام وسمع عسكر أبي
العباس بإجفالهم فشدوا على آثارهم وأثقالهم وأصابوا
منهم غنائم موفورة وأموالا غير محصورة ودخل أبو العباس
تاش نيسابور وجاوزها إلى العسكر بظاهرها مما يلي الحا
الشرق في جنبد الظفر مدى الأبد وأنشدني أبو منصور

الثعالبي لنفسه في تلك الوقعة

قل للذي لنا في هواه تاش صاد الفؤاد بصدغه الجماش
صدغ يرى عند الرياح كأنه قلب ابن سيمجور أحس بتاش
إن الشتا يمضي بفتح فاتش وأتى الربيع لنا بحسن رياش
ومضى ابن سيمجور بقبح فعاله وأتاش أيام الكرام بتاش

ولزم تاش منذ ذلك يواصل الكتب إلى بخارا في الاستمالة
والاستقالة والضمان لأنف الطاعة وعرض النفس والمال
لمساد الضراعة فلجت بابن عزير صلابته في عداوة آل عتبة
دون مغالبته ومعاداته ومعاندته وطفق ينفق على الأمير الرضي
ووالدته التي كانت كافلة بالملك أن تاشا معتصم بالديلم وقاصد
قصد الإجحاف بالدولة وأنه متى أرخي عنانه فيما يستدعيه وجب
التعدي عنها والتكبر عليها حتى ظننا أن الأمر كما زعم وكلا
الدين إليه وجعلا رباط الخيل والتدبير بيده وقد كنت أروي لصدق
في تلك الأيام بيتين لابن المعتز سمعتهما في الشباب وهما
شيئان لو بكت الدماء عليهما عيناي حتى تؤذنا بذهاب

لما بلغ العتبي من خطبهما شرخ الشباب وفرقة الأحباب
قال إن الأليق بحكم الوقت والحال بيتان في قولهما وصاغهما
للحسين بن علي المروذي وهما ـــــ ه ـــــ
أما النساء فميلهن إلى الهوى وأخو الصبا يجري بغير عنان
فانصف لعمري فيما وصف وحكم به حكما يشهد به القرآن ويسجل
بصحته الامتحان وأبى الله أن يكون طبيب في شفقة الأم وخال
بمنزلة العم وعسيف بمثابة الصاحب وربيب بمحل الملك الغالب
المستبد بأيام الصايب وأهمل أبو العباس تاش ما أهمه من
أمر أبي الحسن بن سيمجور وقصده مداراة لولاة التدبير تجنبا
واستمالة لهم واستئناسا وإمساكا للوحشة من الازدياد
وصيانة للصدر من الأحقاد وهم فيما بينهما يستبلون فرصة
الرخاء ويغتنمون منحة الإمهال والإمهاء ويقبلون على مواصلة
الاحتشاد والاستعداد ومداومة الاستمداد والاستنجاد
وكتب أبو الحسن بن سيمجور إلى أبي الفوارس بن عضد الدولة
بفارس مادة بألفي فارس من نخب الأعراب وأنضم إليه فائق

في خواص غلمانه وسائر من استجاش من أطراف خراسان وكروا
بأجمعهم على أبي العباس تاش في حمول غص بها عرض الجنوب وضاق
عن ضمها أضلاع الشمال والجنوب فلما قاربوا نيسابور نحا
لقوا معسكره إلى البلد لامتلاكه عليهم ومساورة الحرب عن
ظهر منعة واقتدار وحال نجدة واستظهار فعارضهم أبو العباس
تاش في مسيرهم بعبد الله بن عبد الرزاق وأبي سعيد الشبي
وخواص غلمانه وناوشهم الحرب من حين منع النهار إلى أن صار
كعش الأخوال وظلت حملاته تخطفهم خطفا وتوسع أركانهم هدا
وهدما وكانت الجماعة ما بين سرخس إلى أنفاسهم ذلك فبلغوه
مبلغا أحرج صدورهم وأثنى بالأجفال جمهورهم إيثارا للعصمة
المضطرب والخلاص عن ضيق المعترك وحمل أبو العباس تاش آخر
النهار حملة قد بها خاتمة القتال وآخره النزال فتلقاها
أبو الحسين وأبو علي ابنه بنفسيهما في قوة وعمل ابنه في الثبات
صرفه وردوا مطلقات الأعنة بمشرعات الأسنة ووردوا
مشرعات الزحوف لمرهقات السيوف فلما انقلب إلى الغاية

وقد نفق في تلك الحملة سواد حماته وحفظه وأبانه شدوا الحملة عليهم دفعة واحدة فاضطروه إلى الانهزام وإسلام المقام وتداركت الحملات على عسكر الديلم من جانب فانفرجت تزعزعت صفوفهم واضطربت جنوبهم فنادوا الأمان من وقع السيوف خلال البيته صهوات الخيول فجمعوا في بيت الحسان على حال الذل والصغار ثم حملوا الى نيسابور على الأجمال في الجوالق أنه وكلاكما وسفنا ممن تناقتهم الى خراسان أرسالا فاستقبلتهم المحابس بالدخول والمغازل بدلا عن السيوف والعوامل فأمنهم الى محابس الهند الى أن اقتسمتهم الأيام بين ممات وحياة

ذكر انتقال أبي العباس تاش الى جرجان ومقام أبي الحسن بن سيمجور على قيادة الجيوش

وانحدر ابو العباس تاش الى جرجان ففصل عنها فخر الدولة متوجها نحو الري وأخلاها له ولأهل عسكره وترك دار الإمارة محفوفة بالفرش الفاخرة والخزائن العامرة والأهب الوافرة حتى المطابخ بأمتعتها من الآلات الصفرية

والأواني الذهبية والفضية وتقدم بأن يسلم اليه خزانة كان قد أعدها للحمل اليه قبل النفقة مشتملة على خمسين ألف دينار والفي ألف درهم وخمس مائة تخت من ألوان الثياب الى غيرها من عتاق الأفراس وجياد المراكب والدواب وأعداد الأسلحة والوقايات من تخافيف ومغافر ودروع وجواشن وتراس وزانات أكثرها مغشى الظهور والنصب بحلي الفضة والذهب وسوغ له دخل جرجان ودهستان وآبسكون واستراباذ الى الأقدار كان مصروفا الى عمارة القلاع وأرزاق مستحفظيها من الخواص فأمر أبو العباس تاش بتفرقة تلك الأموال والمبار فيمن صحبه من القواد وطبقات الأجناد حتى جبر كسرهم وقوى أسرهم وواصل لهم الأقامات والأطماع حتى أرتاشت أحوالهم وغصت رجالهم فصاروا بجرجان أحسن منهم بخراسان حالا وأرغد عيشة وأنعم بالا وجعل فخر الدولة يتابع الحمول الى تاش من طبرستان زيادة في تأثيل حاله واستتباب لنظم جنوده ورجاله فعل من لا ه ينفس على أخيه بنفائس ما يحويه ولا يضن على صديقه بجليل ملكه

ودقيقه وقد كان الصاحب يستشرف ما يوجه له من الإحسان
والمواساة ومواصلة الصلات والكرامات ومن قبل ما نصح له في
استعراض خراسان برجاله مخالفة لسلفه فيما أخذوه من مسا
لمتها واغتنام السلامة منها فقال له ذات يوم إن حقوق أبي
العباس تاش علي حقوق لو نزلت معها عن جميع ما آتاه الله علي من
ثمرات هذا الملك حتى أحل له عروة هذا القميص لوجدتني في أدنى
درجات المكافاة وأشار إلى واحدة بكفه أمارة على ما أوجبه
له أيام مقامه قبله أشفاقاً على مهجته وحرصاً على صحته وذباً عنه
في حال غربته وهي أن أخويه عضد الدولة ومؤيدها أرسلا إليه
يسترد انه على أموال عظيمة تحمل إلى خراسان في كل سنة
للسلطان أو للدولة تاشا مشفوعة بمحاوبات العراق من وشي
النيات وفره العتاق وأعلى في الأسنام والتطبيع حتى لم
يبق للرد مجال ولا للسان العذر مقال وأتاني خبر الرسالة
فاستطلت ضوء النهار واستخشنت جانب القرار ويئست
من الحياة على شفا جرف هار إذ لم يكن في الهرب مطمع ولا

في قوس الرجاء منزع وبت بليلة أنقد أرى الشر إلا كان قد أتى أن أصبحت
وقواي متخاذلة وأركاني متهافتة خوف الأذن بالداء العياء وا
الداهية الدهياء فأتاني حاجبه بعد فراغه من الأذن داعياً وأدناه
فلم أدر أداعي هوى أم ناع وادب هو أم نادب وطالع ضيافة أم
طارق آفة وختمت في القرى كتابه عن المحذور وتوريه دون
القدر المقدور فركبت إليه وسيرعاني أحصف مرة من سامي
عليه إلى أن حصلت في مجلسه فصادفت من حسن القيام وقوة
الالتزام وفرط الإكرام والإعظام وفضل البر والإيناس وعفوه
الرجاء على اليأس ما لم أكن عهدته فيما مضى من مجالسه وما
وما زال يرقيني ببشره ويبسطني بلطفه وبره إلى أن ابت نفسي إلي
وانحلت عقدة الخوف علي وتطاير الهم عني شعاعاً وذهب
سوء الظن جفاء ثم ناولني الرقاع الواردة عليه فنشرنا عن
أنياب الأراقم وحماة العقارب على الرسم المعادي
كيد الأقارب ثم أقبل علي فقال كنت على أن أنثر الا مرصوه
ما ورد صيانة القلب عن نوازع الظنون والأوهام لكني نفكرت

في حكم الحال التي تجمعني وإياه فمن أبت اطلاعه طالع ما كتب والأ
فضى إليه بحقيقة ما طلب أطلّ لسكونه وأوقع لطائره وأنفى
لخلاج الشك عن خاطره وأقسم بجميع ما تغلظ له الأيمان في البيعة
أنه لا يعدل خراج العراق بأسره على نفاسة قدره بشعرة
من بدنه ولا بشعرة من بدنه وأن جميع ما أملكه من صامت
وناطق وقاعد وقائم حتى قص هذا الخاتم وزر هذا القرطق
وقاية لمهجته ووقف على مصلحته ومعد لدرء الحوادث عن سا
حته ومبتذل في الانتقام له ممن نافسه في ملكه ونازعه
حق إرثه حتى يأذن الله في رده إلى بلده قرير العين منشرح
الصدر صاعد النجم ماضي الحكم أستحق من يسمع مثل هذه
الأكرومة طوعاً وطبعاً لا عن رغبة في رغيبة ولا ميل
في نيل ولا تطلع إلى وجه مطمع أن يتغافل عن معونته وإرفا
ده ويتجاهل دون ما يجذب إليه زمام مراده لا ورب الكعبة
وحق ركن الدولة لا أعرف الناس بسابق هذا الخلق العظيم
وقد استسهلت طريق المكافاة واستبنت عون الله على حسن

المجاراة على أن الفضل له بسبقي إلى البر وأن جهدت في
المقابلة وشددت إلى الغاية في المساجلة فتعجب الحاضرون
من هذا الكلام والعزم الذي عز سماع مثله في سالف الأيام
واحتشد الصاحب من بعد المصالح أبي العباس تاش مناصحة
لصاحبه وكفالة عنه بما يقضي الحق عليه ويقصد شرف الوفاء
ولقي أبو العباس تاش بجرجان ثلاث سنين نائي الجنب عن القرار
جافي الجنب دون الغرار شوقاً إلى خدمة سلطانه وحرصاً
على عرفان حق اصطناعه واحتسابه واشتفاقاً من فوت حسا
ده في إبعاده عن خراسان وإنكاره حق الولاء ونزعه عن قميص
طوق الطاعة والوفاء وقطّ همه معاودة تجاراً لاستيثار الخدمة
والسلامة من الذمة وأرسل أبا سعيد الشبيبي الأخير الدولة
في الاستعانة على معاودة خراسان فجهز له أسفار بن كرد
ويه وعدة من أعيان القواد في زهاء ألفي فارس من خلص الديلم
وكتب إلى نصر بن الحسن بن فيروزان وهو يومئذ بصلة جناحهم
والزعامة عليهم في إيرادهم وإصدارهم والصدر في ذلك

كله عن رأي حسام الدولة ومناله والتصرف بين يديه في حالتي
حله وترحاله وتارتي سلمه وقتاله وحمل في صحبته من المال
لإقامات أهل عسكره ضعف ما كان خلفه عليهم عند فصوله
من جرجان فسار أبو سعيد إلى قومس فانتدب لقراه وقرى القوم
في صحبته كما قرى لهم ضيفها وجارها ابن الحضرمي حذو النعل
بالنعل وذلك أنه أمر به في صحن داره حتى أخذته السيوف
لمنه وبره حتى برد وعمد إلى أحد من حبسهم في سرب
وأوقد الفحم عليهم وسد منافس السرب دونهم حتى اختنقوا
بين حر المحبس وعدم التنفس وأفات تلك الأموال المحمولة
والدواب المقودة وأضبا بسمة الغدر وأفاضا على نفسيهما
بالخزي أبد الدهر وانقلب الباقون نحو الري لا يلوي واحد منهم
على آخر إلى أن وردوها فقرروا الصورة وقرؤوا الصحيفة المسو
دة فورد من ذلك على فخر الدولة ما أطار وأقعه وهاج وأد
وعلى حسام الدولة ما أقلقه وأكمده وأضعف عن كل شيء
قلبه ويده وكتب إليه فخر الدولة يذكر ما أتاه من تجهيز

الجيوش إليه ويستحثه إلى أستراباذ لينصر المقصود محصورا
بين العسكرين ومضغوطا من كلا الجانبين إلا أن يأذن الله فيه
بالبوار والانتقاد إلى غيرها من الديار وأخذ أبو العباس تاش
بأستراباذ وخيم بهزارجان فأخذ نصرا ما قدم وحدث
وما مر وخبث ورأى الحين قد فغر فاه والسيف يطلب وجهه
وقفاه فلاذ إلى الاستسلام وضرع إلى الضراعة والاسترحام
وطفق يكتب في الاعتذار إلى الجانبين بأنه كالعارك جبا
مما ارتكبه وخجلا من عوار ما اكتسبه ويحمل شفاعة
حسام الدولة في الاستصفاح واستقالة ما تخبط فيه
سوء الأخبار حتى كتب في بابه ما تنفس عن خناقه وبكت
فخر الدولة في قبول إنابته رغاية لحق شيبته وقرابته وعاد
أبو العباس تاش إلى جرجان إلى أن يستأنف تدبير خراسان
وكان فخر الدولة قد استوحش من ابن أخيه مجد الدولة لأ
حوال أخل منها بحقه ورخص معها في المفروض من إجلال
قدره ومحله فناهضه في معظم جيوشه منازلا له في

في أعمال خوزستان ومعه بدر بن حسنويه في جنود الأكراد
أولي البسالة والجلاد وسار حتى أطل على كورها مدلًّا بالقوة السابغة
١٩ والعدد الوافرة فأنهض أبا العباس فيروزان بن الحسن نحو البصرة
لاستصفائها واستضافتها إلى أخواتها فلما عبر نهر موسى استجاش
المقيمون بها من عسكر بهاء الدولة أهل البصرة عليه فعبر منهم خلق
عظيم إلى المسالك بينه وبينهم فبثقوا سكور الأهواز عليها حتى عمت
الطرق وأعوزت المجاز والمخترق وبقي هو ومن معه في مخاضات
ووحول سدت عليهم وجوه الاختيار وطمست دونهم معالم الإقبال
والإدبار ووافقهم إقبال خيول من الموصل على عواد الطرق
لمظاهرة المقيمين بالبصرة فلما أثخنتهم أنصار أصحاب أبي العباس
ورأوا فيهم شوكة ووفورًا ولوا على أعقابهم نفورًا وكان بدر قريبًا
منهم فلما رأى الكشفة جاء متأنيًا وثبت بنفسه مدافعًا فأعاده
سد ما اختل ورد من أجل ما استمرت الهزيمة بهم إلى محل الدولة
وصوب سوق الأهواز وشكوا إليه ضيق الحال وألحوا على سهام
للمطالبة بالمال فعاتبه ما ظهر في الأول من عجزهم وخورهم

وما انتشر في الناس من سوء فعلهم وانتزاههم فاستعفاهم دارجعًا إلى
همذان على ظاهر هدنة وقع التراضي عليها ومنها إلى الري وذلك في
شهور سنة سبع وسبعين وثلاثمائة وحدث وباء بأرض جرجان خارج
عن الحد في هذه السنة فهلك من أصحاب أبي العباس تاش ووجوه
قواده وأعيان رجاله والمذكورين من كتابه وعماله وسائر حاشيته و
غلمانه وخلق عظيم وعرضت له بآخره علة صعبة حتمت بهم
مضى لسبيله رحمة الله عليه وقد كان أصحابه أوغروا قلوب أهل جرجان
بسوء ذميمهم أودعوها ومعاملات قبيحة اخترعوها وإجحاف
عنيف أوقعوها فلما فشا خبر وفاته صاروا يدًا واحدة على أصحابه
فكبسوهم في الدور والحجر وطلبوهم تحت كل حجر ومدر وجعلوا
القتل جفلى ولم يتخطوا الكبير والصغير والشريف والمشروف في سلك
القتل والتنكيل والإبادة والتبتيل واستقل وجوه عسكره
دهاء المصيبة عن الفراغ لتفقدهم ووقيهم وإخماد جمرتهم
واستكفاف معرتهم واقتضتهم صورة الحال البروز إلى ضاحي البلد لضبط
الأمر وضم النشر واتفق التدبير في اختيار من يصلح للتأمير فبرزوا

اليه واتفقت كلمتهم على ابي احمد بن اخت له فقدّموه وطالبوا
بمال البيعة فاطلق لهم ما وجد في خزانته الا انه مضافا الى ما امكن
تحمّله واحتباله عشر بيعة واحدة حتى هدأت فورتهم وسكنت
سورتهم وتوالى النفير من البلد بمدّ اهله ايديهم الى عو
رات نساء الخراسانية تعيا وكيادا فحرّكتهم الحميّة للانتقام من
اولئك الرعاع والاغتام وركبوا على سمت جرباذ لمجاهدتهم ونادى
اولئك الاشقياء اليهم منها فتبين في الدماء تهافت الفراش في النار
فلم يلبثوا ان حمل اهل العسكر عليهم حملة تنقضهم عن رؤس
بلا غلاصم وايدٍ بلا معاصم وفرشوا ارض ذلك الفضاء بجثث
القتلى منبسطين في الدماء وضربت الدور والحوانيت بالنفاطا
ت وبسطت عليهم الايدي بالغارات فجرى عليهم ما لم يجر
بعد يزيد بن المهلب مثله نكاية رادعة وعقوبة وازعة فامسك
عندها ارسل مشايخ جرجان وصلحاؤها يطلبون الامان وينا
شدون الله والامان فكفوا عن القتال وانكفأوا الى الرحال فسكن
نائرة تلك الفتنة ووقع طائر الهيج والثورة واختلف العسكر في

الاختيار فمال القواد وكبار الغلمان الخاصة الى خراسان وانحت
الرازية الى الانقطاع الى فخر الدولة والاختصاص بخدمته وكتب الصاحب
اليهم اجمعين بالتوقف ريثما يلحق بهم الاستاذ ابو علي فيطلق اموالهم
ويحقق في الولايات وزيادة الاقطاعات امالهم فحفزهم حب
خراسان عن التوقف واعجلهم طول العهد بالاوطان دون التثبت
فساروا على سمت الدوغد معا ودبّ نيسابور للاتصال بابي علي بن
سيمجور وهو اذ ذاك صاحب الجيش مكان ابيه واقام الباقون
من الرازية الى ان وردها الاستاذ ابو علي فاستعرضهم واثبت
اسامهم وسيّرهم الى الري فامر فخر الدولة بنقلهم الى الدار ونو
خشهم على امثالهم لمزيد الاكرام والايثار رعاية منه لحق
ابي العباس تاش من جانب واستظهارا بهم من آخر وقد كانت جرجا
ن تموج بالباعة وذوي العيب والخرابة ممن قتلوا اهل خراسان
ومثلوا بهم فوضع الاستاذ ابو علي الارصاد لهم وبثّ العيون عليهم
وقتل من حصل منهم يوما فمشت السياسة واستفاضت هيبته واستقا
اموره وصفت جرجان في ايامه ممن يعيث في فساد او يحكم بغير استحقاق

وسنأتي ذكر ابي الحسن بن سيمجور في قيادة الجيوش
الى ان قضى نحبه وانتقال الامر الى ابنه ابي علي فاستقامت
بولايته وقراره بنيسابور وانحدار ابي العباس تاش الى جرجان مخليا
امور خراسان وانصرف عسكر ابي الفوارس بن عضد الدولة الى كرمان
وعاد فائق الى بلخ واستقر ابو علي بهراة وكان بن عزير يمت ابا
الحسين بحق قصد جرجان وبوئه على التقاعد عنها وهو ينتمي على
المعلوم من عادته واستشعار الحلم واستصحاب السلامة والسلم
اشفاقا من عثرة قدم تفضي الى ندم كالتي عرضت لابي العباس تاش
بجرجان من النكبة التي جلبت على الدولة من الوصمة ما سار في البلاد
خبره الى ان اقيم ابو علي محمد بن عيسى الدامغاني للوزارة وذلك
في جمادى الآخرة من سنة تسع وسبعين ونفي ابن عزير الى خوا
رزم فجهد ابو علي في تسديد الاعمال وحفظها على الاعتدال
فاعياه ما اراد لانسداد الولايات وتراجع الارتفاعات واستشراء
الحشم وضراوة الاتراك وتسحبهم على الوزراء واحتكامهم في
المطالب خلعا للجام المراقبة وامنا من شر السياسة وصدق المؤاخذة

فشرف بابي نصر احمد بن محمد بن ابي زيد وهو السهم الذي يصيب ٤٧
المحز في اقواله ويطبق المفصل في افعاله ويبذ الكفاة بغنائه ومضائه
وصواب تدبيره وآرائه ثم بدا لهم في امر ابي علي فدنا الى مكانه
من صدر ديوانه واتفق لابي الحسن بن سيمجور بين هذه الاحوا
ل [illegible] الى حتفه في بعض منتزهاته بواحدة من حظاياه فخانته نفسه
خلال الرفث فتهافت على الارض من صدرها ميتا واخفي خبر
وفاته الى ان رد الى داره واستعد لاظهاره وورث ابو علي وراثة
ملكه واخوته وجنته فسد الثلمة الحادثة بابيه برفق سياسته
وحسن رعايته وحفظ ابائه وولاته وحسنت طاعة ابي القسم
اخيه وسائر اخوته له وعمهم رضاهم به وبلغ ابا علي ان هراة
سلمت لفائق فقصدها ابو علي وكتب اليه يعاتبه على ما استجاز
من الخطبة على خطبته ثم اتفقا على ان يكون هراة لفائق ونيسابور
مع قيادة الجيوش لابي علي ورتب كل منهم اصحابه بناحية عمله
وحملت الخلع من بخارا على الرسم لولاة الجيوش وابو علي
يظن انه هو المقصود بها والمحبو بالكرامة فيها حتى اذا بلغ الرسول

منتصف الطريق عدل الى فائق صحبه فعلم ابو علي انه مكر مكروه وغدر
أسرّوه وانه المقصود بالسوء والمراد بالمحذور فلما علم ان فايقا
شخص عن هراة نص ابو علي من نيسابور كالسهم المرسل والشهاب
الموقد حتى انقض عليه فما بين هراة وبوشنج فقل من انجاد الجند
وصاحبا ونكب عن ذكر العواقب جانبا وعلم انه متى استمر به
تلك الجبلة ونفذت فيه تلك المكيدة وعرف جبنه وخوره لم يبق
له ولا لاهل بيته ولم يعرف لانتقاض الامور عليهم وانتساب
المحذور اليهم من كل وجه غاية فصدق قتاله واخذ بفرط الجد
والتشمير حتى دق عسكره دق المضيب اسنان المسامير فولوا
به منهزمين الى مرو الروذ واردفهم ابو علي بعده من عوا
ده للتشريد بهم فوافقوه بقنطرة مرو الروذ مستعدين للممانعة
فقارعهم حتى اسد عدة منهم وحماهم السلاح وسار ابو علي
بالامر وخاطبا عمل ابيه ومدلا بسابق حرماته ومساعيه ومكرا
باخوانه وذويه فخفق الرضى سؤله وجدد اليه فما اسنعا
ه سؤله وقرر قيادة الجيوش عليه وناط مصالحهم بيد توجهه

له بين ولاية نيسابور وهداه قهستان ولقبه بعماد الدولة فانكفا
الى نيسابور وقد نال ما اراد فهذب الاعمال ورتب الاحوال والر
جال واخذ امره يزداد ذنوبا وها ويتضاعف قوة واستقلالا الى ان
لقب بامير الامراء المؤيد من السماء وامتدحه ابو بكر الخوارزمي بقصيدة منها

ان الاولى خلف الخدور هم في الضمائر والستور
وقع الغبار عليهم فغدا يفيد على العبير
لا تشكون على البرى تاه الغبار على العثير
فعدوت في حال الاسير وزحت في حال الحسير
وكذاك من عشق النجوم ورام كبد البدور
باسائلي ما في البراقع والهوادج والستور
فيها الرضاعة من المنية والفطام من السرور
وسألت من زوج المنابر حين تخطب والسرير
فهو الامير بن الامير بن الامير بن الامير
المشتري المدح القليل بماله الجم الغفير
من سيفه كسر الجبير وماله جبر الكسير

والناظم المعنى الطويل بلفظه النزر القصير

يرمي أعاديه بسهم من سعادته طرير

حتى لو افترشوا الحرير أشاكهم مس الحرير

ويرينك البهم الذكور بلكمه البيض الذكور

وسهامه نوب الخطوب وقوسه عقب الدهور

ورماحه حشو المعتدي وعداته حشو القبور

أستغفر الرحمن بل حشو الخوامع والنسور

وبصوم صارمه فيفطر بالجماجم والنحور

وإذا أتاه سائلا أدب التنوهة والتعبير

أبصرته يضاهيه رب الخورنق والسدير

أمحمد بن محمد هذا الثماد من البحور

لو كانت الدنيا تدور على الحقائق في الأمور

ما صيغ تاج محمد إلا من القمر المنير

وأتاه البديع أبو الفضل الهمذاني وهو لم يمدحه بالقصيدة

علي أن لا أريح العيس والقتبا وألبس البيد والظلماء واليلبا

وأترك الجود معشوقا مقبلها وأهجر الكأس بعد انتشيتها طربا

حسبي الفلا مجلسا والبوم مطربة والسير يسكرني من بعده تعبا

وطفلة كقضيب البان منعطفا إذا مشت وهلال الشهر منتقبا

تظل تنثر من أجفانها حببا درا وتنظم من أسنانها حببا

قالت وقد علقت ذيلي تودعني والوجد يخنقها بالدمع منسكبا

لا در در المعالي لا يزال لها برق يشوقك لا هونا ولا كثبا

يا مشرعا للمنى عذبا موارده بناه مبتسم الأرجاء أذنبا

طلعت لي قمرا سعدا منازله حتى إذا قلت تجلو ظلمتي غربا

كنت الشبيبة أبهى ما رجت ذهبت وكنت كالورد أذكى ما أتى ذهبا

استودع الله عينا تنتحي دفقا حتى تؤوب وقلبا بدلي لهبا

وطاعنا أخذت منه النوى وطرا من قبل تقضي الهوى من حكمه أربا

غضي عليك قناع الصبر إن لنا إليك أوبة مشتاق ومنقلبا

أبى المقام ببلاد الذل لي كرم وهمة تصل التقريب والخببا

وعزمة لا تزال الدهر ضاربة دون الأمير وفوق المشتري طنبا

بأسعد الأمراء فخرا فما لك إلا مناك مولى وأشبهها لنا

اذا دعتك المعالي عرف فامتثلا لم ترض كسرى ولا من مثله ذنبا

يا ابن الذين اعدوا المال من ملك يدي الذخيرة ما أعطى وما وهبا

يا الليث مختطفا والسيل منبطحا والبحر ملتطما والليل مضطربا

أمضى شبا منك أدهى منك صاعقة أجدى يمينا وأدنى منك مطلبا

وكاد يحكيك صوب الغيث منسكبا لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا

والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا

يا من تراه ملوك الأرض فوقهم كما يرون على أبراجها الشهبا

لا تكذبن فخير القول أصدقه ولا هابن في ولا أمنالها العربا

فما السموأل عهدا والخليل قرى ولا ابن سعدى ندى والشنفرى غلبا

من الأولى بعثنا إذا افتخروا مآثر الجد مما أسلفوا هبا

ولا ابن حجر ولا حسان يشدلي والمازني ولا العبسي منتدبا

هذا الركية وذا الدهقنة وذا الرغبة وذا اذا طربا

نعم واستولى على بلاد خراسان وارتفاعاتها فجبت له عن آخرها وكتب الرضي اليه يسئله عن بعضها لأطماع حشمه وعوارض مؤنه فاعتل عليه باستغراق أعطيات جيوشه ارتفاعات خراسان

وحاجته الى زيادة تتحملها النسمه أطماعهم في السنة وهو في ذلك يخلط طاعة بجفاء ويستحسنوا في ارتعاء ونصب. أبا علي لصحابة الديوان فبسط يده في المصادرة والاستخراج حتى كنس خراسان فلم يبق بها ذو درة الا أذى خلفه وألصق بظهره بطنه لما دفع عليه وأمر بدق يده على بخله الى أن أعفي بعض المال وبات بأخرة على شرجال بعاجل وهو بلاد الترك سبقا على أن يتناظر خراسان وما وراء النهر حتى ملك على الرضي بخارا فكان مثله كما قيل

محمد سلوسبق فمحمد رضحوا بها ها ما في آل محمد

وهو في ذلك كله يقيم رسم الخطبة وشعار الدعوة لاسم ابن عمه للتقيه وجدا الى الرعية وقد كان طائفة من دهاقين ما وراء النهر قد ملتهم أيام تلك الدولة فنفرت نفوسهم الى الاستبداد والأحماض بغير خلة الأعباد فواصلوا بغراخان يكمهم في تورد ذلك الحريم فشاجذت عزمه في المضاء والتصميم فصار بيطرف تلك الحدود شيئا فشيئا كالباري يحل بضاح أجفانه على التدريج ما يسأله من الوحشة وسكينا من الروعة ونشرية على القنص لـ

ورده

أن ورد أسبيجاب فأنهض من بخارا الحاجب في كتيبة على عقبه
فالتقيا على حرب أشابت الذوائب وأثارت النوائب ثم انجلت على
أسر ابنج الحاجب من القواد والكثير من الأفراد واستحكم لذلك الطمع
في تورد شوابك البلاد ذكر فائق وما انتهى إليه أمره
بعد الوقعة المذكورة أقام فائق بناحية مرو الروذ
على رم الرث وجبر الكسر وأسو ما فشا في عسكره من كلوم الحرب إلى أن
التحم أمره وانضم نشره سار نحو بخارا من غير استئذان واستطلاع
رأي فاضطرب الرضي به قلقا فأنهض بها بدت إلى فضاء السهلة ببابه ورماه
بالحاجب بكتوزون الحاجبين وسائر مواليه وموالي أبيه فلما رهقه الظبا
وعضه السلاح أجفل إجفال الظليم واقتسمت الهزيمة أصحابه
بين القتل والتنكيل والأسر والتذليل ووافى الشط منهزمه فوجد
السفن معبئة فركب الخطر واحتال حتى عبر وسار إلى بلخ على أن
يستأنس بها ويستأنف وأقام بها أياما ثم عبر إلى الترمذ وواصل
بغراخان بكتبه يبعثه على الإنجاد ويحثه على البدار وخوطب
من بخارا والي الجوزجان أبو الحارث أحمد بن محمد الفريغوني ه

بقصده وحصده فجمع جيشا عظيما وساق من أرض الجوزجان بدا
فانتدب لهم أحد غلمانه وكان يعرف بأرسلان آخر سالار في زهاء
خمسمائة من الترك والعرب وانقضوا عليهم انقضاض الصقور على بغاث
الطيور فمزقوهم بددا وجعلوهم طرائق قددا وفرشوا الفضا
بجثث القتلى وغنموا ما لا يعد ولا يحصى وعادوا إلى بلخ ظافرين وقد
كان طاهر بن الفضل ملك الصغانيان على أبي المظفر محمد بن أحمد
وهو واحد خراسان جلالة قدر ونباهة ذكر ومتانة رأي وجد
ورصانة نظم ونثر فانقطع أبو المظفر إلى جانب فائق صارخا فدعا
فأحسن إصراخه وأمده بمن يرده وراءه فاغتنم طاهر بن الفضل
خفة أصحاب فائق ببلخ فلفت لفه إليها طامعا في الاستيلاء عليها
فزحف المقيمون بها للمدافعة ونهدوا للمناجزة وتناوشوا القتال وصدقوا
المصاع والضراب وتقصف بعض العرب مكان طاهر بن الفضل
فقصده بطعنة أذرته عن مركبه وبادر إليه فاحتز رأسه
عن مركبه وثار الصياح بقتله فولى أصحابه على الأدبار ها يبترن
سمع الأرض وبصرها وهايبين أنشأجدها ومدبها ولا تحد

فأمراء الحاجب تاجين ونقل الى ديار الترك في زمرة الأسرى
انتقضت مراتب الأعمال بما وراء النهر ووهنت قواها وتداعت قوا
عدها وبناها واستشعر الأمير الرضي واركان دولته من أن تتفاقم الأمور
وتتراكم الشرور وتعضل جائفة الداء وينصب بأي الآراء تخطى
فأبقى على وجه الاستمالة وقوبل عثرته بالاقالة واستنهض الى بخارا
للاستظهار على سد الخلل وتعديل الميل وستر عنها بعد حسن القبول
والاقبال وازاحة العلة بالأموال الى سمرقند فلم يرعه الا خبر
بغراخان وهو الملقب بشهاب الدولة وظهير الدعوة وقد استطار
اليه قوادم الطير ركضا ولم يبل فيه جاما ولا غمضا فولى فائق بن يديه
هوبا ولم يلو على تعرف الحال شيئا وجعل من كان معه من أصحاب
السلطان عرضة للسيوف وفريسة لأنياب الحتوف وتوافقت
الشهادات على أن انهزامه عن مواطأة منه لبغراخان على آل
سامان بفعل من لا وفاء بعهده ولا حياء يردعه ولا أيمان تحقه ولا حرمة
تحفه وسار كما هو حتى أقام بعقوة بخارا وافزع السلطان بالدا
هية الدهيا والخطة النكراء والقضاء المبرم من السماء حتى اضطر الى مفارقة

الدار والتياذ بذمة الاستتار **ذكر ورود بغراخان
بخارا وهجرة الرضي عنها وانصرافه ثانيا اليها بعد
قفول بغراخان عنها** ودخل بغراخان بخارا فاستقبله فائق مختصا به ومنخرطا
في سلكه ومكثرا لسواده وطلقا اليه لين قياده كأنهما كانا على
ميعاد وتلاقيا على ساق محبة واتحاد ولما استقرت الدار به قرارها
استأذنه فائق في النهوض الى بلخ لاستصفائها الى ولايته واثارة
أموالها لخزانته فأذن له فيه وسار الى الترمذ وبعث بغرا الى بلخ فا
حتاط عليها ونصب لها من يجبي الأموال ويدير الأعمال واهمل
الرضي فرصة البدور من مستتره في تنبه النكرة حتى عبر النهر الى آمل
وقد كان هاجر اليها امامه عدة من خواصه وحجابه وغلمان داره
غائبين حائرين واعتدوا المقام به عيبا وظنوا انهم انشوا خلفا جديدا
وتلاحق ابنا الهجرة بمواعدة وعدوا واعتمد الأمير الرضي أبا علي
البلعمي للوزارة وضبط اطراف ذلك القدر من الامارة فتحير عن التدبير
لضيق الحال والمجال وانسداد وجوه الأموال وتنائي عدد
المهاجرين من الرجال وقد كان نفى عبد الله بن عزيز الى خوارزم

بعد صرفه عن الوزارة فأمر الرضى بالكتاب اليه في استحضاره
لاستئناف الاعتماد عليه فيما كان يليه واستكفائه المهم منه فيه
فبادر اليه معتذرا خدمته في تلك الحال ومتوصلا الى ترضيته بو
جوه الاحتيال وقد كان الرضى من لدن نجوم الشر واستطا
رة شرره باعالي ما وراء النهر من جهة الترك كاتب ابا علي محمد
بن سيمجور وهو الملقب بعماد الدولة والمقيم لحياطة الحوزة
وحراسة البيضة في الاستنجاد والاستمداد وتلطف له
في التجشم للجهاد وتطهير تلك البلاد من ذوي البغي والفساد بعد
أن سامحه باموال خراسان وأغضى له عن ارتفاعها ترضيا
له واحتمالا لامنه واستتماما للصنيعة عنده وطمعا في الانتفاع بشأنه
والاستظهار بمكانه فقعد عن الاستعداد للنهوض والاحتشاد
للمسير حتى استغرقت مواعيده شهورا عدة ثم نهض من نيسابور
الى سرخس ومنها الى مرو في مثلها من المدة وتربص اثناء ذلك
نجفة القوم وتغلبهم فيشاطرهم الملك له على حاجز النهر فيكون
له ما دونه ولهم ما وراءه وكان اتصل به وبخدمته طائفة يرسون له

هذا الرأي ويحلونه في عينه ويجلونه في معرض الصواب عليه تقربا
اليه ويوحون اليه انها دولة قد تمت ايامها وحان ان ينوح عليها
اضدادها وهامها لاستمرار العثار على الاطراف بها وانثيال
الفتوق من كل الوجوه عليها وان المعنى بنصرتها مخذول لخذلانها
ومحكوم عليه بالادبار لادبار زمانها وهي قواعدها واركانها فلما
استقر ذلك للسلطان بأمل الشط كتب اليه بان الخفاء قد برح
والبلاء قد برح وانه آن له ان يستأنف بعض الاحدوثة في مظاهرة
الاعداء وتسلطه الذين هم صنائع دولته ودولة آبائه في طاعته
ونصرة دعوته وكف الاذى عن وجهه ورده الى قراره معشش
اوليائه وانصاره فقد قطع طمعه الامنة واستشعر الياس الامن
لدنه وقبل الهجوم بعد ان خان بخارا ما وصله بكتبه في الاستصراخ
والاستغاثة ويجاوزه التلطف الى التضرع في الاستنفار والا
ستجاشة لمن تلك الكتب فصل حفظته عن انشاء ابي علي الدامغاني
وهو والاحتياج الدولة الى عمادها اذا قصدها من ينزع اساسا
أوتادها فالله في هذه الدولة فقد حانت مستغيثة اليك لابذه

بك فكان تأثيره فيه تأثير الرخا في الصخرة الصماء لا خدش ولا
حك ولا شق ولا شك وعرش خلال ذلك فراش الوالة والاستزادة
تستزيد تنبيه في المخاطبة على ما كان يخاطب أبوه وغيره من
أصحاب الجيوش به لم يرض بذلك حتى اقترح الجمع له بين اللقب
والكنية على العنوان منتسب الولاء إلى أمير المؤمنين وإنما ولاه
لال ساسان فقابل الرضي جميع ذلك بالإيجاب ووفاه بالأشباه
من شريف الخطاب وقد كان يفتح ذات يوم على لسان خادم
الرضي ورد عليه رسولا ويعرف بارسطاطاليس أيام مقامه
بآمل زيادة على المبذول له مجرى الشطط والمحال فقال
أيها الأمير أن ذلك السلطان اليوم بحيث لو اقترحت عليه
مخاطبتك بالأمير لفعل ولكن ورا اليوم فأخذ لنفسك ما هو
أجمل بك وأزكى في الأحدوثة عنك فكادت عند ذلك العيون أن
تصوب والقلوب أن تذوب واستمرت القسوة به فلم يزد على ذكر
مطال وتسويف ومطال لا جرم أن الله كفى الرضي شغل بادها
ونصره وآواه وأعادها إلى خطته ومثواه وختم بالخير عقباه وأسلم

القادر لا كتب بداه وما الله بظلام للعبيد ذكر انصراف ٥٧
الرضي إلى بخارا بعد جلا بغراخان عنها واتفق أن سنة
بغراخان علة استوبل لها المقام ببخارا فانزعج عنها عائدا ورآه
ومعاودا هواه وعمد أهل بخارا إلى تقاضات عسكره فخطبوهم
لحدا وحدروهم دون حوالها دحجا وبادر الأتراك الغزية على
أثره قتلا وطردا وعركا وطحنا ولم يعد لمضي على الأحجام والإنهزام
على ما به من ألم السقام حتى ذاق كأس الحمام وحين أحس الرضي بإجفا
له على حاله ابتدر العود إلى بخارا فمن الناس إليه من جانبه ورجاله
فتباشر الناس بما أتاح الله من عوده إلى دار ملكه وقرارة عزه تبا
الصيام بهلال الفطر وذوي المحول والإعدام باستهلال القطر وصفت
له بخارا وسمرقند وما صاقبهما من ولاية وسائر مملكته ولما رأى
أبو علي ما استفاء له من الأمر وسقط من ناجي السد وحمد
من نائرة الفتنة التي قدرها صما لا تتسع ودهما لا تنقطع وانها
إلى ذلك أن بغراخان لما ألفى عصى الفرار ببخارا كاتبه على الرسم الذي
كان ولاة خراسان يكاتبون أصحاب جيوشهم بها غير وافٍ له

بالتشريط التي كانا تعاقدا عليها وتواصيا بها من النزول على
رتبة التماثل واقتسام جانبي الملك على حكم التناصف والتعادل سقط
في يده وسقط في عضده وذهب عليه أمره وأظلم عليه رأيه لاسقاط
الأخبار عن خلاف تقديره وانكشاف العواقب عن ضد ما أجاله
من قداح تدبيره فاستأنف المعاودة للعتب واستئناف التلطف
واحتمال ما يزيل عارض الوحشة ويحو اسم سمة العصبية ويسد
خلل التقصير في الطاعة فأعد من صنوف الأموال والهدايا ما لم
يرضه به واستماله قلبه عليه وسنح لفائق بعد احساسه بعود
الدعي إلى عادة ملكه أن نهض إلى بابه متعلقا عليه ومتكلا على
تشفعه فيه وقد كان دها الدعي من جهته مثل ما دهاه من جانب
أبي علي تصاما عن ندايه وتقاعدا عن فنايه وتعامسا في فرض طاعته
وولايه فضرب الدعي وجهه بوجوه حجابه ورجال بابه وناوشهم
الحرب بغلمانه وكافة أعوانه حتى استلحمت العدد الجم من القوم
وفرشت الفضا بالقتلى من الجانبين ثم انفل عنهم هاربا وحث
مركب النجاء حرصا على النجاة إلى النسا صنبا حصر إلى بعض

الأطراف وتلاحق به من أخطاهم ظبات السيوف وحلق الأ
شار من أصحابه فانحدر بهم إلى أبي علي مستقلا بحبله ومنخرطا
في سلكه ولاينا بذمته ومستنذرا بظل طاعته ووافق أبو
علي منه منيته التي كان يخطبها على الدهر باقتراحه وبعد ما
علا كاذنا في أخذ سلاحه فاستقبله بأهل عسكره على
أتم إجلال وإعظام وأعم إكبار وإكرام وأحسن ترتيب
وترحيب وبشر رتق وبر خصيب ونسيم لحانه روح الغنى عن
الدعي فصرف إليه ما كان أعده له من الهدايا مفصحا بالحفاوة والكلا
ومصرحا بالتمرد والانحراف وتحالفا على الصفاء والوفاء والتظا
هر على الأعداء ونهضا إلى نيسابور للاستعداد وتخميم الداء
في حسم الفساد ولما يئس الدعي من صلاحهما له دبر في
الاستعداد عليهما والانتصاف منهما بمن يسند بأسه ويحد في
اللقاء مراسه فوقع به التدبير على الأمير سبكتكين لا توسمه
فيه من أمارة الخير بأعتاقه على غزو الهند احتسابا بالثواب
لله وادخارا للعرم الغزيه إلى الله فأرسل إليه أبا نصر الفارسي

الناس عنه ببابه وكتب على يده يذكر ما أعياه على الداء فكان نوح
أبي علي وفائق وخطبهما على دولته وقصدهما اياه في نفسه ومملكته
واستنجاده عليه بارتفاع حوزته غير راجعين الى حشمه
ولا باعثين لحق نعمه ولا متمسكين بما لحا بعصمه وان الذي همه
من أمرهما قد سد عليه وجه الخلاص وطريق الانتصاف الا من
جهته وما يرجوه من معونته والطف القول في استدعائه
وتطميعه في احتمال ما يتكلفه من نصرته أو لبائه بفرط قوته و
غنائه فصادف وصول الكتاب والرسول بمسامه مرتاحة
لأجابته منشرحة لطاعته تواقة الى مقام الجمال بانهاض رضا
وموافقته وبادر بالعبور الى ما وراء النهر للقاء الرضى ومشاهدته و
سماع المقصود من رأيه واشارته ونهض الرضى الى بلخ كبش
محتشما على موعده ووصل اليه الأمير سبكتكين فالتقيا هنالك
على أحسن ما سمع به في مثله من تسوية المواكب وتعبية الخيول
والجنائب وقد كان الأمير سبكتكين يستعفي لنفسه عن
منزل الخدمة وملتزم الأرض على رسم الطاعة فأعفي

عنه اكتفا بصدق العناية والرعاية منه حتى اذا اختلطت الخيول
واشتدت الصفوف وأصابت عينه صحيفة وجه الرضى أرجلته
روعة الملك وأهابه العز للنزول والتسرع بما كان يستعفي منه قبل
الوصول فتلقاه الرضى بأتم الاكرام والاعظام ورعاية الحق والذمام
وجرى مشهد لم يسمع بمثله في الفخامة وباشر الخاصة والعامة
وأمر الرضى باقامة ما وجب اقامته له من صنوف الانزال واتباع
ذلك بما يصلح أتباعه من طبقات الرجال وسأله بعد ذلك أن يفرغ
له نفسه ويصرف الى قصد أبي علي وفائق وكفاية شرهما غرضه
فضمن له حسن الطاعة وبذل الوسع والاستطاعة واستأذنه
في الانكفاء الى وطنه ريثما يجمع متفرق الأهبة وينظم منتشر العدة ثم
يواجه الخطب بجد جديد وحد حديد وبأس شديد ورجال يلججون
في بحار من حديد فأذن له وصرفه وأمده من الخلع الفاخرة
والأخبية الباهرة ما ضاهى جلالة قدره وأكد الثقة بصادق
وعده ورجع كل منهما الى مكانه وأقبل على استصلاح شأنه ومحادثة
شفرته وسنانه وورد على أبي علي من ذلك ما أهمه عليه وحده الد

وسدّ عليه باب التقديم والتأخير وجعل الرأي شورى بين أصحابه
فما كشف له الأمر عن نابه فكانت زبدة تخصيصهم مكاتبة فخر الدولة
ومعاقدته وموادته ومعاهدته وتأثيل حال من جانبه تنتحي يوم الفناء
وما ساقت الليل والنهار فأرسل إليه أبا جعفر بن ذي القرنين بأعرض
من تحف خراسان وأفرد الصاحب بمثل ذلك طمعاً في حصول
الغرض المقصود من الاتحاد على يده بحسن سفارته ووساطته وحدثني
أبو جعفر أنه دخل على الصاحب فعرض ما كان صحبه ثم قال له مخا
طباً عن صاحبه مثلنا في حمل هذه التافه الطفيف إلى الصاحب الجليل
مثل من يستبضع التمر إلى هجر فقال الصاحب قد ينقل التمر من
مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هجر لا للحاجة ولكن
للتبرك به وسعى الصاحب في تمهيد الحال وتوكيد أسباب الوصال
حتى تمت الألفة واستحكمت العصمة ودرّت المواتاة واستحكمت
الصداقة وقد كان مأمون بن محمد صاحب الجرجانية وأبو عبد الله
خوارزمشاه قد أحسنا التقرب إلى الرضي أيام انحيازه إلى آمل بما
ساعدهما الوقت عليه من مال ورجال فعرف ذلك لهما وأحب أن

يجزيهما عما خدماه به وقدماه من قديم الطاعة له فجعل نسا برسم
مأمون بن محمد وأبيورد برسم خوارزمشاه وعقد لكل منهما على عمله
فأنهض كل واحد منهما من يقوم بضبط عمله وتدبير ما أضيف به فأفرج
أبو علي لمأمون بن محمد عن نسا الحال في المودة بينهما قديمة وأسبابها في
الاتحاد وكيدة ودفع أبا عبد الله خوارزمشاه عن أبيورد إغفالاً لا
بأنها ولا بد منها وأمر بطرد أصحابه عنها وتسليم دونها فاستبد ذلك
خوارزمشاه في نفسه إلى أن تمكن من الفرصة في أمره فاشتفى
منه على ما سنشرحه عند الانتهاء إلى ذكره وطلع خلال ذلك ذا
أن الأمير سبكتكين من عزته على ما كان سبق من وعده وهمّ
واحتشد واستعد واستنجد فقام بالاحتياط والاستظهار وقعد سا
في أيامه الفتوح التي ملكها على ملوك الهند في غزواته ومغا
زيه وعبر الرضي إلى الجوزجان والتقى مع الأمير أبي الحارث الفريغوني
وإليها وأقام إلى أن وصل إليه الأمير سبكتكين ولحق به من النشاد و
جرى مجراه من زعماء البلاد في طبقات الأجناد فاجتمع سواد
شرقت به المسالك والمذاهب واحدودبت عليهم المتالع والمشارب

فنهض أبو علي وفائق من نيسابور إلى هراة وبها ألمنكو غلامه وصاحب
جيشه فحصنها صيانة عنها ومراماة دونها وضوى إليه من كان فيها
من جهته بمرو والروذ وباذغيس وغيرها أخذا بالحيطة واحتراسا
من الغرة وسار الرضي في الأمير سبكتكين حتى أناخ بناحية بوشنج وأرسل
عند ذلك أبو علي إلى الأمير سبكتكين يذكره الحال التي كانت بينه
وبين أبيه في المواتاة المشيدة والحرمات الوكيدة وما استمرا عليه من سنيه
في الاتحاد والوداد والاشتراك والاشتباك ويسأله أن يتوسط الأمر
بينه وبين الرضي على ما يطفئ جمرة قلبه ويطفي حرارة غيظه ويسل
سخائم أناته ويستميح جانب مرضاته متحملا عليه بابنه وصنيعه في
حسم الداء وتسكين الدهماء وتأليف الأهواء فأحسن الأمير
سبكتكين الإصغاء إلى ما سأل وشد النطاق لما التمس وثنى جنده
إلى الاستصلاح ووضع السلاح على عادته في كراهة الفتن وإماتة
الأحقاد والإحن وسأل الرضي في مجالس عدة شفاها ورسالة
أن يأخذ بأدب الله تعالى في العفو والغفران وأن أقاله العثرة بفضل
البر والإحسان إيثارا للذي هو أقرب للتقوى وأحمد في الدنيا

والعقبى ولم يزل به على اتصال نفرته واشتعال جمرته حتى سمح
بالإجابة وأسجح بالعفو والإقالة على أن يفتدي من أرش عصيانه بخمسة
عشر ألف ألف درهم يؤديها في ثلاثة أنجم على رسم الموافقات
وكتب الأمير سبكتكين بذكر ما استتم من الصلح على يده وانتظم
من عقد الصلاح بسعيه وكده ونشأ وراء أصحاب أبي علي ووجوه
قواده في أقسام هذا المال بينهم معونة على ما ألزمه من الغرامة
واعتيادا لما يرجون عليه من السلامة فصادف ذلك حده من شنائهم
وتوقا من أعدائهم وذهابا منهم بأنفسهم عن الإذعان للمكافة والرضا
بالصلح الجامع لمصلحة الكافة وسار من ذؤبان الأكراد وسرعان
الصعاليك طائفة إلى معسكر الأمير سبكتكين فاختلسوا منه غلاما
له كان يلي أمر قبلته وقتلوه في عدة ممن أصابوا غرتهم وأضاف
إلى ذلك أن رسول الأمير سبكتكين لما كر وراءه بجواب ما تحمله وا
فق أبا الفضل الدباجي أحد أتباع أبي علي موكلا ببعض تلك المخازن
فقال هيهات أن سعيك لفي ضلال وأن صاحبك ما ينطق الآن إلا في
محال ما نحن بأحلاس الصلح وأبنائه ما دامت هذه العيون خافقة

والمنكوب المسترة ونبت في القلب مع حماته وذوي الوفاء والحفيظة ٥٩
من ثقاته وكانوا في الخفيفة جنس الطوا وبيس من وبيض الحديد والمغافر
الحمر والبيض وأشرقت عليهم الشمس فبرقت لها الأحداق وتلألأ
الآفاق حتى اذا تدانت الخطى بين الفريقين بدأ أبو القاسم بالحملة
على ميسرة الرضي فبددها وابطأ منهم وزعزعوا عن المقام أقدامهم
وثنى أبو القسم بن سيمجور بمثلها على من قابله فصنع صنيع الآخر
وحمل دارا بن شمس المعالي قابوس بن وشمكير من قلب أبي علي وظنوا
يسعى بنسخ المقام أو رعاية حق الانعام حتى اذا بلغ بين الصفين
ولى ظهره بترسه وأقبل على موقف للأمير الرضي بوجهه فاستأمن
اليه ووقف للقتال بين يديه فانخزل أصحاب أبي علي لأخذه
من الذمة وقطعه من العصمة أسفاً من موالاة أضداد أبائه
على مثل صنيعه وعندها ~~على مثل صنيعه~~ حمل الأمير محمود على قلب
أبي علي في سواد فدحه بثقله كأهل الأرض وسد بقسطله مناكب
الأفق فلم يلبث أحد من أصحاب أبي علي لكفاح أو مدافعة بسلاح
بل انفضوا عن موقفهم انفضاض العقد خانه النظام وانسل منه

سوادها والعواتق حاملة أجيادها يعني به قول القائل

كذبتم وبيت الله لا تأخذونها مراغمة ما دام للسيف قائم

فلما نمت هذه الأخبار الى الأمير سبكتكين استشاط غضباً وقضى
من أدبار القوم عجباً وعلى المناجزة واستخار الله في صدق المجاهدة
وأرسل الى أبي علي أن خذ في أهبة سيفك وسنانك فقد جئتك ثم
لا يثنيك منه غير جدة الحسام وثبات المقام وزحف الى الفضاء الرحب
يقودونه فرتب الخيول مقانب ومناسر وعبى الجيوش ميامن وميا
سر وشحن الصفوف بفيلته المجففة كأنها شواهق الأعلام وطوالع
غمام ومحفوفاً بجفاة الأبطال

من كل أروع يرتاع المنون له اذا تجرد لا نكس ولا جحد
يكاد يحييه يلا في القرن من حنق قبل السنان على حوبائه يرد

وسار فخلت الأرض سائرة والجبال مائرة والنجوم منكدرة
والسماء منفطرة غباراً من وقع السنابك نقع أو كسوف النهار الشامس
أو عود ظلام الليل الدامس وقد كان أبو علي رتب جيوشه أسوة
الأمير سبكتكين فجعل قائداً في الميمنة واخاه أبا القسم بن سيمجور

[illegible]

الفرد والتوأم وجعلوا هزيمة أنتكست بها الأعلام وغصّت بجموعهم
الأباطح والأعلام وركب الأمير محمود أكتافهم بضرب تفلق
الهام أنصافا وتسقي النفوس سمّا ذعافا فلم تغنه الاستدعان
تلك الجموع ومن خفّف عن ظهره ثقل الجواشن والدروع وغنم
أهل العسكر أموالا لوا فنى بعضها على الصلح المعقود لبيضت
الوجوه بها ووضعت الحرب تلك الأوزار عن أثنائها وسار
أبو علي بالفلّ من أشياعه الى نيسابور فأقبل بها على جبر الكسير
ورئش الحسير واستعداد للانحياز عنها قبل رهق اللحاق
ومؤتنف التلاق وختم الرضي وكلا الأميران سبكتكين ومحموده
بظاهر هراه ثم استجمّت ركابهم وقرت على الأولياء رعاياهم
ولقّب الرضي الأمير سبكتكين بناصر الدولة ووارث ملكه السلطان
بسيف الدولة وقلّده قيادة الجيوش وسار الى مكان أبي علي به وسار
الى نيسابور في هيئة أشرفت النفوس بها به وملأت قلوب الأعادي
كآبة ورجال كالقروم المصاعب وأفيال كالأسود مخطومة
بالأساود وفي ذلك يقول ابو الفتح البستي بسيف الدولة اتسقت امور

شعر

رأيناها مبدّدة النظام فتيما وحمى بني سام وحام فليس كمثله سام وحام ٦١
وسيجري ذكره أيضا بسيف الدولة الى أن أفاء الله الملك منه الى
مظنّة الاستحقاق وشهره بلقب اليمين في كور الآفاق ثم
ارتحلوا على وجه نيسابور ولما تسامع أبو علي بإقبالهم فارقها
متحدرا الى جرجان على الوثيقة التي كان أخذها على فخر الدولة
في بذل المشاركة وصدق المساهمة حتى الثمّ بها فكتب اليه بالحاجة
الى اجابته الى قصده ولاجئه والانقطاع الى جانب مملكته وأرسل
أبا نصر الحاجب في نفر حاله واستدعاء معونته بذاته وماله
واستناب الصاحب في تنجز ما بعده لنفسه على الأيام من بركه
وصالح ويعده لها من ثمرة وداده فأمر له بمقام قبا ومنة
لوكيله بألفي ألف درهم من ارتفاعات جرجان لأهل عسكره
وأقام هو وفايق حتى انحسر عن غرّة الربيع قناع الشتاء وقد
كان الرضي انحرف عند انحدار الأمير سبكتكين وسيف
الدولة الى نيسابور بعبد الله بن عزير الى طوس الجافا عليه
بما صوره له من أرصادها اياه بالمكروه على ما دعته النصيحة

إليه من مناقشته في بعض الأعمال والأموال فنهض الأمير
سيف الدولة محمود على أثره إظهارًا للبراءة واستشعارًا للطاعة
واستسلامًا للخدمة وإزاحة لعارض الظنة فطار عبد الله بقوادم
العقاب تحت خوافي الليل إلى مرو وعلى عوادل الطرق إشفاقًا
على نفسه من عادية التضريب فعل المتهم المريب وتلقى الرضي مورد
سيف الدولة بأتم إقبال وإسبال وصرفه وراءه على أحسن
حال وأنعم بال وارتحل بعقبه إلى مرو لاحقا بوزيره وثم منها إلى
بخارا حتى استقر بها على سريره وقد كان الأمير سبكتكين وسيف
الدولة لما وصلا إلى نيسابور فرشا مهاد العدل ورفعا عماد الأمن
ووسعا رسومًا كانت جائفة من قبل فنسخاها ببث الرأفة وحسم
المخافة وأرتيا مصلحة الكافة فانشرحت الصدور واستقامت
الأمور وأمنت الطرق وانطلقت القوافل والرفق ثم سنح للأمير
ناصر الدولة سبكتكين أن ينقلب إلى هراة لمطالعة ما كان
برسمه فسار وأقام سيف الدولة بنيسابور على قيادة الجيوش
وزعامة الجمهور وقد كان أبو علي طمح إلى زيادة من المال تحمل

٦١ إليه معونة له على إقامات أهل عسكره من الري فكتب إليه أبو
نصر الحاجب بأني عرضت الكتاب وقدرت المراد وكان من جواب
فخر الدولة أن مثل الملوك مثل الأنهار العظام تصطفق بما
فيها وتزخر بتيارها فيرى الناس ملتقى عبابها ومصطفق أمواجها
ويغفلون عن عدد الجداول التي تفترق منها والسواقي التي تنشق
منها ولو أنا قدرنا على مؤن خراسان لاستضفناها إلى ما يليه
من سرة الأرض وواسطة الأقاليم لكنا سمحنا بالتيسر والعذر لها
هو فيما تعذر فاستوحش أبو علي من جوابه واستشار زمانًا وجوه
قواده في تدبر الأمر بصوابه وإتيانه من بابه فاختلفت آراؤهم
بحسب اجتهادهم في المشورة ورويتهم في استشفاف العواقب
المستورة فأشار بعضهم بلزوم جرجان واستخلاصها وإقامة الخطبة
للرضي بها والكتاب إليه بالطاعة وضمان الإتاوة إذ كانت تلك
الولاية قد أعيت صيد الملوك وصناديد القروم على خطبهم لها ببهم
العساكر وكلالهم إياها بسمر الرماح وبيض البواتر وإذالتهم عليها
صوارم الرغائب وتغريرهم فيها بكرائم النفوس والحرائب

وقد حصلت له عفواً صفواً وانسحب عليه سهواً رهواً وسع العز
بالقمم محال واقامة النقد بالنسيء النسي ضلال وأشار الأمير فاتق
مشاهدة الأمير سيف الدولة ومناهضته لاعتراض الفرصة عليهم
بتفرق الجموع عنه واختلال أمره ولمخالفته هوا جرجان لطباع عسكرهم
ونكاسة فيهم فربما ينتكس لهم الفضل ويحتزم عليهم الحد فوافق هذا
هذا الرأي جمهور العسكر لحرضهم على الوطن ونزاعهم الى الأهل
والسكن فاتفقوا على هذا الرأي وطابقوا على الاتفاق واضطروا أبا
علي الى مساعدتهم واتباع ارادتهم وعند ذلك ورد الخبر بمضي الصاحب
اسمعيل بن عباد لسبيله وكان يغبنا مصالح أبي علي ويحسن ارادة
والاشادة على فخر الدولة باغتنام جواره ومعاونته على بارة فكره
في أبي علي يعيبه فضل المقام وأعزاه بتعجيل الانتقام ولما استأثر
الله بالصاحب اكثر شعراء العصر في مرثيته فمنها قول ابي محمد الخازن

يا كافي الملك ما وفيت حقك من مدح وأن طال تمجيد وتأبين
في الصفاة فما يكفيك من أحد الا وبينه اباك تحسين
هذي نواعي العلى قد قمن باكية اصعافها بندبك الحد العين

سقى عليك العطايا والصلات كما سقى عليك الرعايا والسلاطين
وأم الشعاة وكان الخوف أقعدهم واستقطوا بعدما قام الملاعين
لا تعجب الناس منهم أن همم انتشروا مضى سليمان وانحل الشياطين

ومنها قول أبي سعيد الرستمي الأصفهاني

أبعد ابن عباد يهش الى العلى أخو أمل أم يستماح جواد
أبى الله الا أن يموتا بموته فما لهما حتى المعاد معاد

ومنها قول أبي عيسى المنجم

والله والله ما أفلحتم أبداً بعد الوزير ابن عباد بن عباس
أن كان منكم وذنب فاقطعوا وذنبي أو كان منكم رئيس فاقطعوا الراسي

ومنها قول أبي العباس الضبي وقد اجتاز ببابه بعد موته يقول

ايها الباب لم علاك اكتئاب أين ذاك الحجاب والحجاب
قل بلا رقبة وغير احتشام مات مولاي فاعترانى اكتئاب
مات من كان يفزع الدهر منه فهو الآن في التراب تراب

ومنها قول ابي الفتح البستي الكاتب

مضى صاحب الدنيا فلم يبق بعده كريم يروي الأرض فيض غمامه
فقدناه لما تم واعتم بالعلى كذاك كسوف البدر عند تمامه

ومنها قول ابو منصور الثعالبي

الا يا صاحب الدنيا وعين السودد البهي
اما استحيا ابو يحيى لفضل العالم الكبري
لئن خنت بك الدنيا فقد فجعت بك الاخرى

ورحل ابو علي من جرجان على سمت جوين غرة شهر ربيع الاول سنة خمس وثمانين وتقدمه فايق على طريق اسفراين حتى اذا قارب حدود نيسابور عدل اليه واختلط به وسار بمسيره المستعد بن الجد المحدث في الطعن والضرب وبلغ سيف الدولة خبرهما فكتب الى الامير سبكتكين باقبالهما وبرز الى ظاهر البلد بخف من العدد وخيم به على انتظار المدد فاعجلاه عن المآخذ بانشاه الجد قبل وصول الامداد فاضرم عليهما نارها وباشر بنفسه وخاصته اوارها من حيث ترحل نار الضحى الى ان القت

ذكا مسنها في كافر فتعصفت ارض الوغى بدماء الفيلة واضحت مناسم الفيول رجالا كانوا اركانا للصفوف عند اشتجار الزحوف واختلاط الاسنة والسيوف وهم اصحاب ابي علي بالانخزال جنبا عن النزال ثم تداعوا مناص طلبا للخلاص فكانت حملة واتبعها القدر وانحاز سيف الدولة بمعظم جيشه الى مناخ ابيه الامير سبكتكين في امارة من لباس الظلام ارصادا للخصوم بيوم الكرور على الدار واسلامهم لعار الادبار وخلف عنه ما اعياه استصحابه من اثقال وفلو ثقال وعجز عن خدمه صحبة طائفة من رجال الهنود وسائر افناء الجنود فذكت عند ذلك شعلة ابي علي الطمع في استقلاله وعوده الى المعهود من حاله لكن الله تعالى قضاها باستئصال اخشابه واستصفا له واستمر عليه عند المقام بنيسابور ان يتبع اثر الامير بن مجدلا لها عن عدة الارتياش والانتعاش وقوة الاستعداد والاستمداد فان ابا علي من كان بصيبه واحكمت مريرته وعمي عليه قصده ونعي اليه جده واخذ يقلل بصفوة بده وخلو

خزانته واشفاقه من خذلان عسكره اياه ان دعاهم الى البراح
وسامهم خطة الكفاح واخذ يكبس الى بخارا معتذرا عن خيانته
ومستقيلا من بادرته ومستقبلا عارض عثرته ومستمحا فلول
عزمته وارسل الى الامير سبكتكين رسالة الواهي جلده
الساهي كده المتخاذل لسانه ويده يحيل بالكشفة التي اسهمه
بالامير سيف الدولة على فائق وساير اهل عسكره لاكراههم
اياه على مفارقة جرجان ومعاودة خراسان وانه لو وجد
الى مراده سبيلا وفي ذرى هواه ومراده مقيلا لما انتقل الى
خراسان ما عاش نفادا عن وحشته وتحذرا عن كراهته
ويسأله ان يهب له ثاره ويستوهب الرضى خطاءه وعثا
ره فلم يوده رسالته على التطبيع في اعتباله والتنبيه على احتياله
والنصح على اقتناصه والاخبار من قوته وخلاصه وبث الامير
سبكتكين كتبه الى من تخلف عنه في دار مملكته واطراف
ولايته من قواده واجناده في استنهاضهم الى محاربته واستعجا
لهم لمضربه وانهض ابا نصر بن ابي زيد الى الامير خلف بن احمد

والى سجستان لحسم اللحاق به وكتب الى الجوزجان الى
الحرث الفريغوني لمثله وطالع حضرة الرضى باستمداده واستظهار
ما يزيد عليه من مثاله فكتب الى القواد بنواحي خراسان بالبدار اليه
وتتابعت الامداد من كل جانب عليه فصار الامير سبكتكين
في جيوش لو راموا الجو لاستنزلوا طائره او وردوا البحر
لأنزفوا قراره وسار للانتقام سيرة الليل غابت كواكبه
والسيل ضاقت مذاهبه وقد كان فائق عدل الى طوس كاتب
الامير سبكتكين مداهنا وطمعه في الاخبار اليه تماديا فيلقى
وجهه بمثاله ويكيل عليه بمكياله وتكفا اميرك الطوسي
احد الامراء النار وذبه عن ابي علي بين الطاعة والمناهضة
والموافقة والمنافقة يقدم رجلا للورود ويؤخر اخرى
للقعود فارسل ابو علي ابا القسم الفقيه اليهما للاستمالة وتجديد
بر ما تقدم الصلة له فنهض اليهما واخذ له الميثاق عليهما وكتب
اليه يستعجله اللحاق بهما فسار ابو علي وتلقاه فائق واميرك بنا
حية الطابران فانفضت كلمتهم على التظاهر والتظافر وخلص

فاسهم في التساعد والترافد واختاروا معسكراً بقرب أندرج
تحصنوا به وقد كان ابو القسم أخو أبي علي قد غضب عليه لعدوله
بولايه هراة ولم تر أعمالها عنه الى المنكو غلامه ونقصه
فيما كان لحظه ويقترحه عليه من أمثالها على وفاية له وولا
اباه والتزامه حكم المشاركة له في كل ما ناله وعراه فتقاعس
عنه عند نهضته من نيسابور أعتلالاً عليه بحصة من أشغاله حتى
اذا انفصلت مدة ارتحاله أيسه من وصوله ووصاله أحوج
ما كان الى عونه ونضاله فزاد ذلك في انخزاله وكسوف باله
وحث الامير سبكتكين تلك الخيول في قصد أبي علي حتى أناخ
بطوس مقابلاً لعسكره فتلاقيا ان الخيول وتشبان الجنود
الى التطارد والتجالد فتفوا على ذلك سحابة يومهم فلما قبض الليل
مسافة ابصارهم عادوا الى مضاربهم وشاور أبو علي وجوه
قواده في مغادات الحرب فأشار عليه أميرك الطوسي وذوو
الحصافة منهم بلجي شعب الخيل والاستظهار على الامير
سبكتكين لمناعة ارجائه وغزارة مائه وسعة العلوفة من

من ورائه ومادته الخرف على أغراء الرجال الطوسيين فطرأ في ٦٥
عسكره مبتئس وخائر ومغير وعابس الى ان يدركه
الهلاك ويلحظه القتل ويتفرق عنه الحشر فعندها نناجزونه
على بصيرة وقوة بريرة واستماحة خيرة فشغب من سمع هذا الراي
من أحداث العسكر وقالوا ما انا لتطاول القوم وتدافع الوقت
لا يعرف الناس انا ملنا عن المصاولة الى المطاولة وعن المساورة
الى المصابرة مما لخبث نسافهم المنيه ولنصبحهم منها كاسا رويه
فانفض عليهم الدهر وصار المامور هو الامير ووثب كلا الفريقين
عند انفلاق الصبح الى الاستعداد للقاء والاحتشاد لحرة
الهيجا واقبلوا على تسوية الصفوف متحوونه بالالوف كآجام
الليوث من ذبل القنا والسيوف وحصن الامير سبكتكين
مواقف عسكره بنخب قبيلته تخب تحت التجافيف الهوا
دكا مارعة وامواجا متدافعة ودنا الفريقان بعضهم من بعض
فلم يرع مسيرة أبي علي الا رهج غبار ثار عليهم من ورا قدهم
تعرضهم ذات اليمين فاذا هم بالامير سيف الدولة في الطم

والرِّمِ والليلِ المُدلهمّ فتزلزلت أقدامهم وطلّت أجلامهم
وأيمانهم ورأوا أنّ ابا علي قد حمل على قلب الأمير سبكتكين
فسا عدوهم على حملتهم تفاديًا عن أتباع الامير سيف الدولة
بهم لمن قواصفوتهم ونفضوا عن الزحام موقفه فوقفهم الأمير
سبكتكين ثم لحق به والتفّ عليه من خواص غلمانه وردّ حملتهم
في وجوههم فارتدوا على ادبارهم وتداخل عليهم سيف
الدولة من وراهم فبقوا محصورين بين العسكرين واخذتهم السيوف
من كلا الجانبين وثار قتام قد خلط البعض بالبعض فلم يسمع
غير وقع البيض المفارق وحطم الدبابيس ما بين الطلى والعوايق
وظلّت خراطيم الفيول تسلب الفرسان من صهوات الخيول
وتلحق القاتل بالمقتول وبلغ سيف الدولة من الاتباع والاتباع
فيهم والاشفاق منهم وصبّ السيوف عليهم ما الوسمع به رستم
سا زمانه لو هنته خدمه عنانه وهذبته آداب سيفه وسنانه
وفات المحصورين بقايا المهج تحت غواشي الرهج وبردايا الاعداء
من بين مشتجر الرماح فانجلت المعركة عن قتلى مضرجين في

بلغ العرض بأصله

الدماء وجرحى مطرحين على العراء واسرى ايسين من الفداء
وركب سيف الدولة أكتاف الفلّ فأسر منهم من قصر عن اقتحام
شعاب الجبل وعمي عليه وجوه تلك المغارات والمداخل وكان
من جملة المأسورين أبو علي بن بغد الحاجب وبكتكين الفرغاني
وأرسلانبك وأبو علي بن نوشتكين وأما سار بن سحان ذور الجبلي
ولشكرستان بن أبي جعفر الديلمي وهولاء اعيان عسكر أبي
علي ونوف فواده ووجوه أركانه وأعضاده وسار ابو علي وفي
بقية من تماوى تلك الجبال ومصاعد تلك القلال الى ان اناخا
بقلعة كلات وهي التي تحفى الرياح بين نعافها وتزل الأبصار دون ذوا
بيها ونشعانها فاضافها بها امير ك الطوسي الى أن ظهر لهما عدد
من سبق ومن لحق وجمله من أجتمع ممن تفرق وكان ابو علي قد
سيّر القبلة التي قبض عليها بباب نيسابور الى كلات في جملة ضمسه
وكتب ابو علي بن بغد الحاجب وسائر الأسرى يذكرون أن الأمير
سبكتكين استدعاهم ومنّاهم ووصلهم وحباهم ووعدهم
الافراج عنهم متى ردّت تلك القبلة الى مرابط أمثالها من

مناخه وسألوه أن يفعل ذلك تنفيساً عنهم وتخليصاً لهم فتقدم أبو علي
إلى أميرك بردها بالإفراج عنهم ونهض هو وفائق على سمت أبيو
رد مصعدين عن تلك المضايق فبعث أميرك بتلك الفيول إلى
الأمير سبكتكين وكتب إليه يريه أنه المتقرب بردها المتفرد
بالخدمة فيها فاستنعم بذلك رتبته وأحبط على أبي علي قربته
وفي ذكر هذه الوقعة يقول أبو الفتح الكاتب البستي

ألم تر ما أتاه أبو علي ... وكنت أراه ذا لب وكيس
عصى السلطان فابتدرت إليه ... رجال يقلعون أبا قبيس
وصير طوس معقله فأضحى ... عليه طوس أشأم من طويس

وسار أبو علي وفائق إلى سواد أبيورد على أن يقصد كورة نسا
فسنح لفائق أن يعدل إلى سرخس لرأي رآه فخذل أبا علي على
المكان وسار بمن معه من الغلمان فلما سمع أبو علي بما به أرسل
إليه بأني غير مفارق على أية حال تصرفت بنا من إجداب وإ
خصاب وإحزان وإسهال وأن ركوب هذا الطريق كان على ما سنح
لنا بادي الرأي من الصواب وإذ قد بدا لك في التدبير فإني تابع رأيك

وها أنا من ورائك توقف له إلى أن ألحق به وسار إلى سرخس ومنها
إلى مرو وحين تسامع الأمير سبكتكين خبر عدولهما عن سمت أبيورد
نهض على أثرهما واستخلف الأمير سيف الدولة على ما فوض إليه من أعمال
نيسابور ضامناً عنه كفاية أمرهما فتبعهما وطاردهما بمرو ثم أخذا فأمعنا
إلى آمل الشط محتجزين بحدوبة المفازة وصعوبة المسافة وانسداد
المسالك وانسدام المناهل وألقيا بها عصا القرار وأرسل أبو علي محمد
بن كثير وفائق عبد الرحمن بن أحمد الفقيه وزيرهما إلى بخارا في استعطاف
الرضى واسترضائه واستيقافه على رعاية حقوق مواليه وأوليائه
فأما أبو الحسين بن كثير فإنه صرف ورده على وجه جميل وكتب
إلى أبي علي في تنبيه وتأميل ورسم له أن ينحرف إلى الجرجانية فيقيم بها إلى
أن يستأنف تدبير أمره بواجبه وأما عبد الرحمن بن أحمد فإنه أمر
باعتقاله ووضع في الحبس على رسم أمثاله وندب من بخارا بعض
المسودة بكتاب إلى مأمون بن أحمد والي الجرجانية ليتقدم بتقييد
حاله وذكر ما أتى من الرأي في بابه فامتعض فائق لما قوبل به
رسوله وعمد على أن يعبر النهر إلى ما وراءه طليحاً إلى ايلك ومستنصراً

اياه ومستنعشا به على ما دهاه، واشار على ابي علي بان يساعده ويجمع
اليه يده ويساعده فان الغرض المقصود في طرحه الى الجرجانية تفريق
ذات بينهما في المساعدة والموافقة والاجتماع على الحادثات باليد الوا
حدة وان الذي عم سائفهم ابدها من الخلاف على تلك الدولة اضطرارا
كان او اختيارا لا يوجب الاغضاء عن تبعاته والذهول عن غوائل ابائه
وجماحه فاختار ابو علي مباعدته على مساعدته ومجانبته على مقاربته
سد الله فما حكم به من صدع شمله وقطع حبله ووضع رحله فليس لرحل
حطه الله رافع ولا لامر شاء الله دافع وافترقا على مناخهما فاما
فائق فعبر النهر الى ما وراءه عادلا الى ايلك مستجيرا اياه وواصلا عرو
ته بعراه فانهض من بخارا على اثره بكتوزون الحاجب فتصادما بحدود
نسف وولى كل واحد منهما ظهره بعد ان ابلى في اللقا عذره فقبله احسن
قبول وقراه احسن منقول ومعقول وضمن له الوفا بامليه ورده الى
ما استنزل عنه من عمله واما ابو علي فقد اخطا الطريق وحرم التوفيق
فسار متقلدا اجنحة من العصيان خجلا لما فاته من فرصة البدار
والاحسان تتخطفه يد القدر بمود الحيرة والسدر وغمت عليه

غياهب القضا مذاهب القضاء فهو يخبط خبط عشواء مستبسلا
للمقدور مستسلما لطوارق المحذور انشدني ابو حاتم الذكر الحنفي في
مثل حاله لبعضهم

اذا اراد الله امرا بامرئ وكان ذا راي وعقل وبصر
وحيلة يعملها في كل ما يأتي به مكروه اسباب القدر
اغراه بالجهل واعمى عينه وسله من عقله سل الشعر
حتى اذا انفذ فيه حكمه رد اليه عقله ليعتبر

نعم ومر ابو علي قدما على سمت الجرجانية الى ان بلغ المسير هزار
اسف وهي قرية تقابل بلد خوارزم من الجانب الغربي فارسل اليه
خوارزمشاه من اقام له نزلا وقدم اليه عذرا ووعده العبور اليه
غداة المشاهرة وقضا حق وفادته وقد كمن له زهاء الفي رجل من
افناء عسكره في خمر الغياض والاجام لاغتياله جنح الظلام وحكى
لي ابو علي الخوشنامي احد ثقات ابي علي وكان قد نهض رسولا من
جهته الى عبد الله خوارزمشاه انه انشده ابياتا لابن المعتز

ورسم له بلغها الى ابي علي على معنى النصيحة وهي

اذا امكنت فرصة في العدو فلا تبد شغلك الا بها
فان لم تلج بابها مسرعا اتاك عدوك من بابها
واياك من ندم بعدها وتأميل اخرى وأنى بها

قال فرونتها له وذلك قبل ان استجاش الى عبد الله منه فقبلها منه بمنة ثم ذهل عنها كأن لم يرعها قط سمعه ولم يستودعها يوما من الدهر ذرعه ولم يعلم انها كانت رمزا من الايام له بارتقاب النوايب واتقا العواقب ولم يدر ان للافعال والاعمال غدا جزا يحق باربابها وحتا او بطا او مسيا وغفل ليلته تلك من الاحتراس وافتدى بغفلته سائر الناس حتى اذا اثقل العيون كراها ونفه النجوم سراها ضجت الآفاق بخفق الطبول وعطعطة الخيول واحيط بالفضا الذي نزله ابو علي في اقباله او نيل المراد من استنزاله فبادر من خف حوله من غلمانه للدفاع وثار بث الجمران (?) الصاع و وجه بنفسه الى زعيم القوم يسأله ما خطبك ولماذا جريك (?)

قال ان خوارزمشاه امر بك فتقرب اليه برفق الاذعان دون عنف الضراب والطعان وهو للفتنة اطفى وللاحقاد انفى ولمايع (?) الاسماع اقصر ثم انت بالراي ابصر فبادر ابو علي الى النزول فاستردفه الزعيم حتى عبر به النهر نحو صاحبه وذلك قبل الفجر من ليلة السبت غرة شهر رمضان سنة ست وثمانين وثلثمائة فامر به الى بعض القصور معتقلا فيه وشد الطلب على اصحابه وقواده فاسر منهم الاعيان والاركان وافلت المكو (?) صاحب جيشه لمن اتبعه نحو الجرجانية ونودي في الافراد وخدم القواد من اقام يومه هذا راسف ابيح دمه فتفرقوا ايدي سبا في الاقطار كشوارد الامثال واعتقل الباقون على صغار وخسار الى ان اذن الله في خلاصهم بوالي الجرجانية مامون بن محمد وذلك انه لما سمع نبا ابي علي وما ارتكب منه خوارزمشاه اضطرب قلقا واضطرم حنقا وبات يرعى النجوم ارقا الى ان استتب له التدبير عليه فرماه بعسكر جرار يستخفون مثاقل الاعمال ويخوضون مشارع الاهوال ويبعدون دراسي (?)

الجبال ويستنزلون العصم من شعف القلال وسار فيهم أبلمنكو
في خواص أبي علي رجال قد أوغرتهم الحفائظ والإحن وأخرجتهم
النوائب والمحن فهم يسعون إلى الثار ونفي العار ودرك الثار فعبروا
إلى كاث مدينة خوارزمشاه وأحاطوا بها إحاطة الأطواق بالأعناق
ونادوا شعار الحرب من كل أوب ودرب فظلت تلفح وجوه رجاله
لجمراتها حتى أجلتهم عنها مذعورين وحصلتهم في ربقة الإسار وهو
زين ودمروا على خوارزمشاه في قرارة بيته فأعطاهم بيديه و
وصل إلى أبي علي فحمل ثقل قيده على كعبه وتبادلت حالاهما في
رفعه من أدبهم النهار فصار الأسير منهما أميرا والأمير أسيرا
وكان ذلك على الله يسيرا وتحمل أبو علي نحو الجرجانية في أحسن
شعار وحمل أبو عبد الله على قتب عار بين خزي وعار فاستقبلها
مأمون بن محمد يقابل أبا علي بالإعظام والإجلال وعوجل أبو عبد
الله من ضروب الإذلال بما جل عن المقال وانسلخ مأمون بن
محمد عن مجهوده في إكبار أبي علي وإجلاله ومشاطرته صنوف
أمواله وأقام العطايا العامة رجاله حتى انتظمت أحوالهم واختل

بهم اختلالهم وقراه ذات يوم وكان قد اتخذ مجلسا كأنما عمل عليه
صناع صنعاء تزيينا وتحسينا وتنضيدا وتجديدا فاحتفى عليه في الشرب
احتفاء لطف ومسألة إذ كان قد هجر الشراب وودعه منذ زما
ن فلما أخذت الكؤوس مأخذها منهما أفرج أحضار خوارزمشاه
فأحضر مجحلا في قيوده ولم يزد في جواب ما سئل عنه وعتب به
به على الإطراق وستر الأرض بالأحداق وجملة أمره أنه أمر
به فأذيقت هامه عن منكبيه فتدحرجت إلى الأرض بشيبته البيضا
كذلك يفعل الله بالبغاة وصفت خوارزم لمأمون بن محمد فد
تب بها من أقام الخطبة برسمه وجبى أموالها على حكمه وتابع
كتبه إلى الرضى متشفعا في أمر أبي علي وسائلا تدبير أمره بما ه
يونس وحسنه ولبث خلته نحو طيب هو وأبو علي في الملمس صحيفة
الملمس رضى ما ينطوي على حقد دفين وداء في الصدر دوي وا
مر أبو علي بالمسير إلى خدمة السرير فلاحت له أمارات قعد بها جد
وأصلد عليها زنده فتنصح نحو نخارا سائرا إلى خدمته بنفسه وقد أغفلت
الأيام قلبه عن ذكر نفثاته ونزلاته ليلقى قدرا مقدورا ولتقضي

الله أمرا كان مفعولا ولما شارف استقبله الوزير عبد الله بن عزيز
والقواد على طبقاتهم مهنئين ومبركين ومضى فيهم الى السهلة ونزل بها
وأخذ يلثم الأرض الى ان بلغ السدة ودفع له الحجاب وسار أمامه
الحجاب الى ان وصل الرضى فاستوى في أدب الخدمة ولبس ذل كفران
النعمة واستنزل بعقبة أبلمنكو في كبار أخوته وقواده حتى اذا نودي
بدابته للخروج من الدار عدل بهم الى بعض الحجر وسلك هو والآ
خرون في القيود والأصفاد واطلق على الوقوف بالباب أيدي الأو
لياء والحشم فطبقوهم بالسلب والنهب وسلخوهم من كل مضيق
ودرب وختمت حال أبي علي بيومه ذلك يوم نطا من قبته صورة
واستقام صعره ونضج له ثمره وأغا على ورده صدره كذلك كفران
النعمة لا يرضى الا بسخط صاحبه وأبساد الزمان عليه بأنيابه ونوا
ورحم الله من قال فلقد أحسن المقال
اذا المرء لم يرض ما أمكنه ولم يأت من أمره أزينه
واعجب بالعجب وأعتاده وتاه به التيه فاستحسنه
فدعه فقد ساء تدبيره سيضحك يوما ويبكي سنه

وقد كان الأمير سبكتكين منتحا بمرو فلما بلغه ايقاع خوارزمشاه
بأبي علي نجارا واوعز في بابه بانقدام ذكره وطلع اليه ذلك كتاب الرضى
عليه بما هم به الله من الانحدار عن الأعالي وحيازة ما في أيدي عماله
من أعمال تلك النواحي يسأله التجشم الخفوف في وجهه والعبور
لكفاية شغله مما للصنيعة عنده في أسحبا دولته واستبقاء طلله
وحوزته فاستشار في ذلك وجوه أصحابه ووزرائه فترجحت الأجوبة
بين تبعيد وتقريب وتخطئة وتصويب فاخذته العزة بالوفا وهزته
الحفيظة للنداء فعدل عن مشورة النصحاء الى صريمة العزيمة والدا
وأقبل على الاستعداد والاحتشاد وبث كتبه الى ولاة الأطراف
وزعماء البلاد يتعجل الورود وتنفيذ الوفود وعجل هو الى العبور فل
تلاحق الجمهور ومضى الى ما بين كش ونسف فخيم بقربه تدعى زاذي الى
ان وصل اليه ولاة الجوزجان والختل والصغانيان وسائر أطراف خرا
سان وورد عليه الأمير سيف الدولة من نيسابور في هيبة راعت
القلوب قد ربتهم الحروب في حجورها وأرضعتهم التجارب من شطو
رها فلم يسمع بعسكر ورا النهر جمع من كبار الملوك وأعيان

القروم وطبقات الجنود ما جمعه ذلك المناخ وبلغ ايلك عبورهم للقاية
فأرسل الى الأمير سبكتكين عدة من شيوخ بابه يذكر أنهما أخوان
في ذات الله تعالى لاتفاقهما على نصرة الإسلام واقتسامهما دار الترك
والجد بالغزو والانتقام وأنهما حكم ما شجر بينهما في اظهار دين الله وافلاج
حجة الله أحق بارتفاعات خراسان وما وراء النهر من مستكلب
يثبت على مآرب نفسه وشهوات بدنه لا يشهد مقاما محمودا
ولا يشهر حساما مغمودا وأن اجتماعهما على حظهما أعود عليهما
من ركوب الخطر واجتلاب الضرر لحظ مخلص الى غيرهما وأنه لا
يستحل في دينه أن يعدل بالسيف عن أعداء الله الى وجهه
الا اذا اضطر اليه ابتداء وسامه الدفاع عن نفسه اعتداء فلحق
أي الأمرين رآه من وفاق وافتراق وائتلاف واختلاف فهو بسم
بناده وجذوا على عواره فرجع اليه أن أعماد الرضي اباه ثم تأمليه
حين خذله ابنا دولته ولقوة انشا نعمته يدسم اليه الاغماض دون
حتف يجري عليه وطل يراد اشياعه من بينه وأن تعتبر بحج
لمحوه على استغراقه أيام العمر فيه أحب اليه من سمه الخذلان

واختيار الإساءة على الإحسان فليقطع طمعه عن النزاع حول ذلك
النزاع أو فليأذن بحرب تحطم فيها متون الصفاح وتقصد فيها عوالي
الرماح وترخص عندها غوالي المهج والأرواح فلما علم ايلك جده
وذاق بلسان الاختبار ما عنده فرع للأمر طيبونه وشد للحرب حيزومه
وذي أجا التل بقداح هي فيما بينهم علامات الاستنفار فثاب اليهم
الطم والرم ٥ جيوش تظل البلق في حجراتها ترى الأكم فيها سجد الحوافر
وكتب الأمير سبكتكين الى الرضي يستعجله اللحاق به ليصدم هيبته
في مناهضة الخصم وفل حده وزجره عن صدر الملك الى ما وراءه
واسحق بن عزيز على نفسه من حركته للمناة التي الجأته الى الهرب
واللياذ به من حر الطلب وشجع الرضي بأن الأمير سبكتكين وعامة
ولاة الأطراف غمروا النهر في أحسن عدة وعتاد وأبلغ استعداد
واحتشاد وأن المحن التي استمرت بك ونقضتك عن محل مثلك ورحلته
سنة الملك عن رحلك فقبيح بك أن تجاور من حاله أجل من حالك
ودرجاته أكثر استظهارا من فرسان رجالك والرأي للسلطان تستعفه
عن ذلك بنفسك في ان تحشر اليه وجوه القواد في جماهير

الأمجاد من أطراف البلاد وكلهم فيما يراه من محاكمة أو مسالمة ومكا
فحة أو مصالحة ليكون فصل الأمر بيده على الوجه الذي هو أخف
عليه وكتب الرضي بذلك إليه فعلم ذلك من تسويل ابن عزيز وأمنا
له وتمويهه واحتياله وقصده أن يحبط عليه سعيه الذي سعاه
في العبور واستمالة الجمهور وحمل الأثقال واستنفاق الأ
موال فسرح الأمير سيف الدولة وأخاه بغراجق في قرابة عشر
ألف رجل إلى بخارا لإزعاجه عن مكانه وسير معهما أبا نصر بن أحمد
بن محمد بن زيد ليدارك أمر الديوان كان برسمه فلما أحس
ابن عزيز بإقبالهم رأى ليث الموت كاشرا عن نابه وغرا
العقاب ناشرا جناحيه للانقضاض عليه فابتغى نفقا في الأرض
أو سلما في السماء حتى إذا أعياه ما توخاه فزع إلى الانحياز ولاذ
بالاستتار فولى الرضي أبا نصر بن أبي زيد ما كان يليه وهو
الشهاب الثاقب والنقاب الذي هذبته المناقب فقام بكفاية
عماده وقوم منآده وحذف عنه ما كان قد آده ووصفه أبو
الفتح البستي بأبيات وفى الصدق بما حقه وسبقه

فديت أبا نصر المرجى لتفريج كل ظلام بظل
له قلم لا يكل إذا كان في الحرب سيف يكل
فيوجز لكنه لا يخل ويطنب لكنه لا يمل
تجود قريحته بالبديع عفوا كجود الهريح
فدق وجل وأولى الكفاة بأعلى الصفاة مدق وجل

وكتب إليه عند استقرار الوزارة عليه

أبلغ معالي كل غاية مجتدى ومؤمل في قصده أن يهتدي
عرج على الشيخ الجليل المرجى دز الوزارة أحمد بن محمد
فرواه ملء العيون وحبه ملء القلوب وسيبه ملء اليد
يعنى أمور الملك دائما بفصله وعزيمة تزري بكل مهند
وبفضائله كسيل ثاعب فيقول سائله غرقت فلي قدي
فأتى الرجا إلى علاه فإنه غوث الردى غيث الصدى بدر الندى
لا زال في يوم أغر منشر بسعادة غرا تطلع في غد
يشتم كل معاند ويبسم كل مسهد ويضم كل مبدد

وقد كان الأمير سبكتكين قد أحس بانقياء ابن عزيز على أبي علي ووجده

في التخلّي عنه لما افتقده في الأيام من التسلّط به عليهم فروّح الرضي بقبوله إلى
ما يقع من نقله إلى جنابه فأوجب قبل وصول سيف الدولة إليه إسعا
فه به وحمل فهو وأبا المنكوب في عماريّة خاتمة لغيبته قاطعة لظهره وأمر
الأمير سبكتكين بنقله إلى جردين في محمل لو رأى من قبل مثله في منامه
لعاف برد الماء على رونقه جمامه واستغنى عن طيب الحياة بافي أيامه
نعم وأعدّ أبلك فيما بين نهوض سيف الدولة إلى بخارا في قبائل الترك
واستئناف مسألة الصلح فأوجب الأمير سبكتكين إجابته إلى ملتمس
لقعود الرضي عن مشاهدته وقصوره إلى أمر نهضته واشترط عليه أن
ينزح عمّا دون قطوان فلا يطلق عنانه ولا يسرّح إليه عمّاله وأ
عوانه على أن يقرّر سمرقند على فائق إلحاحا لشفاعته فيه عما
أسلف في نيّة الرضي من حقّ طاعته وعقد وثيقة الصلح على هذه الجملة
بشهادة الفقهاء والأعيان من الجانبين وانصرف كلّ منهما على وجه
صاحبه وعاد الأمير سبكتكين إلى بلخ وسار سيف الدولة نحو نيسا
بور وهدأ على الرضي ما كان متموّجا من أمور الأعمال وأقبل أبو نصر
على تمهيد الوزارة وأكثرها شغل الإثارة لمنقص الولايات وقصور

الارتفاعات بما كان مثبتا في القديم من وجوه الأطماع والإقامات
وجعل يزجي فيها يوما بيوم ويفصل حالا بحال إلى أن ثار به بعض غلمانه فقتلوه
وذلك على رأس خمسة أشهر من وزارته فضاق الرضي ذرعا بما دهاه لاتفا
قه من ظنّ الأمير سبكتكين أن هناك قصدا في أمره ورضى بالحادثة به وا
ظهر الاكتئاب واستعظم المصاب وبرز من الدار فصلّى على جنازته وأمر
بإقامة التنكيل على الفتكة به وأنشدني المطرّب البوسنجي فيه يرثيه

قلوب الناس إلمه سقاما ونفس المجد والهة سقيمه
وما فجعت بك الدنيا ولكن تركت بفقدك الدنيا يتيمه

وفيه لبعض أهل العصر

لما ثوى صدر الوزارة أحمد وخوت نجوم المجد في ملحوده
أذرت من فرط المصاب مدامعا كالغيث بعد بروقه ورعوده
قل للعذول وقد رأى فرط الجوى والطرف يمزج دمعه بصديده
خفّض عليك فلست فوّلا راجيا دعني أبكّيه بسنخة جوده

ذكر أبي القسم بن سيمجور أخي أبي علي وما أفضى إليه

أمره بعد تقاعده عنه ولما انحاز أبو القسم عن أخيه

اقام مجرده الى أن ورد الامير سبكتكين خراسان من نيسابور فنهض اليه
متعرضا للقائه ومتنصلا الى ما لديه وولائه فرعى حقه ورفع قدره وفك
أسره وضمن له ما سره وخطب له الى الرضي ولاية قهستان فأجابه
اليها وأمر له بالمنشور عليها وجرى الى ذلك بخلع عرفته لمنة الطاعة
وكسبته لمنة الفرح الاختلاط بالجماعة فأوى الى قهستان ساكن الجأش
ظاهر الرياش آمن الجناح مريع المسرح والمراح الى أن سنح للامير سبكتكين
عبور النهر لسد أمر الترك فتقدم اليه بأن يستنهضه الى مجمع أركان الدولة
واعيانها بالضرب معهم بسهم الغناء في كفاية الأمر الحازب وممانعة الخصم
المغالب فحملته نقوى المعايب واساءة الظن بالنوايب وطراءة عهده بخبر
أخيه فيما ادرع من لباس الهوان وتجرع من كأس الذل والامتهان على
ركوب السيئ والادلاء ببعض المعاذير وعلم أن تقاعده عن اجابته سيكون
عند فراغه له داء عضالا ويكسبه خطبا لا يطيق له استقلالا
فبادر الى نيسابور مغتنما خلو خراسان عن حماتها وطابقه أبو نصر
بن محمود الحاجب على فعله ورأيه فتظاهرا على الاستظهار بجمع
المال وأنباء أصناف الرجال وحين سمع الامير سبكتكين

حضورهما بادر بالكتاب الى سيف الدولة في الانحدار الى نيسابور فأمده
بأخيه بغراجق والي هراة لنقض ما أبرم من أمرهما وحصد ما نجم
من شرهما فسار اليهما ولم يربض بها حتى انحط على أثرهما من بلخ كأنهما
في أثر العفاريت فلم يرع أبا القاسم وابن محمود غير أطلال الجيوش
عليهما فأرخيا مطايب الهرب وسارا الى أستوا متقنعين جنة القضب
وركب الأميران أكتافهما يبتليان بها شل النعم حتى لفظتهما حدود
خراسان الى تخوم جرجان وأمد الأمير سبكتكين الى طوس
فأناخ بها الى أن نظر بخبر اقباله فداوى حضورهما للانهزام وا
عجالها دون المقام وعطف اليه سيف الدولة وبغراجق بعد فراغهما
من تفريغ خراسان عنهما محمد بن العهدية وقد كان فخر الدولة
علي بن بويه قد تقرب الى الامير سبكتكين عند مقامه ببلخ على سبيل
الملاطفة بجملة من المبار ومال من العين والجنس على سبيل النثار أعما
حال المحنة واستخلاصا لرضاه وموافقته فقابله الأمير سبكتكين
بأضعافه من الالطاف وزاده عليها بلته من الفيلة الخفاف
وأرسل بها المعروف بعبد الله الكاتب أحد ثقاته فنمى الى فخر الدو

تجسسه عن أخباره وغوامض الطرق المفضية الى بلاده فكتب
الى الأمير سبكتكين يشير الى أن رسول المرء لسانه وعنوان ضميره
وترجمانه وأن فلانا ورد بخلاف باطن أفعاله ظاهر مقاله وكان من بعض
فصوله أنه لو أراد لعلم أن سرير الملك لم يستقر به سرة الأرض الا
بتقلب غلب وأسود سود فجز هذا الكلام في صدره وخدش وجه الحال
التي كان خطبها فخر الدولة الى وده ثم أردف كتابه ذلك بأبي القسم الرسول
أحد وجوه بابه وأصحابه مشافهة مشتملا على ذكر الحال التي يروم عمارتها
في مودته وان الرضي يسمح له بالرعاية الوافرة وبل الحال ببلال المصا
هرة ولمه بربح نظام ذلك وقوامه بأبو جنة من مواصلته وعمارة
حاله من خالص صدره وسأله الاخلاص له من قلبه والاسعاف بحسن
بدي طلبه وطلبه وأن ينطوي له على مثل ما بذله من نفسه ليستحصد
المرائر وتتأكد الأواصر ويستمر التآلف والتألف ويرتفع التخالف
والتحالف فأحسن الأمير سبكتكين أجابته الى ما طلبه والجه من
سيره ما خطبه وصفت الحال بينهما على الشوائب وأسفرت عن
وجوه المنادح والمعايب وأسنى من أبو القسم بن سيمجور لما

الى فخر الدولة عند اليأس من خراسان فاستدناه الى الدامغان وقو
مس وجرجان وفوض له ولمن استلمت جريدته عليهم من حاشيته و
رجاله ما لا بد منه عليهم وسنأتي على بقية ذكره في موضعه وورد على
الأمير سبكتكين مونس الخادم رسولا عن الرضي يستنشره فيمن ير
شح للوزارة لخلو مكانها بعد أبي نصر بن أبي زيد عمد ساعتها ويستقل
بأعباء الكفاية فيها فوكل الاختيار الى رأيه وأظهر مظاهرة من كان
من رأيه فاختار أبو المظفر محمد بن ابرهيم البرغشي لها وحبي بالخلع
والكرامة فيها وتكفل بالأمر كفالة الندب الجدب وقام بالتدبير قيام
النجح المنتدب الى أن اختطف الرضي أجله وعثر بحبوته أمله و
عطف الأمير سبكتكين بعد ذلك الى بلخ وعاد سيف الدولة الى
نيسابور وقد كان أبو الحسن بن أبي علي بن سيمجور مقيما بفايق عند
الوقعة بناحية طوس فلما سمع بانكشاف عسكر أبيه ركب المسا
فة نحو الري فآواه فخر الدولة وأكرمه وخلع عليه فضله و
كرمه وأمر له بخمسين ألف درهم مشاهرة تدر عليه عند ولا
دكل شهر وأضاف اليه من المبار والصلات ووجوه الأحبة

والدّاماث ما لم يبر به عن أشكاله رعاية لحق أبيه ومحا لحصوله مثله في
جمله أو لبابه وحمله أباديه فأغراه سوء القضاء ودرك الشقاء بأن هرب
من مفترش الراحة ومتوسّد الدعة ومضطجع الرفاهية ومرتقى السلا
مة والعافية حتى زج بنفسه في لجة البثور من كورة نيسابور مطا
وعة لهوى له كان زعم بها فظن أستاره تطوي خبره وتخفي عينه وأ
ثره الى أن يقضي من هواه وطره فلم يرعه الا احاطة الطلب به من حوا
لي مستتره فأحضر شوه حاحترس الصب مجره وعجلوا به الحبس من فوره
واحتمل بعد ذلك الى معتقل أبيه الى أن نفذ محتوم القضاء فيه فيا له من
أسير هذا أسره وختم بطابع الشقاء عمره ورحم الله أم المؤمنين أم
سلمة حيث تقول ٥ لو كان معتصما من لمه أحد كان لعاشقه النبي على
الناس ٥ قد يرح الله من قوم غضولهم حتى تهم التي تقضى على الناس
وكان ابن بكر الطوسي قد اختلط بعسكر الأمير سيف الدولة فلما عن
له عبور النهر لقد سامر البرك راى الاحتياط في الاستقضاء منه ملحق
بأبي علي ودونه الى أن حاف بهم القضاء وحق عليهم الانقضاء وكذلك
الله يفعل ما يشاء ولما استقر الأمير سبكتكين من طوس ورد الخبر

بنفوذ قضاء الله في أبي علي ومن كان معه في حلق الوثاق واستشنع خبره
من الملوك والعظماء بأطراف خراسان والعراق في مدة اتصلت كعوبه
أيامها وتناسقت فرائد نظامها كأنهم كانوا على ميعاد وذلك أنه بلغ خبر
خسرامون بن محمد والي الجرجانية في ثلث طائفة من أصحابه بوساطة
ده صنعها صاحب جيشه له فاستحالت الآدبة مندبة والدعوة مناحة
والغاغة عويلا والسرور حزنا طويلا وردفه خبر الرضي في مرضه لم يشك
فيها أيامه حتى ألم به حمامه وانتقل الى ترابه في شبابه وكانت وفاته
يوم الجمعة لثلث عشرة خلت من رجب سنة سبع وثمانين وكلفته
كتاب أبيه بالرضي فرحمة الله عليه رحمة تبرد ضريحه وتروح روحه
فقد كان طودا للملك زال بزواله وذل عن مراسيه بزلزاله وتتابع
المصائب على الأمير سبكتكين بعده في تلك المدة بشقيقة له كانت أعز
أهله عليه وأولاد صغار وغلمان داد وهلم جرا الى أن سقط على الفراش
واستمر من الاستغاثة فتاق بلخ غزنة استروا جا الى طيب هوائها وا
ستشفاء بنسيم أرضها ومائها فأخذ المقدور عليه بالمخنق واخترمته
المنون دون المقصد فنقل في تابوته الى غزنة ومن العجب العجاب

في أمره أني حضرته ذات يوم وقد جرى حديث العلل في أقبالها وزوالها
لها فقال وهو ينشد لكاتبه أبي الفتح قلنا أبا الشيخ في اختطاف المنايا
أرواحنا مثل القطيع يعمد الجزار منها الى الضائنة منها فيطرحها الى الأرض
ويوثق قوائمها بالحبل فلا تزال تقلق لخلاف العادة وتضطرب خوفا لا
مادة الى أن يقضي الجزار منها وطره فيحل وثاقها ويحسن أطلاقها فتتاح
لما أتيح لها من النجاة ويعاد اليها من روح الحياة حتى اذا كانت من قابل
عاد الجزار لعادته فيها فطفقت لها بين أمل وباس ونفرة واستئناس
تظن أن الأمر كما عهدت تارة وتخشى خلاف العادة أخرى الى أن
يقع الافراج فتظفر فرحى بالنجاة وقعود مرحى في النبات فاذا هي الا
الثالثة حتى سلمها الجزار فيمر الشفرة على ودجيها أوثق ما كانت با
لعادة وأبعدها من المخافة وآمنها من الآفة كذلك نحن فيما سامت
علينا من الأمراض وتستمد بنا من الأوصاب بتنا نحسن الظن بما
يطرق منها اذا من الواعية وسارعت بها الناعية وكان بين هذا
التمثيل وبين أن قضى نحبه قدر عداد النحل أياما فقضينا العجب بعده لما
أملاه المقدور في شأنه على لسانه وقد كان قبل وفاته استعده

الدار المعروفة بسهلاباذ وأنفق عليها مالا عظيما فلم يتمتع بسكناها حتى
خذله الرجاء وحق عليه القضاء واغتالها ولده من بعده فأهملوا أمرها حتى
تداعت بالخراب وسمعت بعض الأفاضل ينشد وقد اجتاز عليها
بعده في مدة يسيرة

عليك سلام الله من منزل قفر فقد هجت لي شوقا قديما وما تدري
عهدتك مذ شهر جديدا ولم أخل صروف النوى تبلى مغانيك في شهر
فلما الله دنانا من ضيقه ناكل أولادها عصوفا وجائبه لا ترعى لاضيا
فما أذمه وحقوقا والى الله المشتكى من صروف الزمان وريب
الحدثان ورثاه أبو الفتح البستي كاتبه ٥ ٥ ٥ ٥ ٥

قلت اذا مات ناصر الدين والدولة حياه ربه بالكرامه
وتداعت جموعه بافتراق هذي هذي تقوم القيامه

توكل على الله في كل ما تحاوله واحده وكملا
ولا يخدعنك شرف صفا فاني علمكا وأرى غيلا
فان الزمان يذل العزيز ويجعل كل جليل ضئيلا
ألم تر ناصر دين الاله وكان المهيب العظيم الجليلا

أعز القبول وعاد المخبول وصير كل عزيز ذليلا

وحف الملوك به خاضعين وزفوا إليه رعيلا رعيلا

فلما تمكن من أمره وصار له الشرق إلا قليلا

وأوهمه العز أن الزمان إذا رامه ارتد عنه كليلا

أتته المنية مغتاظة وسلت عليه حساما صقيلا

فلم تغن عنه حماة الرجال ولم يجد قيل عليه فتيلا

كذلك يفعل بالشامخين ويفنيهم الدهر جيلا فجيلا

ولبعض كتاب أهل العصر

مضى الأمير نصير الدين منتقما في فترة لمساع أشبهت علما

قد كان مدة ما قد عاش منتصبا لله والدين والإسلام منتقما

كالليث والغيث طبعا أن حمى وهمى والنجم والرجم شكلا أن سما ورمى

يا من أسال دما جالد الكاشحين دما من بعد فقدك أبكت العيون دما

لئن أباح صروف الدهر ساحته فانظر إلى الملك والإسلام لا جرما

فالدين منثلم والملك منهدم وظل حبل العلى والمجد منصرما

وردف الحادثة به النعي بفخر الدولة علي بن بويه وكانت وفاته في شعبان
سنة سبع وثمانين وثلثمائة وكان سبب انقراضه أنه فرغ القلعة التي
استحدثها على جبل طبرك مرتاحا للأنس فاشتهى طرائح من لحم البقر فجعلت
بين يديه واحدة وطفق أصحابه يلطمون من أطايبها وهو ينال منها
وأتبعها بعنب فتبدد كرمه وداخلته القولنج بينهما كلا ولا فلم يلبث أن
لوى عليه جوفه واتصل على الألم صوته إلى أن جثم عليه موته ورثاه أبو
الفتح البستي بقوله

هي الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشي وفتكي

ولا يغرركم طول ابتسامي فقولي مضحك والفعل مبكي

بفخر الدولة اعتبروا فإني أخذت الملك منه بسيف هلك

وقد كان استطال على البرايا ونظم جمعهم في سلك ملك

فلو شمس الضحى جاءته يوما لقال لها عتوا أف منك

ولو زهر النجوم أتت رضاه تأبى أن يقول رضيت عنك

فأمسى بعدما فرع البرايا أسير القبر في ضيق وضنك

أقدر أنه لو عاد يوما إلى الدنيا تسربل ثوب نسك

دعي يا نفس ذكر كنى ملوك مضوا بل لا تفاضل وابكي

فلا يغرنّ هلال الليث نشأً عن الظبي السالب نمص مسك
هي الدنيا أشبهها بشهدٍ يسمّ وجيفةٍ طليت بمسك
هي الدنيا تمثّل الطفل بيننا تقهقهه أذ يبكي من بعد ضحك
ألا ما قوضنا أسهموا فأنا نحاسب في القيامة غير شك

فأما مأمون بن محمد فإن ابنه عليًا ولي الأمر من بعده وتسارع الناس إلى بيعته وعاد الملك إلى بهائه ورونقه وأما الرضى فقد كان عهد بالملك إلى ابنه أبي الحارث منصور بن نوح فلما استشعرته الموت ومضى لسبيله تناصر على بيعته الأولياء والحشم وفرغ بقايا الأموال وخبايا الذخائر والأعلاق في أعطياتهم وتحقق أطماعهم حتى استوى سفت أمور الجماعة واستقام الكل في الطاعة وبقي أبو المظفر محمد بن إبراهيم في الوزارة وأما الأمير سبكتكين فقد كان عهد إلى ولده إسمعيل واستخلفه على أعماله وأوصى إليه أمور أولاده وعياله وجمع وجوه حجابه وقواده على طاعته ومتابعته والرضا بإمارته وولايته فلما طرق الناعي به تبادروا إلى عقد البيعة له وإمضاء الوصية فيه واستقر إسمعيل بعد قضاء المأتم على سرير الإمارة وأمر بفض الختوم

عن بيوت الخزائن وصبّ الأموال حتى أرضى الرجال وأما فخر الدولة فإن عسكر الديلم أجمعوا على ولده الأمير مجد الدولة أبي طالب رستم بن فخر الدولة ففوضوا الأمر إليه وحفظوا نظام الملك عليه ولقبه السلطان مجد الدولة وكهف الملة وسأل بي أن كل واحد منهم جرى على الأثر وأنشدني أبو منصور الثعالبي لنفسه في عجائب هذه السنة وتبدل أحوالها وتنافي أمرائها فقصده منها هذه الأبيات

ألم تر مذ عامان أملاك عصرنا يصيح بهم للموت والقتل صائح
فنوح بن منصور حوته يد الردى على حسرة ضمّتها الجوانح
وقابوس بن منصور في يوم سرخس مزّق عنه ملكه وهو طائح
وفرّق عنه الشمل بالسمل فاغتدى أسيرًا ضريرًا تبتكيه الجوانح
وصاحب مصر قد مضى لسبيله ووالي الجبال قد غفته الصفائح
وصاحب جرجانية في ندامه ترصّده طرف من الحين طامح
تساقوا كؤوس الراح ثم تشاربوا كؤوس المنايا والدماء سوافح
وخوارزمشاه شاه وجه نعيمه وعنّ له يوم من النحس طالح
وكان علي في الأرض يخبطها أبو علي إلى أن طوحته المطاوح

فعارضه ناب من الشر أعصل وعن له طير من الشؤم بارح

وصاحب بست ذلك الضيغم الذي بزأرته للمشرقين مفالح

أناخ به من صدمة الدهر كلكل فلم تغن عنه والمقدر سالح

خيول كأمثال السيول سوائح وفيول كأمثال الجبال سوارح

جيوش إذا أربت على عدد الحصى يغص بها فيفاؤها والصحاصح

ودارت على صمصام دولة بويه دوائر سوء بلهن فوادح

وقد جاز والي الجوزجان فناطه لحيوته موافته المنايا الطوائح

ووافى المحتوم قد جث عمره ففاض ولم ينبذ به في الأرض نابح

مضوا في مدى عامين واختطفتهم عقاب إذا طارت تخر الجوارح

وكان بنو سامان أطواد عزة فأضحت لصرف الدهر وهي أباطح

أما الله فيهم عبرة مستفادة بلى إن نهج الاعتبار لواضح

تسل عن الدنيا ولا تخطبنها ولا تخطبن قتالة من تناكح

فليس يفي مرجوها بمخوفها ومكروهها إما تأملت راجح

لقد قال فيها الواصفون فأكثروا وعندي لها وصف لعمرك صالح

سلاف قصاراها ذعاف ومركب شهي إذا استلذذته فهو جامح

وشخص جميل يؤنق الناس حسنه ولكن له أسرار سوء قبائح

ولما أفضى أمر الإمارة إلى أبي الحرث منصور بن نوح وهو في حداثة البلوغ وينع الشباب وعند مشتعل الحركة ومستصبح النجابة ومستوضح الأصالة والإصابة أقام أبا المظفر محمد بن إبراهيم وزيرا وفوض الملك إلى غاية بر كفالته وتدبيرا وكان عبد الله بن عزير أتقى شوكة الأمير سيف الدولة عند قصده بخارا بالإصعاد إلى الأعالي فلما انقرضت حيوة الرضى أطمع أبا منصور محمد بن الحسين الإسبيجابي بخراسان وحمله على الانحدار إلى بخارا مستعينا بالملك الخان على نيل الأرب المنشود وإصابة الغرض المقصود فنهض أيلك لصاحبتها وسار إلى سمرقند بها حتى إذا أناخ بمنتج على ظاهرها أتاه أبو منصور في خف من غلمانه زائرا فأحبسه بعلة الطعام وأصحابه بين الحسم والاستحمام فأمر به وابن عزير فشدا في حلق الوثاق وقرنا في قرن الاعتقال وأرسل إلى فايق فلما أتاه أجله ورفع محله وخفض مكانه أثباراله وضم إليه ثلثة آلاف رجل وأمره بالمسير لبخارا على مقدمته فسار على ما رسم له فلما بلغ أبا الحرث خبر إقدامه ارتج عليه وجه الصواب وصر عليه رجل الغراب

وأعلمته قطاعة الخبر عن التدبير فبادر إلى العود بمن معه من صغير
وكبير ودخل فائق بخارا فبادر إلى التراب ولثم خد الأرض وجلس مجالس
الحجاب وأظهر القلق والارتياع لإخلال أبي الحارث بدار عزه وشرفه
ومقر الماضين من سلفه وحشم مشايخ بخارا في مسألته تقديم الإياب
وتعجيل الانقلاب فوثق إذ ذاك به وأمر بالقاب إليه في إحماده
بطاعته وتقربه فكان مفتتح ما خوطب به من جمل المخالصة ولك
الله ذمامه والمناصحة أمانه بعده وبرشده لمسعود وفوقه حث
وفقته هذه ومحمود تصرفه حيث صدقته تلك وأراح أبو الحارث الإ
نصراف في حين أمن جانب الخلاف وستقبل صيلم الرأي بكتوزون
وهو الموسوم بالحجبة الكبيرة على بابه إلى نيسابور على قيادة الجيوش
ولقبه بسنان الدولة ثم عبر النهر عائداً وراءه فتلقاه فائق مبدياً سيم
العبودة ومؤدياً فرض الطاعة المحمودة وانكفأ به إلى بخارا فاستقام
له الأمر وحمد ذلك الجمر وقد كان بين فائق وبكتوزون سخيمة وإحنة
بينة الصدر قبله فاستعطفه أبو الحارث على الإغماض لهما والإغضاء
عنهما والعفو عما حزت صدره منهما استبقاءً لاقتدائهما في الطاعة

واستجماعاً لأهوائها التابعة أمور السامانية على بكتوزون في جبى أموال
خراسان لأبي الحارث من غير منازع ولا مدافع إلى أن طارق النقمة
في رأسه فارتقى من قصد سلطانه وولي نعمته إلى ما تعرض به الملك للهلك
والدولة للعولة وأزاح الدهر بعار لا يرحض عنه وضرره ولا تدفع عن وجهه
معرته

ذكر ما جرى بين الأمير سيف الدولة والأمير إسمعيل بعد إصابته في الإمارة منصب أبيه

ولما اخترم الأمير سبكتكين واستقر الأمر على إسمعيل طمح أهل البلد
إلى مال البيعة فأمر به وأطلق لهم استخفافهم المغتنم استصلاحاً لذات
البين ثم أحس القوم خوراً في عوده ورخاوة في عنان تدبيره لحداثة
سنه وطراءة شبابه ولإشفاقه على نفسه من جانب أخيه وقصده
وانتزاعه الأمر من يده فاستوطؤوا مراكب الطمع واستسهلوا جانب
التحكم وتحزبوا للمطالبة بزيادات على الرواتب لهم حتى استغرق
ذلك ما خلفه الأمير سبكتكين وخلت الخزائن عما يسع الاستظها
ر به فاضطر إسمعيل إلى أن يفرع فيما ينوبه أيضاً من مؤن أطماعهم إلى العدة
التي كانت مذخورة له بغزنة فلو بقوا على حملتهم في الشغب عليه

فأطمع الانتصار وخلف ما أراد واستغر

لأسرع تمزق شمل تلك الأموال وتفرق جميع الأموال والرجال
ولما ورد على الأمير سيف الدولة نعي أبيه وقضى أيام المصيبة بادر
بالكتاب إلى أخيه إسمعيل وتعزيته عن عارض الرزية وأتبعه بأبي
الحسن الحمولي في أذكاره بحق الكبير وما يجب له بحكم الزعامة على أهل
البيت وتعريفه أنه بمنزلة العين الباصرة أو أعز واليد الباطشة أو
من وأنه سيبلغ في أمره كلما يهواه ويرضاه ويتعلق به مناه وأن الأمير
سبكتكين إنما أفرده بالوصية لإعجال المنية إياه عن وضعها موضع
الاستحقاق للضرورة العارضة من بعد المسافة ونفاذ الشقة
وأن الرأي فيما هيأه له من توفيته حكم الرياسة ومنشأ طرته الإرث
من ذخائر الإمارة وإفراده بغزنة التي هي وكر عشيرته وحاميته و
معشش خاصته على أن يحفظ عليه مكانه من بلخ وما يليها أو ينقله
إلى نيسابور على ما كان يدبره من أعمالها ونواحيها فاستشعر إسمعيل
ما كتب الله عليه من النكبة في أيامه حتى كأنه يراه رأي العيان ويدرس
عليه كتاب البرهان فلم يرده على الإباء والالتواء وتعرض بتلك الأ
موال للالتواء وتوسط والي الجوزجان أبو الحارث بينهما على أن يسلك

نابض الخلاف ويقفهما على نقطة العدل والإنصاف وأراد كل منهما
على الذي قبله ليبنا فيه كل منهما ما يفصح به من مراده ويفتح به من ذات إذ
كانت لوجوه المشافهة حرمة يعز مثلها على ظهر البعاد وفي حال التحيز
والانفراد فأما الأمير سيف الدولة فإنه رأى ذلك صوابا وأوجب من
نفسه إسعافا وإطلاقا وأما إسمعيل فإنه تلدد في الإجابة ولحظ الأمد
بعين الاستراية ورأى التسمح بما يقترح عليه من مال الإرث وإن
كان فادحا كله أهون عليه من ذلك مراما وأيسر محملا والتزاما ذعرا
مكن من نفسه وسرى إلى صميم قلبه وخيفة سالت به في أودية
الظنون ونفرته عن صميم الفؤاد للسكون وأنشدته ذات يوم أبيا
تا لسيف الدولة الحمداني في أخيه ناصر الدولة معرضا بالألفة
لي هوا ولما تمادى وأخصب مرتعا ومرادا وهي

رضيت لك العليا وإن كنت أهلها وقلت لهم بيني وبين أخي فرق
ولم يك لي عنها نكول وإنما تغافلت عن حقي فتم لك الحق
ولا بد لي من أن أكون مصليا إذا كنت أرضى أن يكون لك السبق

فرجعت عن مقاصدها من خدعه وطاشت سهامها دون الغرض

المفقود لها من سمعه وتعلل الأمير سيف الدولة بتدبير ما عراه لاستعما
الرفق على الخرق وإيثاره الرفق على الخرق وميله للمداراة على الملاحاة و
الموافاة والمناواة واختياره البر على الجفاء وادخاره الكي لآخر الداء
حتى إذا غار نجم المودة ورق جلباب الحشمة استعد لإتيان
الأمر من بابه ورد المنتزع منه إلى نصابه وخاطب الأمير أبا الحرث
بما عن له من المهم الذي لا يسعه عن تلافيه وتمثل الكنانة الوسع والطا
قة فيه وسار في خواص غلمانه ورجاله وقواد الهند وبين لأتباع منا
له إلى هراة واستأنف بها مكاتبة أسمعيل بين وعد ووعيد ولين
وتهديد وترجيح بين اليأس والأمل وتنبيه على مواقف الندامة
والخجل فلم يغن ذلك منه فتيلا ولم ينقص من قوى عقده سحيلا ولا برا
جعت المكاتبات بينهما حتى جد مزاح الكلام واشتد لج الخصام
وأعيى فيصل الأمر الأحد الحسام ودعا الأمير سيف الدولة
عمه بعد ذلك إلى مساعدته وموافقته واتباع مصلحة البيت
بمتابعته فتسارع إلى طاعته وأقر بالحق عليه في متابعته وا
تباع رايته وخف معه الجيش وبها الأمير أبو المظفر نصر بن ناصر

الدين سبكتكين فصادف الأمير سيف الدولة منه وليا مطيعا وصفيا
إلى الانقياد سريعا هوى منه لم يرض بزمام وخطام ومحبة لم تذلل
بأسراج وإلجام فتبرع بالانقياد وتسرع إلى المراد وجرى في
حلبة الطاعة طلق الجواد ولما أسمعيل بحبل الأمير سيف
الدولة على جانب غزنة سبقه إليها من جانب بلخ متجردا للممانعة
محتشدا للمقارعة والمدافعة وسار سيف الدولة في عمه وأخيه
وسائر أوليائه ومواليه حتى إذا أناخ بظاهر غزنة وقد تطاير
إليه من قبل كتب الأعيان من قواد أسمعيل في ثمالاته عليه لما عرف
قوة من وهى أمره في الرياسة وضعف يده عن حق السياسة وقد
دد السفر بينهما في الاستصلاح وكف عادية الكفاح فأبى الله إلا ما
كان مقدورا وجعل الحق مشهورا والمحق منصورا واستدب
الأمير سيف الدولة للحرب فعبى المواكب ورتب الجيوش كواكب
وزحف إلى القتال في رجال كالرماح أو كالنصال الصفاح يهشون للقراع
هشاشة الأطفال للرضاع ويرتاحون ارتياح الهيم للماء القراح
سفع الدروع وجوههم فكأنهم وأبوهم سام أبوهم حام

تخذوا الحديد من الحديد معاقلا سكانها الأرواح والأجسام
مستسلمين إلى الحتوف كأنما بين الحتوف وبينهم أرحام
آساد موت مخدرات ما لها إلا الصوارم والقنا آجام

وبرز أسمعيل لمن شايعه من مواليه وتابعه من رجال أبيه وقد حص الصفوف بقبلته العظام كأنها أركان يذبل أو هضاب شمام ودنا الفريقان بعضهم من بعض ضربا بالسيوف البواتك وطعنا بالرماح الفواتك ورضا للهام من تحت الترايك وظلت رحا الحرب تعركهم بثفالها وتدور عليهم بأثقالها إلى أن رمت الشمس بجمرات الظهيرة وقد لاذ بالأمان من سبق وعزه وطلع بالإقبال سعده وعندها حمل الأمير سيف الدولة بنفسه فتداعت الزحوف وتخالطت الصفوف وخطبت على منابر الرقاب السيوف وثارت عجاجة أخذت العيون عن الأشباح وأذهلت النفوس عن الأرواح وتبرت الأعناق بأيدي الصفاح وأقصعت الحماة من وقع السلاح وظلت سنابك الخيول تردي على جثث النفوس وتلعب كالكرة بالرؤوس ٥

تجري الجياد من القتلى على جبل ومن دماهم بدحض زاحل
ومن جماجمهم يقعدن في نشز ومن ذوائبهم يمشين في شكل

فلم ينشب أن أسفر مقامها عن مساقط أبدان تحت أبدان وأجسام فوق هام وهام الآخرون على وجوههم يسبحون طول الأرض خوفا من حد العقاب ومر الحساب وانحاز أسمعيل إلى قلعة غزنة متحصنا بها في العاجل من مس الطلب إلى أن تلطف له الأمير سيف الدولة فاستنزله على أمان وحسن ضمان ومجاورة لمعروف وإحسان

ذكر ما جرى بين أبي القسم بن سيمجور وبكتوزون

بعد ذلك وقد كان أبو القسم بن سيمجور انتقل إلى جرجان بعد انقراض فخر الدولة على طاعة ولده فضوى إليه من شذ عنه من عسكر أخيه وموالي أبيه واتصل به طوايف من أبطال الأكراد والعرب فاشتدت بهم مناكبه واحتدت أنيابه ومخالبه وكانت الحشمة التي ينطوي عليها فائق لبكتوزون ترصده بالحبايل وترميه بأغوال الغوائل فأرسل إلى أبي القسم يحرشه عليه ويغريه به ويعده ما يليه من قيادة الجيوش متى أخلاه عن مكانه وجلاه في معرض العجز عن سلطانه حتى أجهضه عن جرجان تاركا للعين المضمار وعارضا للملك على خطر القمار

وكان مثله كما قيل

وأبي وثربي ندى الأكرمين وقدحي بكفي زندا شحاحا
كتاركة بيضها بالعراء وملبسة بيض أخرى جناحا

فتفضل عنها قاصدا فقصد نيسابور في جماهير أصحابه ممن ضرستهم
وقائع الحروب وحنكتهم قوارع الخطوب وكونهم صروف الأيام
بمياسمها ودارستهم أحداث الليالي بمناسمها وأقطع أبا علي
بن أبي القسم المعروف بالفقيه على مقدمته إلى اسفراين وبها بعض
قواد بكتوزون فالتقيا هناك على حومة الحرب وتساقيا كؤوس الطعن
والضرب وتداركت الأمداد على أبي علي لقرب الخطى بينه وبين
صاحبه فجفل عنه أصحاب بكتوزون منهزمين إلى نيسابور وقد
أمتنهم أثر جرح وكسر وقتل وأسر وسار أبو القسم سير
السحاب يحثه ريح الجنوب حتى أناخ بظاهر نيسابور مستظلا
بشوكة رجاله وشكة أبطاله فأرسل إليه بكتوزون يعلمه أن
الحروب سجال وحسن الظن بعواقبهما محال وأن في قدح باب
البغي تعرضا للبلاء واستنادا على سوء القضاء وإنا نصبر على الكفاح

مع المقاتلة

من لم يجد وجها للصلح والصلاح وأما من كان في فسحة من الرأي ونُدحة
من الاختيار فإنه ينفس بنفسه عن أن يتغرر بها في مباشرة القتال
ومساورة الأبطال ومعاسة الأهوال وأن الرأي له أن يعدل
إلى قهستان ليتجدد له من الأمير أبي الحرث ولاية هراة معيار عاتبه
لحق خدمته وقدمته وسابق مواته وأذمته فضربه أبو القسم بأذن
مستثقله عن الانتصاح منسده عن الصلاح وحمله الإدلال بحاله في
رجاله على التحكم والتسحب والتمنع والتعصب وأهاب بعسكره إلى الحرب
فاصطبحوا على مسافاة الطعان والضراب ومعاناة الجراب ببيض
الصفاح وزرق الحراب ذاهلين عن مصرع الغرور وأيقن بمطلع
النجح والظفر وعبى بكتوزون رجاله القتال وأشباله الأتراك في سا
ير من أظلتهم رايته من قواد الأمير أبي الحرث وأنصاره والمعتصمين
بذمته وشعاره فالتقوا فثار لهم قرن تدعى سيحه بظاهر نيسابور وأخلى
أبو القسم منهم هجوما ورجوما ولاقت مكارته للحفاف فزوما وا
شتبكت الحرب بينهم نحا بالمناصل وضربا بالمعاول ووخزا بأطراف
العوامل واستعلى أصحاب أبي القسم فيهم كالنار في دقاق العوسج أو

بئس العتيق فضربا هبرا وطعنا نثرا ورميا سعرا وطرحوا ميمنتهم على ميسرتهم طردا وزجرا وقسرا حتى إذا ظنوا أن قوادم الهزيمة قد أفرخت لهم عن خوافي الغنيمة صدقهم بكتوزون قلب أبي القسم حملة أزلقتهم عن المقام وأعجلتهم للانهزام فانصاعوا مخذولين مفلولين يقودهم الخجل ويسوقهم الخوف والوجل وقبض في منهزمهم على أبي الفضل أحد أركان أبي علي في أيامه مشهور رأيه ودهائه ومذكور عنائه ومضائه وعلى عدة من قواده ووجوه سواده وفر أبو القسم في عسكره هاربا على وجهه حتى أمن به الوجيف إلى قهستان وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة وكتب بكتوزون إلى بخارا بذكر الفتح وما يسره الله من عسير النجح فسر الجمهور وأثلج الصدور لمخلا فائقا فإنه اغتم واهتم وكاد أن يعقد المأتم وسار أبو القسم بعد ارتياشه وانتعاشه إلى بوشنج متحكما في أموالها وأعمالها وناهضه بكتوزون لانتزاعها من يده وتوسط السفراء بينهم على وصلة انعقدت بينهما ورهنه أبو القسم أخاه المعروف بأبي سهل فارتفع بينهما الخلاف وحصل الاتفاق والاصلاح وعاد أبو القسم إلى قهستان وكر بكتوزون إلى نيسابور في رجب من

هذه السنة ووجدت بين فائق وأبي المظفر محمد بن إبراهيم ملاحاة في تدبير الأعمال والأموال فأرصده لها بالسوء وقصده بالمكروه من أكثر الوجوه فلاذ بأبي الحرث من قصده واستأمنه على نفسه فآواه داره وأدر عليه مباره وأتاه فائق يسأله تمكينه منه وأشار بمجبهه بالرد وأغلظ له القول فخرج من مجلسه على حد منكب يتحدث بالانقطاع إلى النزل والإخلال بكفالة الملك حتى سفر بينهما مشايخ بخارا فقفاوا فائقا عن أمره واستماحوا الأمير أبا الحرث حسن عفوه وإغضائه وسير أبو المظفر إلى ناحية جوزجان وشد مكانه بأبي القسم البرمكي فصدقت فيه فراسة المعروف بالمضاء الشاعر حيث يقول

وكنا زمانا نذم الزمان ونزري الوزارة بالبلعمي
فأخرنا العمر حتى انتهت من البلعمي إلى البرغشي
وسوف تزول على ما أراه منه قريبا إلى البرمكي

وكان أبو القسم هذا موسوما بالفضل إلا أن أغلب الصفات عليه صفة البخل وحين ولي الوزارة نافس أولياء ذلك الباب في أعطياتهم الواجبة وجراياتهم الدائبة وعارض أطماعهم في خاصته

بن نجاح ووجه على الرد وقاح فلم يرعه الا دبيب الاتراك فهشم قذاله
ودرس على عظامه وأوصاله ولقد أحسن من قال

يقول لي دعبل في ثوبه جبل ولو يشاء بي دعبل جبلا
لا والذي سبك الصهبا من ذهب والكاس ياقوته ما سادني خلا

وأستنزل الأمير سيف الدولة أخاه أسمعيل من قلعة غزنة على أمان بذله وضمان أجمله وتسلم منه مفاتيح الخزائن وأحاط بذوات الأعلاق والدفائن وجبر له كسر حاله وأعاد اليه رونق مآبه وجماله وشحن غزنة بثقاته والثقاة من حماته وأنجذب الى بلخ في عامة أوليائه وأنصاره وقد أنتظم له ما أنتشر بعد أبيه وأستقر عليه ما سعى في تلافيه فغصت شعاب بلخ وضواحيها بطبقات رجاله وعلامات الأعلام من أقباله فكتب الى الأمير أبي الحرث بذكر أقباله وحذفه فضل الشغل كان بأخيه عن باله وأنه قام مقام أبيه في المحاماة عن الدولة والفضل عن الجملة والأقبال على حقوق ما يعرفه من بركة أصطناع الرضي وأصطفائه وتقديمه على أبناء جنسه وأوليائه فأرسل اليه أبو الحسن العلوي الرضي الهمذاني في تهنئته لمقدمه وأظهار اليمن بموطئ قدمه وعقد له على بلخ وا

ترمذ وما والاها وديار هراة وبست وما تاخمها وداناها وملطف للأعتذار اليه من أمر نيسابور حرصا على ترضيه وكراهة لصرف بكتوزون الا بطلبة تقتضيه فعلم الأمير سيف الدولة أن تلك المنافسة صادرة عن تمويه الحساد وتلبيس المنافقين والاضداد وأن ذا الحقد ليس له علاج وأن صلاة النجح بغير فاتحة البر خداج فأرسل الى الأمير أبي الحرث ثقته أبا الحسن الحمولي بهدايا تضيق بمثلها سمح النفوس وتضيق عن قدرها رحب الصدور ورسم له أن يحجب سمعه عن تضريب المضربين وتثريب المثربين وأن يتلطف لأستخلاص سره وأستصفاء محله فلعله ليرتفع الحشمة وتتأكد العصمة وليستحكم الثقة بأن يحسمه بعد صاحب خراسان على موالاته وتدبير أموره وولاياته فلما ورد بخارا أعرض عما وجه فيه وعرضت الوزارة عليه لموافقة مورده خلو صدرها عمن يستقل بأمرها فكان مثله

خلت الديار فسدت غير مسود ومن الشقاء تفردي بالسودد

وأشتغل بالوزارة عن حق السفارة وأقبل على وجه الامر بوجه المجد المستبد يستدرك ما أتى عليه الدهر وكيما نام عليه الجهد وأن يصلح العطار ما أفسد الدهر وأنشدني المضراب لنفسه ه ـــ ه

وكنا نذم الدهر من غير حنكه بوسفه والبلغي وغيره

إلى أن رمانا بالعفاريت بعدهم وعاندنا في عيشه وعسيره

وما فقدناها بابن عيسى وجوره وفي عز أبي زيد السفنه وسيره

فلم نرض بالمقدور فيهم فأمنا نحل تيسير في الورى وعويره

ولما احس الأمير سيف الدولة بصورة الحال في تناقض الآراء وتحا

ذل التدابير والأهواء وأشراف الملك على الضياع بمداهنة النصحاء

وأعنائهم صلاح أنفسهم في وجوه المقاصد والأنحاء عدل الى نيسا

بور الى ما كان بلبيه في جاهه أوليائه ومواليه وحين سمع يتوزون

بأعماله نزحزح عن نيسابور قصدا أنفا على عدته وعتاده وأسفا

على عدد رجاله وأجناده وكتب الى الأمير أبي الحرث بفصوله عن

مكانه أخذا بالوثيقة ومحاماة على الحقيقة وأخبر اسا من عزة اللقاء

قبل اختيار العزيمة والراى فحملته سكرة الحداثة ونزقة الصبى

والغرارة وقلة النظر في العواقب وعدم الحظ من التجارب على

الأعداد وسابر جانبيه وسار الى سرخس كالسهم صادرا عن

وتره والسيل سائلا الى منحدره فعلم الأمير سيف الدولة أن قصده

اماه من نتائج التغرير ومائل الراى والتدبير ومهانة الناصح والمشير أذلهم

في قوة القوم مناواته على شدة باسه وملاقاته على قوة مراسه أذلوا قدمهم

بعض نجومه لما دارهم رمادا تذروه العواصف وتقسمه الشمائل والجنا

ئب لكنه رأى أن يغضي جفن الاحترام ويحمي ستر الاحتشام ويرعى سابق

الحق والذمام فخالف طريقه الى مرو الروذ منفرجا له عن نيسابور الى أن

يمكن من ارتجاعها بسنه تشترك في معرفتها الخاصة والعامة وحجة على

مناويه ومخالفيه تتصورها الحاضرة والبادية وعطف الى قنطرة راغول

تحتمها مراعيا لما يسفر عنه التدبير ويكشف عن حقيقته الضمير وبادر

ملمورون إلى مناخ الأمير أبي الحرث وهناك فائق في قضه وقضيضه ولفه

ولفيفه فلما وصل إليه أنكر محله لديه لتقصيره في حق مقدمه وجناه عليه

وشكا الى فائق ما أنكره وشكا إليه فوق ما ذكره وتذاولا بينهما ذكر

معايبه ونقاوة خشونة جانبه وحزونة أخلاقه وضرائبه وأغريا

هل العسكر بطمعه والناس اللاجئة في الاستبدال به فأجمعوا منها

في حرير المساعدة حرصا على لذة الاستطراف وأعنانا لنهزة الا

ستضعاف فأستحضره يتوزون بعلة اجتماع العسكر لمهم أجنبي النظره

فيه وأشارته بوجه الصواب في تلافيه حتى إذا أحضره حضرة ووكل به من
سمل بصره غيرا أو لخنقه بطليعتي حبوته أحسن ما كان رداء أجال وعو
دا اعتدال وطلعة هلال وروعة عزة وجلال ولقد أجهش إليه عند الا
ستسلام في حاجة له ثلث خفاف المؤنة عليه منها صيانة من فاتت الى الصبا
نه عنه عن ذل المناظرة على مال المصادرة فكابده لخلاف حاجته وتعيض
مسألته أليما بالنار المستعرة في صدره ومضاعفة لثقل المحنة على ظهره
فعل الموتور الا شوى له ولا بقيا معه وعمه هو ووافق إلى أخيه عبد
الملك بن نوح وهو أصغر منه سنا وأضعف ركنا فأقامه مقامه وسدا به
مكانه وماج الناس بعضهم في بعض للفتنة الشاغرة والأحوال المتنافرة
ونذر الناس بالأمير سيف الدولة متخيم بقنطرة راغول فكروا على
أدراجهم كالبعافير الراعية راعتها الفوارس وأحاطت بها الكلاب الهوا
هس حتى أخذوا أقدارهم بمرو وأرسل الأمير سيف الدولة إلى الفائق
بالندى لجهز إليهما ما ارتكباه في ولي النعمة من إذالة الحشمة وإضا
عة الحق والحرمة غير ناصرين للدين ولا متحرجين للإسلام والمسلمين
ولا متهيبين للأحدوثة الشنعاء على ألسنة الناس مدى دهر الدا

وأسمت المراجعة بليتهم في الحادث الكائن وقعا بحيلته عن انتهاز الفرصة
فيهما وإهمال الغرة تطميعا له عن صاحبيهما في جديد الرعاية ومزيد الو
لاية وكلاهم بالإحجام على وجه الاحتراز طالبته سعادة الجد بالإقدام
وحرضته على الانتقام للدين والإسلام ثم رأى أن يزحف عن مناخه إلى
ظاهر مرو ليبلون لطافة الصلح وجاها أو سفاهة السيف شفاها
ولما تسامع القوم بإقباله دب الفشل في تضاعيف أجسادهم وسرى
الوهل في تفاريق أعضائهم واستطار الخوف في مزاج دمائهم ولما
سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكو
نن من الخاسرين وأبى الله إلا أن ينتقم منهم بسيف سيف الدولة جزا
عن فعلهم الفظيع وخطبهم الشنيع وسعيهم المذموم عند الجميع فصبه عليهم
صوب عزالي الغيث بنو المرزمين غير أنه غيث قطره غث وغمه حثو
ضيم وسحائب جملة عذاب وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظا
لمة إن أخذه أليم شديد وتبدد فائق وبكتوزون وأبو القسم بن سيمجور
تلو أخيهما عبد الملك بن نوح وسائر أهل العسكر إلى ظاهر مرو ومقابلين
لعسكر الأمير سيف الدولة تعلنان بجلادة وتيسران بلادة و

وسدمان ظاهر العيون وبحار خفقة الجدب الزنون وذبول ~~النلاذن~~ قد
ضاقت عليهم الأرض بما رحبت بحبوب الأقطار عليهم مزرورة وذيول الخذ
لان عليهم مجرورة وبوارح الأدبار وجوانح الدمار من كل أوب عليهم
محشورة وظل القوم على علم بأنهم يدمرون كل الدمار ويتهافتون تهافت
الفراش في النار ويصلون الأبصار بسيوف الأقصار كما قال الله تعالى
يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار وتردد
السفراء بينهم وبين الأمير سيف الدولة في مواضعة على سلم يسلمون
معها في العاجل من شدة بأسه ويفتدون بها من مرارة كأسه فأحسن
الأمير سيف الدولة أجابتهم الى مواضعتهم على علمه باستبطانها للخلل وا
لجبلة واستشعارها للغدر والخديعة الزاما للحجة وطمسا للشبهة واعذا
را الى الكافة ومراة من خطة البغي في دفع المكافة فما كان الا ان فوض
للرحيل خيامه ونشر للقفول أعلامه حتى ثار أوباش القوم على أثره
لانتهاب عسكره يظنون بأنفسهم الظنون وانا يسجلون المنون ويدوسون
أذناب الأراقم لو كانوا يشعرون ولما رأى الأمير سيف الدولة ركوبهم
مطية الضلال وأنتحاءهم مشبعة الآجال معلقين خيوط الرقاب

بالحرص الغالب والطمع الكاذب لا يثنيهم حلما ردهم عن السفه والتخبط
ولا يحجبهم كبراهم عن التهور والتورط علما أن ذلك أمر يراد وداخطه البغي
والعناد وأيقن أن سترهم بالفساد مغمور وأن السفينة اذا لم ينبه ما
مور وأمر بالنابرين يجاش من حواشي الجيوش من طبقوهم بالهض والرض
وأصبحوهم الا من شاء الله على صعيد من الأرض واستخار الله في الكر
على بغاة السوء محاكما اياهم الى البيض القواطع ومدليا بسنان الرماح
الشوارع ومسجلا على الانتصاف منهم بشيما دات النسور والخوامع وأهل
من ذنب الجيوش فلما كتملان ومسمنه كرضوى وميسره كأبان وحصن
المصاف بدهاء ما أتى من قبلته كرعن الجبال أو دكن السحاب الثقال
منشأه بجافف لم يعوز منها غير حدق النواظر وحداب الأنياب
البوائن بهول سباسنها عليها مرهفات كالبروق الخوالف وصفارات
كالرعود القواصف وقد تشرق عليها التماثل السود كأنها الأساود
والأسود تحت اضطراب الرياح فيها أنها تزحف للالتهام أو تنقض
لاختطاف الهام وتعالت عليها أطراف العوامل فكأنهم آجام السواحل
ما دهما شياطين الانس فرسانا وعفاريت الترك والهند جردا وشبانا

تبص عليهم سابغات داوود كصفائح الماء يجلوها الشمس سافرة وتنزهاها

لشمال سابرة قد جعلوا الدروع وقاية للاجسام وظاهروا عليها بالقلوب

حرصا على الانتقام فهم يانسون بمباشرة القتال ومساورة الاقتال

واستثارة المنايا عن مرابض الاجال انس العيون بأناسيها الباصرة

والقلوب بأمانيها الحاضرة ووقف الامير سيف الدولة في القلب

بنفسه واخوته نصر واسمعيل ابني ناصر الدين سكتكين وعمه بغرا

جق معا كما عناه ابو فراس بقوله ٥ ——— ٥ ———

علونا ذوسنا بأشد منه واثبت عند مشتجر الرماح

بجيش جاش بالفرسان حتى ظننت البر بحرا من سلاح

والسنة من العذبات حمر تخاطبنا بأفواه الرياح ح

وأروع جيشه ليل بهيم وغرته عمود للصباح ح

صفوح عند قدرته كريم قليل الصفح ما بين الصفاح

وكان ثباته للقلب قلبا وهيبته جناحا للجناح ح

وزحف إليهم نحو الخصوم على هيبة وأفرة وهيبة حاضرة فكادت

الارض تمور والجبال تنور والنهار الباهر يحول والفلك الدائر يزول أو

يزول وشد القوم باقدامه واقبال الوتيه واعلامه فقامت

عليهم القيامة واستبانت فيهم الحسرة والندامة واقبل بعضهم

على بعض يتلاومون على ما ارتكبوه من الامر واستلبوه من الشك الا ان

حضرهم حافز الضرورة عن المشورة فدعوا الى الاحتشاد وبعثوا با

لركوب الى القواد والافراد وبرزوا من جدران المدينة في افواف واصباع

يوم الزينة وهم اكثر ما كانوا قط في معركة لحشدهم من اطراف خراسان

وما وراء النهر كل فارس وراجل وحامل عضب او عاسل سوى من استنفهم

سيف الدولة من كل فحل بازل وبطل باسل وشجاع مقاتل واقام الصفوف

على الموازاة فلما تجمع الليل ومسمنه تمندفع السيل ومبسرة مشحونة

بأشاهب الخيل وماج الفريقان بعضهم في بعض كالجراد المنتشر ضربا يزيل

الرؤوس عن العواتق ويسيل الزنود عن المرافق وطعنا يهتك ودائع الصدور

ويبرد مشارع الغموم والشرور ورشقا يصيب شواكل الابصار ويطلب

وراء الفقار مضجع القرار واشتد الخوف حتى تعلقت الشفاه وتعفرت

الجباه وتقطعت الانفاس وتحسرت الفرسان والافراس واغبرت

الافاق واحمرت الحمالق والاحداق وخاض الامير سيف الدولة غمرة

عمرة الحرب تختطف بالأوهاق مطالع الأعناق وتختطف بالأرماح و
دائع الأرواح وتقص بالأسياف مجامع الأكتاف حتى دويت الأرض من نزال
الحلوق وغصت الهوامي في نواعر العروق وحامت على جانبها في الاحتدام
والاصطدام والافتراس أنياب الحمام من حيث استظلت الشمس اكليلا
على الجبل إلا أن نصفت وتساقط الأصل فاضطرب القوم ضجة من حد
المناصل وضيقا بوخز العوالي والعوامل فتداعوا بحماته تشفع عنهم غمة
القتال بفصل الادبار والاقبال فطرحوا الميمنة على الميسرة وهم
يظنون وراء ذلك ظنونا ويحطون من نبات الافكار وعونا وأبى الله إلا أن
يعكس عليهم ما ظنوه ويحيق بهم وبال ما سنوه حين ركبوا من ولي النعمة ما
ركبوه اخفارا لذمته واخفارا لحرمته واذالة لحشمته واضاعة
لحق نعمته والهم الأمير سيف الدولة أن يزحف عليهم بسواد موقفه
فلم تكن إلا صدمة واحدة حتى زلت الأقدام عن مقارها ونبت
الرقاب عن مزارها وجعلت تتساقط أشخاص الألوية والمطارد وتبرد
النفوس عن ضرب السيوف البوادر واستمرت الهزيمة بالظلمة عند
اعتكار الظلام فطاروا بالأقطار كل مطار واستقبلهم سائقه الدمار

والادبار فلم يلتق منهم بعدها اثنان عند تنازل الاقدام وتناوب
الضراب والطعان ذلك ذكرى للذاكرين وكذلك يفعل بالظالمين وحمل
عبد الملك بن نوح الى بخارا ومعه فايق في اتباعه واستبد بكتوزون
الى نيسابور في اتباعه وابو القسم بن سيمجور الى قهستان وقد صار
رواجف مزق وعاد واستبد زهده واصبح سيف الدولة قد انجز الله
له وعده ونصر جنده وجده وأسعد على رغم الراغمين جده وأعلى
يده وأورى زنده وساق اليه هدي الملك على غير مهر سوى السيف ولا
صداق سوى التنكر لاستحقاق وورث دولة آل سامان وملك ذات ...
خراسان سنة تسع وثمانين وثلثمائة ورأى أن يجعل بكتوزون وأبا القسم
بن سيمجور عن التجمع تارا والتحدث بالالتقاء أنفا فانحدر الى طوس في
البحر الأخضر من رجاله وأبطاله وطار بكتوزون بجناح الهرب الى حدود
جرجان وقفى السلطان على أثره بارسلان الجاذب فجعل يطرده طرد
الشهب أشخاص العفاريت حتى نفاه عن تخوم خراسان وولاه السلطان
ناحية طوس وتنبهها فيمن ضم اليه من قواده وسار الى هراة مطا
لبا لاعمالها مجددا للعهد بأحوالها فلم يسب بكتوزون حين سمع بانباء

عنانه اليها ان كرّ الى نيسابور فلما كفاه ما نابه انه يناضل عن دولة
قد ختم حمامها وانقضت ايامها وناحت عليها اصداؤها فلم يرد
على ان ختم السلطان كلفة التي عليه قبل ان الماءت به فعدته
أو حفت على طرفه لبدنه فجفل عن نيسابور على سمت أبيورد وشدّ السلطان
عليه الطلب فركب المفازة الى مرو ينتهز اعناتهم فيها مراكب وقوة
الصبر على وعثاء تلك المهارب ورام ان يتملكها ويتحيّنها فمانعه اهلها
موالاة للسلطان وشدّا لما وسعهم من العدل والاحسان فشنّ عليهم غارة
شعواء وخبطهم بالسيوف خبط عشواء وركب مفازة آمل حتى عبر النهر
لا غارا ولما خلت خراسان من بكتوزون واصحابه سرّب السلطان ارسلان
الجاذب والي طوس الى قهستان لنفضها عن أبي القسم بن سيمجور اذ كان
نظن الظنون في تدبيره ويطمع في الارتياش عن تكسيره موافقها وطرد
الاوالي طبس عنها وولّى السلطان اخاه الامير نصر بن ناصر الدين سبكتكين
قيادة الجيوش بخراسان ورتّبه بنيسابور على ما كان يليه آل سيمجور على
قديم الزمان وامتدّ الى بلخ مستقرّ ابيه ناصر الدين فاتخذها حضرة
الملك ودار السلام ولما انتهى السلطان الى بعض حدود مرو الروذ صرفه

الهارب على رسم التصيد في خفّ من العدد ومعه اخوه اسمعيل بن ناصر
الدين وقد ابدّ من قواد ابيه يعرف بنوستكين الحاجب قد ورثه احساسه مالك
أمره على يده لاعتبار إذ كان كاحد رقابه في الاتباق والاطلاق والاحسان
والارفاق فثنى السلطان في هذه الاقتناص اذ حانت منه التفاتة فاذا
به قابضا على قبيعة سيفه يروم انتضاه وقد ثنى وجه اسمعيل بتطرفه
بطلب اعانته ولاح للسلطان انكار اسمعيل عليه بدلائل رمزه وايماضه
وشواهد ارتياعه وامتعاضه غير ان استشارته اياه فيما جناه فقد
ثنت له بساط التهمة وحركت منه جارحة النقمة وبادر السلطان
لا مضربه وقد امر بالاحتياط عليه في وقته وحكّم فيه خواص غلمانه
فاخذته السيوف حتى تطايرت اعضاؤه وسائر ما عليه اوصاله وا
جزاؤه ثم دعا اسمعيل فادلى بعذره وجحد العلم بارادة الخائن من
الخائن من خيانته سرّه وجرّد فيها وضائف ومراسلات افضاه احدها
ان سيؤتى منه لنفسه وملكه اذ كان لا يلوي سيفان في غمد ولا
يجمع فحلان في شول وبلغني ان السلطان بعد استنزاله اياه عن
القلعة بغزنة بسط منه في بعض مجالس الانس وباحثه بلسان الاه

ستدراج عند جند السفاة عمّا كان ينويه في معاملته أن لو ملك من أمره
ما ملكه هو منه تحمّلته سلامة صدره ونشوة حميّة على أن قال كان
رأيي فيك أن أوعز بك إلى بعض القلاع موسعاً عليك فيما تقترحه من
دار وعلم وجوار ورزق على قدر الكفاية دارّ فلمّا أرتاب السلطان عند
الحادثة به عامله بعين ما نواه وقابله بجنس ما أبداه وأستودعه إلى جو
زجان أما الحرف ممكناً مما استنهضه متعاً مثل ما كان ينويه فلله هذا ا
لفعال الذي طرّز ديباجة الكرم وعبّر في مساعي ملوك الأمم وقد يستبدع
هذا الاستجماع من وجه وإن كان لا يستبدع من آخر لأن هناك عاطفة
القربى والرحم ولكن الثاني في الأجانب الذين تعلق بزمانهم للأجرام الفادحة
والجنايات الفاحشة لمن بسلطته دائبة على هواه ويستبقي الجاني إنما
فلم يسمع بأعف منه في الجنايات سيفاً ولا أحسن على عورة الزلات
ستراً واحتج لهذه الخصلة الفاضلة بأن الحازم يسلب الجاني في حال
سخطه ما ملّكه الوفا بعينه أو مثله عند رضاه وجرح المال يؤسى ما
بالتعويض والأخلاف فأما النفوس فليس لها تلافي

ذكر الخلع التي أفاضها القادر بالله أمير المؤمنين على السلطان يمين الدولة وأمين الملة

أوجب القادر بالله أمير المؤمنين له خلعاً
لم يسمع بمثلها محمولة من دار الخلافة ولقّبه في كتابه بيمين الدولة وأمين
الملة وولي أمير المؤمنين لقباً كان مصوناً في صدف الشرف لم ينله قط أيدي
القاصية على كثرة الطلاب وتنافس الملوك في الألقاب فتبوأ بسرير الملك
واجتاب خلعة المجد وأذاع شعار الطاعة لأمير المؤمنين وخليفة رب
العالمين وقام بين يديه أمراء خراسان سماطين مقيمين رسم الخدمة وملتزمين
حكم الهيبة وجلسهم بعد الإذن العام على مجلس الأنس وأمر
لكل منهم ولسائر غلمانه وخاصته ووجوه أوليائه وحاشيته بحبابه
بوسمه من روائع الخلع والصلات ونفائس الأكسية والكرامات لم يسمع
بمثله طول طلّ ولم يف ببعضه ضمير أمير واستجابت خراسان لأمره و
قرنت منابرها بذكره واتسقت الأمور عن آخرها في كنف أياليه وأسنى
سقف الأعمال في ضمن أمانته وفرض على نفسه في كل عام غزوة في
الهند ينصر بها الدين ويقمع بها أعداء الله الملحدين وكتب الله له أجره
وأحسن نصره وكذلك قال الله تعالى في محكم كتابه يا أيها الذين آمنوا
أن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم

ذكر

انصراف عبد الملك بن نوح الى بخارا

ولما وصل عبد الملك بن نوح الى بخارا في الفل ومعه فائق ولاحق به بكتوزون في اصحابه واوفى لعبد الملك في مضامه طمعوا آنفا في الاستقلال وتكهنوا لانفسهم بطالع الاقبال وتحدثوا بالاحتشاد لانف القتال واحترم بسهم فائق في شعبان سنة تسع وهو وجه الدولة وطراز الحلة وعمدة الجملة وا لملقب بعميد الدولة فتملى الاحقاد من صدورهم وسرى الاختلال في امورهم واتخذ ايلك الخان الى بخارا يظهر لعبد الملك وسائر الخاصة واجناده موالاة خداع واحتيال وممالاة استدراج واغتيال وهم يطوون استظهارا على ما عراهم واحتياطا لما اشتد عراهم مغرورين عن واجب الاستبصار والاحتراس عن حبائل الاوتار حتى انسهم بلطائفه واقباله واطمعهم بزخارف اقواله وافعاله وركب اليه بكتوزون وينال تكين الغائي وسائر قواد عبد الملك صباح يوم فلما اطمأن بهم المجلس امر باعتقالهم والقبض على اصحابهم ودوابهم واستلاب اسلحتهم واسبابهم فلم ينج منه الا الفارد الشارد والنادر البادر وبلغ الخبر عبد الملك فوجد عدته قليلة وقوته مستحيلة فلم يجد غير الاستخفا

٩٦ حيلة ودخل ايلك الخان بخارا يوم الثلثا العاشر من ذي القعدة سنة تسع وتسعين وثلثمائة ونزل دار الامارة وبث عليه عيون الطلب وطلائع الرغب والرهب حتى ظفر به فحمله الى اوزكند فأفناها وطفئت بقية الشعلة من دولة آل سامان بما وراء النهر واطراف خراسان فصارت كأن لم تغن بالامس كدأب الدولة الماضية في القرون الخالية ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون

ذكر خروج ابي ابرهيم اسمعيل بن نوح المنتصر وما جرى بينه وبين ايلك بما وراء النهر وبين صاحب الجيش الامير ابي المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين بخراسان

كان سبب خروجه انه لما تمكن ايلك الخان من بخارا اقبض على ابي الحرث المكحول وعبد الملك وابي ابرهيم وابي يعقوب بني نوح بن منصور الرضي وعلى اعمامهم ابي زكريا وابي سليمن الغازي وغيرهم من الاحداث ومن السامانية وامر باعتقالهم ورسم افراد الاخوة منهم في حجره على حدة احتياطا لنفسه بصرف ذات بينهم عن مكينتهم من اقتضاب الحيل واختلاف الاراجيف وارتقاب الفرص واحتال ابو ابرهيم المنتصر للتسلل من معتقله في زي جارية كانت

سايرهم لمطالعة أحوالهم ومراعاة أوقات أقفائهم فكانت حاله في الملاص
موافقة لحال المتنبي حين استغشى ثياب ظلمته وأسلّ عن عقد الأعقال
المهملة ٥ وانشا يقول

خرجت خروج القدح قدح ابن مقبل على الرغم من تلك النوائح والمثل

عليّ ثياب الغانيات وتحتها صريمة راي أشبهت سلة النصل

واستخفى المنتصر بعد خلاصه عند عجوز من أهل بخارا إلى أن أيس منه
الطلب ثم سار إلى خوارزم كالحسام القاضب بل الشهاب الثاقب
مجددا للانتصار مستعينا بالله على درك الثار وتلاحق به من ند وعاب
وانحدر وغار من بقايا القواد والأجناد السامانية في أطراف خراسان
حتى اجتمع شمله وتكنف خيله ورجله وركض أرسلان الجاذب إلى بخارا
فبيّت الخانية بها تحت الملاحف وشغلهم بخفاق السيوف البوارق عن
مجاز الأحلام الطوارق وقبض على جعفر تكين وعلى سبع عشرة نفسا
من أعيان القواد الخانية وحملهم في وثاق الأسر إلى الجرجانية وأفلت
الباقون بجريعة الأذقان نحو إيلك الخان فركب أرسلان أكتافهم تحت
الشمال فزع الخريف وطردهم إلى حدود سمرقند مقتصا آثارهم وكاسعا

أدبارهم ووافق بقنطرة كوهك تكين خان في عسكر جرار باعض
إيلك في حراسة سمرقند وما يليها فانتدب لمناجزته واستعان بأهل
وساير أصحابه على مبادرته فنصب أرسلان له وجها وقاحا وأضرم
عليه الأرض كفاحا فولاه ظهر الأدبار واتقاه بعودة الغرار وغنم
أرسلان ومن معه أموالهم وزموا بتلك الأثقال أحوالهم وعاد أبو
إبراهيم المنتصر إلى بخارا فاستبشر أهلها بمعاودته على مراده وبلغ إيلك
خبره فجمع أحابيش الترك وصمد صمده في العدد الدثر فلما أرسلان
راجعا إلى المنتصر واقتضاه الاحتياط عند ذلك العبور إلى أعلى الشط
فوافاها وحاذاها وضاقت به وبعسكره فركبا المفازة على سمت أبيورد
محلها وسار عنها قاصدا فقصد نيسابور وبها صاحب الجيش أبو
المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين فالتقى على ظاهر نيسابور ودارت
عليهما رحا الحرب يفصلون بالبيض البوارق ما بين الطلى والعواتق و
يفرون مفارق الهام ضرب القذار نقعه القتام ولما استنفد وطا
الحرب على أصحابها ومرت كأسها على شربها وتحاقت جموع أبي إبراهيم
المنتصر على أصحاب صاحب الجيش أبو المظفر اقتضاهم الاحتياط

أن ينحسروا إلى جانب هراة انتظارا للمدد واستشرافا لمأمول صنع
الله في الغد فخشوا ظهور الخيل من ذيول الليل حتى نشأت عليهم المنية
من حدود البوزجان وتلا المنتصر من نيسابور وانضم إليه من
شذاذ العسكر الجمع الكثير والجم الغفير وبلغ السلطان يمين
الدولة وأمين الملة خبره فاستركب خيله من غير أن تربص بها
ره ليلة وسار سير الخبب يطوي الأرض طي السجل للكتب حتى انقض
على نيسابور انقضاض هوى الهواء على بنات الماء ولما تسامع المنتصر
بأقباله أحدر إلى إسفراين في عامة رجاله وبث أصحابه في الرساتيق
لجباية أموالها وإزاحة أطماع حشمها فأزعجه الطلب فلحق
بشمس المعالي قابوس بن وشمكير مستصرخا آباؤه ومؤملا غوثه
وجدواه فتلقاه بكل ما تمناه ومهد له ذراه وأعطاه حتى
أرضاه وكان مما أمر له به صففه وأجره عشر دواب بمراكب
الذهب والفضة وثلثون بمراكب الفضة وثلثون من العتاق الجياد
بالبراقع والجلال وعشرون بغلة بمراكب الذهب والفضة وثلثون
أخرى مقرونة بحسنين جملا موقرة أحمالا وأثقالا من البسط النا

المقابلة

والفرش الفاخرة ومن خص طبرستان وسائر الطرائف المجموعة
في الخزائن بجرجان وأضيف إلى ذلك ألف ألف درهم وثلثون ألف
ألف دينار ومائة وخمسون تختا من الديابج التسترية والسقلا
طونيات العضدية والحلل الفخرية والخزوز الطابقية وسائر الثياب
المصرية وأمر لأهل عسكره بعشر سنان هم معونة لهم على عوا
رض حاجاتهم وأشار على المنتصر بقصد الري إذ كانت معرضة
لقصادها تتخاذل أهواؤها وتتواكل أولياؤها وأشجار الفتن
لاحين من الآباء بين عطا أن به ولد به دار أو متوجه في جيوش
الجبل والديلم ووجوه الأكراد والعرب ليستظهر باستخلاص
تلك الولاية وليكون ما بينه عن معاودة خراسان عن ظهر
الكفاية فقبل الإشارة وقدم الاستخارة وسار حتى خيم بظاهر
الري فأحس أهلها منه بأمر الرئيس على أرمق ووافى الري أفلاذ
كبدها فأتاحوا قفاله المنتصر ودس الكفلاء بتلك الدولة إلى
وسلار لو وأبي القسم بن سيمجور وغيرهما من أولياء المنتصر
من أطمعهم في مال يحمل إليهم سرا على أن ينثنوا عنه عنان المسير

بوجه من وجوه اللطائف والحيل فانخدعوا لتسويلهم وطمعوا في
تأميلهم ونصحوا للمنتصر بأن قد تمثلك ممن تحله ملوك الشرق
على جلالة أقدارهم ونفاسة أخطارهم لتحل عن مناواة قوم يدعون
فيك قرابة ويفترضون لك طاعة ومماتة موالاة لمن يجر النار
لا عرصة بالتعويل عليك ومغزاه أن تحترش الأفعى بيديك فله الغنم
ان قدرت وعليك الغرم ان عجزت فلفتوا المنتصر عن رأيه وزينوا
له الملك بخراسان من ورائه فارتحل عن باب الري يريد الدامغان
وانفرد ولدا شمس المعالي عنه عائدين الى جرجان فحسن بحسم ذلك
التدبير وانحل عقد ذلك التقدير وإذا أراد بقوم سوءا فلا مرد له
وما لهم من دونه من وال وأسند المنتصر طلقا الى نيسابور وبها
صاحب الجيش أبو المظفر فاشفق من زلة القدم كالتي حدثت
قبل فأحاط بالأعجاز الى بوزجان ودخل المنتصر نيسابور في شوال
سنة احدى وتسعين وثلثمائة وبث عماله في جباية الأموال ومطالبة
من ظفر بهم من العمال واستنهض صاحب الجيش السلطان
يمين الدولة وأمين الملة فرسم للحاجب الكبير التونتاش

والى هراة للبدار اليه في معظم الجنود من شجعان الترك وسرعان
الهنود حتى استظهر بذوي الغناء في حومة الهيجاء كر عائدا الى
نيسابور وتلقاهم المنتصر بارسلان البو وأبي نصر بن محمود وأبي
القسم بن سيمجور فالتقوا على حرب تحطمت فيها الصفاح
المشهورة وتقصدت الرماح المطرورة وعريت عندها اللوامع
المستورة ثم شاعت الهزيمة في السامانية فولوا على أدبارهم
نفورا وكان أمر الله قدرا مقدورا ودخل صاحب الجيش أبو المظفر
نصر بن ناصر الدين سبكتكين نيسابور وقد زينت له كالهدي
على زوجها البغي وافتضت له البشارات كأنها تهاوي النجوم السائرة و
تهاوي الثلوج المتطايرة وركب المنتصر سمت أبيورد والطلب
على أثره حتى وصل الى جرجان ولما تسامع الأمير شمس المعالي
قابوس بن وشمكير بنبأيه رماه بها الفتن من انجاد الأكراد فا
لجؤوه الى الارتحال وأيأسوه من طلب المحال فكر على أدراجه ناهبا
في الغي وأناخ الرأي بظاهر الري وقد كان المنتصر يحقد على الأ
رسلان البو تسميته عليه واستطالته في المطالب بين يديه

ومنازعته الرأي فيما ينحوه ومراجعته القول في كل ما يقوّيه به
قوة وانضاف إلى ذلك أنهما مع إبائهما التخاذل في الحرب التي أنهم
فيها عن وجه صاحب الجيش أبي المظفر نصر لمنافسته على أبي
القاسم بن سيمجور مكانته من اختصاصه وإيثاره وغرته
على الشركة الواقعة به في محله ومقداره فحملهما ما احتساه من
من ماء الحرب على التشفي بإراقة دمه والاستراح إلى انتهاك
روحه ففتك به فتكة أنست فتكات الإسلام وشفت نفسه
من الداء العقام وتجمع أهل عسكره لإنكار ما فعل وأبى لهم وقد
سبق السيف العذل وقام أبو القسم علي بن محمد مصانعا لهم عن
المنتصر بلسان المعتذر حتى خمد التهابهم وسكن ضجيجهم واضطر بهم
وأمر وابنيهما على قصد سرخس للاستظهار بنعيم أهلها المعروف
كان أبوه بالفقيه إذ كان رغب المنتصر في إرفاده وإنجاده وإنابه
بعدّته وعتاده فركبوا المسافة إليها على طريق أبعد حتى وردوها
وجبوا مالها وارتاشوا بما سمح لهم الزعيم بها وحين علم صاحب
الجيش اجتماعهم على مصنع الأماطيل بينهم زحف إليهم من نيسابور

111

في سراة الكماة لطردهم عن شريعة الطمع وإزعاجهم عن حضانة
الأمل ووصل السير بالسرى حتى أشرف على سرخس في الهيبة
المنشورة والهيبة الموفورة وبرز المنتصر لظاهرها فخيّم بإزائه
واستعدّ للقائه وتحاشد للقتال فما استكمل سمع الهواء من قرع
الحديد بالحديد ورويت صدور العوالي من موارد الوريد وبلغ كل
واحد غاية الإمكان في منازلة الأقران ومناوشة الضراب والطعان
محاجشة عن حبوط الرقاب وتفاديا عن سوء الذكر على تناسخ الأيام الأحقاب
غير أن قضاء الله أغلب وأمره أنفذ وله الحكم في تبديل الأبدال وتصريف
الأحوال ونقل الأملاك من وال إلى وال وهبّ لصاحب الجيش أبي
المظفر قبول الإقبال فمزّق مصاف المنتصر عن هزيمة عوابس الوجوه
وجنح بأنيابه المكدوة ولم ينشب صاحب الجيش أن أباه بقضّ العرب
بأبي القسم علي بن محمد في أولاده من الوقوف على نقيبه من التزوير وأردف
سو سباشي الحاجب وكان مراه المنتصر جلدة ما بين العين والحاجب
والتصقت حباله الأسد على معظم ذلك العسكر فجلوا إلى غزنة في الأ
صفاد مقرنين وسار المنتصر سير الشطار لا يدري وزرا غيرا

عنسا

المسالك وأرباب الممالك على جملة لا يميز فيها الملوك عن المالك وفضل
صاحب الجيش أبو المظفر قد أعلى الله كعبه ورفع قدره وأطعمه نصره
والطارين الخافقين ذكره وأنشدني أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعا
لبي لنفسه فيه يذكر ما أتيح له من هذا الفتح الرائع منظره الشائع خبره

سلمت الأيام عن غرة الدهر وحلت بأهل البغي قاصمة الظهر
وولوا بنوا الأدبار أدبارهم وقد تحكم فيهم صاحب الدهر بالقهر
وقد جاء نصر الله والفتح مقبلا إلى الملك المنصور سيدنا نصر
غياث الورى شمس الأنام وبدره ومن هو بالعلياء أولى أولي الأمر
فيا لك من فتح غدا زينة العلى وواسطة الدنيا وفائدة العصر
أبى الله الا نصر نصر ورفعه على قمة العيوق أو هامة البدر
ولله صدر السيد كأنه لنا فلك بالخير أو ضية بحر
وخص له دون الملوك محاسنا تبر على الشمس المنيرة والقطر
اذا ذكرت فاح النبي بذكرها كما فاح أذكى الند وهج الجمر
فتى السن كهل العلم والرأي والحجى يعم بني الآمال بالنائل الغمر
له همة لم حسبت علوها حسبت الثريا في الثرى أبدا يسري

غدا داعيا للمسلمين وناصرا له الله راع قد تكفل بالنصر
ألا أيها الملك الذي ترك العلى عباد يديه من الفضل والكسر والأسر
قدمت قدوم الغيث أمن مقدم تحلت وجه الدهر بالحسن والبشر
ألست ترى كتب الربيع ورسله يقولون هذا الربيع على الأثر
نسيم نسيت الحياة بلطفه تجر فويق الأرض أردية العطر
وترقب بأنفاس الربيع معنبر فما لك من طيب وما لك من نشر
وعيش كأني احتسب كأنه على المسك والكافور هطال بالخمر
فروح بشرب الراح روحك أنها لفي تعب من وقعة البيض والسمر
ودم لاقتناء الملك في أكمل المنى وفي أرفع العلياء وفي طول العمر

وأنشدني أبو سعد بن دوست لنفسه فيه

للأمير المظفر العالم العادل فينا أبي المظفر نصر
كرم في شجاعة وسخاء في وفاء ودولة مع نصر
ومعال لو أنها تحت نصر يوم فخر أعتبت طي نصر
فبه نقطع الخطوب ونفري وبه ندفع الكروب ونسري

وأنشد الركن بالمنتصر لأجل الأتراك الغنيمة ولهم صغو إلى الدولة

السامانية فأخذتهم الذمة من خذلانه وحركتهم الحمية لعونه على
شأنه وتذاكروا بينهم شرف آل سامان وما تعرفوه قديما من بركات
ذلك البيت القديم والدوم العميم وصار مصعدا حتى لحق بالملك الخان
وذلك في شوال سنة ثلث وتسعين وثلمائة وعنيها دلفا
يلك للانتصار من المنتصر في جيوش الترك بسعيه في طلب الثار واستعار
النار حتى أناخ بحدود سمرقند وساير الغزية بأقدامه ونوا مدوا بينهم
على سابه فجمعوا للركض عليه فخبوا الخيل تحت الليل خبا كاد لا ينقش
الأرض بوطئ أقدامها ولا يشعر النجوم بأشخاص الوتيها وأعلامها
حتى وقعوا به وأنهبوا أجل سواده وقبضوا على جلة قواده وانقلبوا
بأغنمه إلى أوطانهم عند حصول البغية فاستأثروا على المنتصر
بالأسرى طمعا في الفدية ثم بلغ المنتصر تنازعهم الأمر بينهم في أموالهم
الملك عليه وأفراجهم الاسرى تقربا إليه فرابه ذلك من أمرهم ريبه
لم تأخذه الأرض معها بقرار ولم تحمل عينه عنها بغرار فاختار
من جريدته قرابة سبعمائة رجل ركبانا ورجالا خفافا وثقالا وطاف
على المعابر فإذا النهر جامد وأمل التخلص في البعد آمد ففرشوا النهر

ماسان الادر حتى امكنهم من العبور وتبعه الطلب فمنعهم خطر المعبر ١١٢
عن قصد المنتصر وأرسل هو عند فراره بأمل رسولا إلى السلطان
يمين الدولة وأمين الملة يذكره بحقوق سلفه عليه واشتداد
الأمر في الإقبال للعداة عليه وأنه لو يجنب بوثبه فيه طاعة
له وإخلاصا في هواه وأظهر الانقطاع إلى كنف قبوله وأسبابه
والافتقار إلى معونته بماله ورجاله وامتد من أمل النشاط لأسواد
مرو وأحنى أساءه من معرة الترك في العبور على الأطراف والفلك
وأرسل إلى أبي جعفر المعروف بجواهر زاده وكان رجلا من
جملة الدعاة رفعه الزمان في دولة آل سامان فتمتعه المعونة
بالفضل عن سعة يده من مال وسلاح فرد الرسول على غير وجه
المرتجة والارتياح لحكم الانسانية ولم يرض بالرد حتى خرج إليه
مقاتلا وبالجفاء مقابلا فحمل أصحاب المنتصر عليه حملة فرقت جمعه
جمله وشتت مسافة أبيورد حتى وافاها في شهور سنة أربع
وتسعين وثلمائة فأوجب السلطان إكرام رسوله وتحقيق
مأموله وصلته بصدر من المال الجم خليته وحاطب عن حواه

خدمته وتحرى مرضاته وترك الانحراف عن مراده فاضطره
الامر الى طاعته حتى شاعت سيئة البخل عليه واستطار شنار خه
اللوم بحديثه وقد كان ابو نصر نصر بن محمود الحاجب لما انساع
بقدوم رايه المنتصر مالاه على اصحابه واظهر الانقطاع الى جانبه
واقام الخطبة بنسا مظهرا طاعته ومستنفدا في نصرته جهده وانطا عنه
ولما احس اهل نسا براى ابي نصر في اتباع رايه الخلاف اشفقوا على
نفوسهم من عاقبة الاتهام بموالاته والاشتراك في جنايته فكتبوا
خوارزمشاه مستعدين عليه فانهض ابو الفضل الحاجب احد
اعيان ذلك الباب الرفيع لازالة شره وكفاية امره ومال ابن
محمود الى المنتصر فتطابقت العدة وتوافرت العدة وصدر ابي
الجيوشان من رستاق استوا وناهضهم ابو الفضل في رجال خوارزم
فاتفق التقاؤهم على الحرب ليلا امر النجوم الشوابك حيث لا
يدرى الضارب مضروبه ولا يبصر الراكب مركوبه واختلط الفا رس
بالراجل والفارس بالنابل فتضاربوا ما بين الشوى والمقاتل

تطاعنوا سلكى ومخلوجة كرك لامين على نابل

١٠٢

وتصدع شمل الفريقين قبل ان صافح الليل صباحه ونفض النجم على [illegible]
الغروب وشاحه فلم ينبعث احد احنه بيد الظلام على كماة ذلك الجيش
اللهام حتى استفاض ضوء النهار فاذا ابن محمود قتيل وابن حسام
الدولة الى جنبه صريع وتفرق الباقون عباديد بين اقطار المهامه
والبيد ووقع المنتصر الى اسفراين فمانعه اهلها حذر المحنة وخيفة
الهرج والفتنة فانثنى على ادراجه في شرذمة من اصحابه يقطع الارض رض
طولا وعرضا حتى انتهى الى بعض حدود سرخس واقام هنالك ريثما
تلاحق به الفل وسار حتى عبر النهر في ساحل قطان وبورنحبه نحا را
في طلبه وسدوا عليه وجوه مهربه فركب عزيمة الرجال في ثبات القوم
تثبت بعضهم للبعض جلادا بالدبابيس والحراب واغمادا للسيوف في [illegible]
قراب الرقاب فجد المنتصر في الامر واشتد ونجا براسه ولم يكد
وصار القوم الى الدبوسية من الصغد مستنجدين بمن بها من الغزال [illegible]
وتقاربت الرجال ووقع المنتصر الى نفر النور من بخارا وركض منها عليهم
ركضة اقتسمتهم بين اجتياح واحتياك واصطلام واجتياف وقابله
رجل ونفر اليه مشايخ اهلها مسلمانة عامة على سبيل بره وخدمته

ووصلوا بها الى آفاق نصابها وشارات تدل على إخلاصهم فيها ونوا
الأسماء العزيزة فاستعلت جذوته وتراجعت حوبته ولما سمع إيلك الخان
باحتداد شوكته واشتداد وطأته زحف إليه في أحلاس الذكور من
ديار الترك واشتبكت الحرب بينهم بعريه يوريند من حدود
سمرقند حتى نفذت النبال فتكسرت النصال وتحطمت السمر الطوال
وخان الخان مقامه وانفض عنه أقوامه فاستصفاه العزيزة في
طلاب الأسلاب حتى تردت أيديهم بالسلاب والنهاب والغنائم الرغاب
وذلك في شعبان سنة أربع وتسعين وثلثمائة وعاود الخان أرض
الترك فضم النشر ونادى الحشر ثم كر على ثاره ونبت على المنتصر شبا
ناره ووافق أمواله تراجع العزيزة إلى أوطانهم بما نبوهم على عادتهم
في كل ما غنموه وأسالفه الحرب على قصائر قرية تدرك وهما
من سروشنه واستأمن المعروف كان بالحسن بن طاق إلى الخان
في زهاء خمسة آلاف رجل من رفقائه عند انعقاد جمرات المصاع
واشتداد زفرات القراع واضطر المنتصر إلى الانهزام وحكم
الخان في عسكره سيوف الانتقام حتى روبت الأرض من دمائهم

١٠٤ وشبعت النسور من أشلائهم وسار الى شط جيحون فعبر على الجمد
لعدم السفائن وخلو المعابر ومضى الى أندخود من أرض الجوزجان محترسا
من نهضة الخان وأمر بأسباق الدواب الراعية واقتسامها بين
أهل جملته وركب المفازة الى قنطرة راغول ولما بلغ السلطان
يمين الدولة وأمين الملة خبره أسرع الانحدار الى بلخ لإعانته على
أمره واستنحاله فاتبعه بغرلغون بن محمد في أربعين قائدا من قواده
ليطرد سواده ويحصد فساده فأعجزهم المنتصر وسار الى
الجنابذ من قهستان ضرورة إذ كانت جيوب الآفاق مزرورة نحو
أم تشهرت عليه السيوف وأنى أم أحدقت به الحتوف ودلف
اليه صاحب الجيش أبو المظفر بن ناصر الدين في طغانجق والى سرخس وأرسلان
الجاذب والى طوس يحثون الظهور في الطلب وينتزفون علالتها
بين الركض والخبب فقابلهم بالجومند ومنها الى بسطام ومراه شمس
المعالي بن وشمكير بها الفين من الأكراد الشاهجانية فأزعجوه
عنها الى أبيورد راجعا باللوم على من لقنه الانحدار ولما ضاقت
عليه المذاهب وأحاطت به المعاطب بادر الى كورة نسا بدار

من لا يملك بدار ولا يوطئ الأرض جنب قرار وتلقاه بنو سرخك السامانى
بكتاب يزين له الانفصال اليه لمصاهرته على ايلك الخان ومواربته ومو
اراته ومطابقتهم للخان ومواطاته فنازعته نفسه تقدم اجابته طمعا
في وفائه وتاميلا لعونه على ذمامه فركب الخطار وسار حتى اذا بلغ
بئر حماد من مفازة امل سيفه خيله الى الشط فوافق ذلك جنود
جيحون فاغتنموا مفارقته خلاصا مما منوا به من مكابدة الاسفار
وعدم الاستقرار ووصل سهر الليالى بدأب النهار وتسارعوا
العبور الى سليمان الحاجب وصافى حاجبى ايلك الخان فعبروا اليهما
وعرفوهما ان السامانى بالقرب وان المحن حطمته والحوادث
قسطته فهو خلسة الطامع ونهزة الطالب وطعمة الانياب وا
لمخالب فلم يشعر ابو ابرهيم المنتصر الا بالخيل قد اظلت عليه وطاردهم
ساعة ثم ولاهم ظهر الفرار ونفض على اخوته وخاصته بربلاط نشكر
وحملوا الى اوزكند اسرى ولحق المنتصر به حله بن بهيج الاعرابى
من جملة السيارة في تلك المفازة ليقضي الله امرا كان مفعولا وكان المعروف
بماه سدار من جهة السلطان يمين الدولة وامين الملة فيهم وقد

اوصاهم بالقعود له بكل مرصد واذكاء العيون عليه عند كل مورد
فلما التبس الليل جلدة الغبش وعرض على الهجود حبش الحبش وثب اهل تلك
الحلة على المنتصر جهلا وغباوة وفسادة وشقاوة فاخفروا حق مقدمه
واحلوا للارض حلال دمه فكانما عناه ابو تمام حيث يقول

فتى مات بين الضرب والطعن ميتة تقوم مقام النصر اذ فاته النصر
وما مات حتى مات مضرب سيفه من الضرب واعتلت عليه القنا السمر
فاثبت في مستنقع الموت رجله وقال لها من تحت اخمصك الحشر
غدا غدوة وللحمد نسج ردائه فلم ينصرف الا واكفانه الاجر
مضى طاهر الاثواب لم تبق روضة غداة ثوى الا اشتهت انها قبر
عليك سلام الله وقفا فانني رأيت الكريم الحر ليس له عمر

ثم نقل قالبه الى قرية ماى مرغ من رود بارزم ودفن بها في شهر
ربيع الاول سنة خمس وتسعين وثلثمائة وبلغ السلطان يمين الدولة
وامين الملة خبره فامر بالقبض على البندار واذاقه حرارة الانكار
وشن الغارة على حلة ابن بهيج الاعرابى خاصة وعلى سائر العرب
السيارة عامة وصادف جمهور ال سامان رمادا ذرته الرياح وكا

الله على كل شيء مقتدرا **ذكر أمراء السامانية ووفاء**
در أيامهم من حيث بحث دولتهم إلى أن ورث السلطان
يمين الدولة وأمين الملة كان ملك آل سامان بما وراء النهر
وسائر بلاد خراسان مضافا إليها في الوقت بعد الموقف من كور
سجستان وكرمان وجرجان وطبرستان والري وإلى حدود أصفهان
مائة سنة وست سنين وستة أشهر وعشرة أيام فأولهم أبو
إبراهيم إسمعيل بن أحمد وهو الذي قبض على عمرو بن الليث بناحية بلخ يوم
الثلثاء النصف من شهر ربيع الآخر سنة سبع وثمانين ومائتين وولي
خراسان ثماني سنين ومضى لسبيله ببخارا ليلة الثلثاء لأربع عشرة
خلت من صفر سنة خمس وتسعين ومائتين منعوتا بالعدل والرأفة
موسوما بطاعة الخلافة وقام بعده أبو نصر أحمد بن إسمعيل فملك
ست سنين وثلثة أشهر وفتك به نفر من غلمانه بفربر ليلة الخميس
لسبع بقين من جمادى الآخرة وكان مقتديا بأقتدا الأبناء بالآباء في
أحسابنا أفضل السنن وأحمد السير إلا أن طوارق الدنيا صحائف
أيامهم كعادتها في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا

وسمي مسمى الشهيد أبو نصر بن أحمد فملك ثلثين سنة رفيع النجاد قوي العماد
وري الزند زكي المراد وتلاه في أريكة الملك نوح بن نصر وهو الحميد فملك اثنتي
عشرة سنة وثلثة أشهر وسبعة أيام وتوفي ببخارا وعثرت به دابته
فسقط إلى الأرض سقطة حمل ميتا وذلك عشية يوم الخميس لأحد عشر يوما
خلت من شوال سنة خمسين وثلثمائة وخلفه في الولاية ابنه منصور
بن نوح خمس عشرة سنة وتسعة أشهر وتوفي ببخارا يوم الثلثاء لإحدى
عشرة خلت من شوال سنة خمس وستين وثلثمائة وولي أمره نوح بن
منصور إحدى وعشرين سنة وتسعة أشهر وتوفي يوم الجمعة لثلث
عشرة خلت من رجب سنة سبع وثمانين وثلثمائة وملك بعده
أبو الحرث منصور بن نوح سنة وتسعة أشهر فاعتقله بكتوزون
بسرخس يوم الأربعاء لاثنتي عشرة بقيت من صفر سنة تسع وثمانين
وثلثمائة وبويع أخوه عبد الملك لما استقرت قدمه في الولاية حتى خرج
على السلطان يمين الدولة وأمين الملة دعامته وتنالت نعامته وطار
للأخبار أو قبض إيلك الخان عليه وانتزع ولايته من يديه فكانت
مدة أمره ثمانية أشهر وسبعة عشر يوما وذلك حدثان ما دل السلطا

كور خراسان وأقبل بعد ذلك يزداد في أسباب العلاء جده ويتضاعف
في رقاب الأعداء حده حتى ما تشهر له شهر الا عن ثغر مفتوح وصنع
ممنوح وذكر على هامات الأعداء مرفوع وباب القضاء المنى والآمال
مشروع

ذكر الأحوال التي جمعت الأمير ناصر الدين سبكتكين وخلف بن أحمد والي سجستان

من خلاف مرة ووفاق أخرى وما جرى بعد ذلك من الضغائن
والتراث التي ثنت عنان السلطان يمين الدولة اليه وعطفت به
لانتزاع الملك من يديه وما جرى خلال ذلك من وقايعه في
الهند الى أن استتب له ما أراد بعون الله ونصرته ٥ قد سبق
في أول الكتاب ذكر الأمير خلف بن أحمد فيما رواه السيد بن منصور
بن نوح من رده الى بيته واظهاره على خصمه الى أن تهاوت نجوم
الفتن بخراسان وفرغه استقلال ولايتها دهاه للاستثمار وا
لانتفاع والاستظهار بما تخرجه له أرض سجستان من صنوف
الارتفاع حتى اتسع نطاق همته لطلب الفضول ومنازعة القروم
ولما تصدى الأمير ناصر الدين سبكتكين لمواقعة ملك الهند

حتى تورد حدود الإسلام على ما نطق بشرحه صدر هذا الكتاب
اغتنم خلف بن أحمد اشتغاله ببست عن الحفظة وخلوها عن الحماة
فسرى اليها من أفاض نفضتها وانتض عذرتها وحرف كلمة الدعوة
عنها وغمس يده في أموالها فجباها وجمعها فأوعاها فلما أفلح الله
ناصر الدين على الكافر اللعين عطف العنان الى بست ممتعضا من
غدره محتفظا من سوء حفاظه فاتقاه أصحاب خلف بن أحمد
بظهور العار وأعقاب الأدبار والصغار وهم ناصر الدين بمسلك
مناهضته واستخار الله في مناجزته فأرسل اليه خلف من تناول
عليه في ذلك البعث محافظة على حكم الموالاة في حفظ ولايته وسعى في
تصحيح ما صار في جبايته وتبرع بزيادة تقوم مقام الأرش
عن جنايته تفاديا عن ثقل وطأته على أعماله وتصونا عن عوره الانتصار ح
في قتاله فتعامى ناصر الدين عن سر غدره لقالب الاعتذار واكتفى
منه ببذل الاعتذار ثم طالبه بتصحيح المال حتى أداه وارتهن بعض
رضاه فكانت الحال بينهما من بعد قايمة على جملة المسالمة الى أن اتفق
من أمر أبي علي بن سيمجور في الحولة التي اتفقت له بباب نيسابور

كما سبق شرحه فأظهر تقرباً إلى ناصر الدين بمساعدته على خصمه
ومرافدته بنفسه وسائر أهل جملته امتناناً عليه بظاهر المظاهرة
وإضماراً للتشفي من أبي علي بمعونته الخاصة وقوته الباهرة إذ كان
أبو علي قد دونه بقصد حصاره وغزوه في عقر داره وأمصاره
بسيوف أنصاره وصحبه إلى بوسنج في جمهور أتباعه وأشياعه
ثم خلفها ناصر الدين سبكتكين صيانة له عن كلفة السفر وإشفاقاً
عليه من خطة الخطر وسار إلى طوس لمواقعة أبي علي وطلب الثأر
المنسم عنده حتى إذا اطردت ونفض بشغل تلك الحرب يده رد إلى خلف
بن أحمد أصحابه مستطلين بالنعم الباهرة متشحين بالخلع الفاخرة تقدمهم
المراكب والجنائب وتردفهم النجائب والرغائب فعادوا وأفاتوا ما الذي كان
أهمله ولو سكنوا أثنت عليه الحقائب فصقلت تلك الشريعة الحال
بينهما عن غين المواراة وتخلت عن عرض الداجية والمناجاة إلى أن عبر
ناصر الدين النهر إلى ما وراءه لمدافعة إيلك الخان عن ولاية الرضي بوفق
المناصحة أو حزق المكافحة ثم اقتضته صورة الحال مسامحته ببعض
تلك البلاد على أن يسلم له سائرها وأمن عنت العيث باديها وحاضرها

ودوام أبيه أسا ذلك مكاتبة خلف بن أحمد إيلك الخان مرهفاً عن عزمه
ومغرياً إياه بحربه طمعاً في بست ونواحيها وغزنة وما يليهما وانضاف
إليه بلاغات وقوارص يرفت له من جانبه في أمر أبي علي وإظهار الندامة
على ما سبق من معونته عليه والإفصاح على رؤوس الأشهاد معرضاً بأن إخافة
الملوك شؤم واستباحة البيوتات لؤم وضعف في الرأي معلوم فطار الغضب
بناصر الدين كل مطار وحدته نخوة الاقتدار بالبدار إلى أرض سجستان
لإطفاء الغليل وشفاء الداء الدخيل فثناه كاتبه أبو الفتح البستي بالقول
الدقيق وأراه أن بعض البلاغات زور وأن القائل كالقابل مأخوذ بموزور وأن
قلوب الرجال وحوش نافرة وطيور في بحار الجو سابحة فما يستملك
منها إلا بأعمال الحيل في نصب الحبائل وتمكين الجوارح وذرى البنادق ونثر
الحبوب والمطاعم ثم لا تنئ أنسها من إفلاتها عن حبالة القانص وإرسالها
من يتركه لمصايد كذلك لا يصطاد القلوب إلا بأشراك الصنائع والعوارف
ولا يتصاد الأعادي بمثل الأيادي والعوارف ولا يستفاد الأماثل إلا بالنوال
والطوارف ثم الكلمة الجافية تهيج وادعها وتظهر وانعها وتكدر عليه
مشارعها وتبلاً عليه قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق

ببناء سوءا أن يصيبوا قوما بجهالة فيصبحوا على ما فعلتم نادمين ثم قسرها

له حتى نزل عن ظهر البغل إلى أرض التسهل وأنشدني أبو الفتح رحمه الله

في شرح ما دار بينه وبين ناصر الدين لنفسه

إذا شئت أن تصطاد حيا أخا لب ... وتملك منه حوزة القلب واللب

فأشركه في الخير الذي قد رزقته ... وأدخله بالإحسان في شرك الحب

ألم تر طير الجو يهوي مسفة ... لحب كقطر من ذرى الجو منصب

كذلك لا يصطاد ذو الرأي والحجى ... محبات حبات القلوب بلا حب

وكسر خلف بعد ذلك متنصلا عما عزي إليه وسر بما أنعم عليه فعفا

ناصر الدين عما حل في صدره من أمره وأغمض له عما أتاه من قلب

قلبه وغدر غدره وثبت على عهده على مداراته وملاطفته

إلى أن أتاه اليقين من ربه فانتقل إلى جوار رحمته وعفوه وبلغ السلطان ن

يمين الدولة وأمين الملة حلة حشوة الدمامة بأطمار الشهامة فأنشد

قول القائل هو نقل للنبي خلاف الذي مضى بحكمه لأحدى مثلها فكأن قد

ثم أسرها في نفسه مرتقبا لبقاء الفرصة في الإيقاع به والاستشفاء

منه إلى أن وردت خراسان نعي الأطراف من غزاة الخلاف فسلم

١٠٩ الآفاق عن غبرات الشقاق وقد كان خلف بن أحمد عند قيام السلطان

باستصفاء المملكة قد بعث ابنه طاهرا إلى قهستان فملكها ثم عن منها

إلى بوشنج فاستولى عليهما وكانت هراة وبوشنج برسم بغراجق أخي

ناصر الدين سبكتكين فلما وضع الله عن السلطان أوزار تلك الملاحم

بته أتاه عمه يستأذنه في طرد المتغلب عن ولايته وقال أحد من حدثنا

فأذن له فيه وسار حتى تشارف بوشنج تلقاه طاهر بن خلف بين ولاه

رف من ولاة من العديد تحت الحديد فتناوشا الحرب فالتهما من خطوط المنايا

وقطا للأجسام من خصور المناطق وأيسفا للأرواح بأرشية الرماح

واختلاسا للرؤوس بسيوف كسيوف الرؤوس ثم حمل بعضهم على بعض هيئة

الميامن بالمياسر والمياسر بالميامن وأقبل طاهر من تيمنه هنا

وأتبعه بغراجق يحث منه طلبا وقد كان قبل أن تشمر الحرب أصاب

كؤوسا يستقيط بها أعين الطعان والضراب فتعاون عليه ناران

لتخفظ من كاس وباس حتى غفل بهما عن وثقة الحزم وذهل معهما عن بصرها

والتحذر فعثر بنفسه في أتباع خصمه أغرار الحال بسكره فلم يشعر

إلا بابن خلف قد كر عليه بضربة أقعصته قتلا ونزل الوقت إليه من

فقطع علاوة أخذ عقبه وانتسفت المحنة كلا الفريقين فلم يعرف الغالب
من المغلوب ولا السالب من المسلوب خلا ابن خلف فانه فقئ ابا رقلة لمن
ردهم الى محله وورد الناعي على السلطان فناله من الغم بفقد الغم
ما ينال الوالد لعدم ولده والولد لافتقاد صنو والده واستدل بما اتفق
لابن خلف على احداق الشقاء به وبذويه واطباق البلاء عليه وعلى من يليه
وحدس ان البقرة تبحث عن المدية بروقيها والنملة تقضي عليها بنات جناحيها
ولو عقل الفراش ما عشنا ما عاش الا صونا بالدار ولا نهافت في مصرع
بوارق شمائلة الفرس في أخبارها مثلا وللاعاجم في أيامها مثل

قالوا اذا ما جانت منيته اطاف بالبئر حتى يهلك الجمل

ونحا السلطان في شهور سنة تسعين وثلثمائة الى خلف بن أحمد
وهو متحصن بحصار اصفهبد قلعة بنتها ومن مجرى النجوم قاب قوسين
بل فيد سهمين تحور عن مراماتها الابصار وتحار دون مساماتها الاطيار
محاصرة بها ممنوعا من فسحة الاختيار ممنوا بشدة الاضطرار مجموعا
بداعية القرار ولذة الفرار حتى نحب الروع ووقع الدوح روحه فاستشعر
الخنوع والطاعة واظهر الخشوع والضراعة وسأل سؤال مستكين ان

يفتدي نفسه من جناته ودمه من حبل ارهاقه على ان يفتدي بمائة الف دينار والملتقى
بها من جنسه ونثار وتحف ومبار فاجابه السلطان الى ما التمسه واستنفذه وكل به من
اقتضاه المال حتى استوفاه وغادره عما هو فيه من اسار الحصار وخناق
الوثاق وفي نفسه قصد بجستان لانه احب ان يجعل غزوه في الهند
مقدمة لما نوخاه وصدقة بين يدي نجواه تبركا بالجري على يده من رفاع
رايات الدين واتساع ساحة اليقين واثارة كلمة الصدق واغارة قوى الحق لنجح
فتوغل بلاد الهند متوكلا على الله الذي هداه بنوره وقضى له بالعز في مقدوره وما
في تضاعيف اموره حتى انتهى الى مدينة بوشنور فخيم بظاهرها وبلغه ان جنود
عدو الله ملك الهند جيبال على التأهب واستعماله القضاء بمجاورته فنابه فاستعرض
الخيول من ابناء جديدته وسائر الغزاة والمطوعة في جملته واختار للجهاد
خمسة عشر الف عنان من فحول الرجال وقرون الابطال وجعل ان يخلط
بهم من ردة الاختيار وسرجه الانتقاد حتى اذا خلص عددهم على الانكا
واجتلا كجنات الصلاح واسود الغاب دلفهم الى قبال الهيئتين اللعين بقلوب
كالهضاب ثابتة وقلوب صبر على دوح الاخلاص نابتة واقبل الكافر الفاجر
في اثني عشر الف فارس وثلثين الف راجل وثلثمائة فيل تئن الارض من ثقله

أطرافها وخفف من ثقل أخفافها حتى أناخ فنازله السلطان منطا ولا بعدده
وسطا ولا بقوة باعه ومده وبطر بكثرة الجموع بطوى كتاب الله طيا ونفى من
أمر الله شيئا ولو درس الجاهل من كتاب الله لقرأ كم من فئة قليلة غلبت
فئة كثيرة بإذن الله وأرتز الكافر بمكانه جانحا إلى المطاولة ومتحرزا بالمدا
فعة والمراوغة انتظارا لمن وراءه من أوشاب الجيوش وأوباش القبائل
والشعوب فأعجله السلطان عما حلم به من تهذيب المطاولة وتأخير المقا
تلة وبسط عليه أيدي أولياء الله فأوسعوهم جرحا ونهبا ومتفا ورشقا
وحزا ووخزا ودحا وسحبا حتى اضطر إلى الدفاع وصلي نار القراع فاصطفت
عند ذلك الخيول وخفقت الطبول وزحفت الفيول وأقبل بعضهم على بعضهم
بصول وتواثبت الأبطال على الخصل تراعي ولدان الأصايل بالخصل وتلالا
متون القواضب تلالؤ برق الغيم جنح الغياهب وفارت ينابيع الدماء حتى
فاضت مجاري الأنواء وكانت أولياء الله على حامية المدابر يؤزهم أزا
ويحثهم رفضا وحمزا فلم ينتصف النهار إلا وقد انتصف المسلمون من أعداء
الله المشركين وحكموا السيوف في زهاء خمسة آلاف رجل فبسطوهم
على العراء وأطعموهم سباع الأرض وطيور الهواء وحتل على صعيد المعرك

خمسة عشر فيلا مقرونات العراقيب بأطراف النشاشيب محزوزات
الخراطيم بأسياف اللهاذم وأحيط بعدو الله جيبال وبنيه وحفدته
وبني إخوته وذوي الصيت من رهطه وذويه فشدوا بحزائم القسر والإ
إلى موقف السلطان كما يساق المجرمون إلى النيران وجوه عليها غبرة
ترهقها قترة الخذلان ثم مكتوفا إلى الظهر فهذا مشحوب على الخناجر
أو مضروب على الوريد صبرا وحل مقلد جيبال عن قطيعة من صحيح بفرائد الدر
والجواهر الزهر واليواقيت الحمر قوم ما بين ألف دينار وأصيب أمثا
على أعناق المقتسمين من قرابته من قتل وأسر والطعين شدة أضعا
ف ذلك ونفل الله أولياءه ما فات حد الإحصاء وجاز جهد الحصر والاستقصاء
واغتنموا خمس مائة ألف رأس من رقاب العبيد والإماء وآب السلطان
بمن معه من الجيش إلى المعسكر غانمين وأثنوا على الله ظاهرين شاكرين
لله رب العالمين وفتح الله على السلطان من ديار الهند أرضا سعة بلاد خرا
في جنبيها طولا وعرضا ووافقت هذه الوقعة الباهرة أثرها السابعة إلا
خبرها يوم الخميس الثامن من المحرم سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة ولما وصفت
هذه الحرب أوزارها وحطت عن الظهور أثقالها أحب أن يصرف الجيش

ورآه ليراه بنوه وذووه في شعار العار وإسار الخسار ويستطير هيبة الإ سلام
في ديار الكفار فوافقه على خمسين رأسا من عتاق الأفيال وأن يضمن إتاوة قدا
له على الوفاء بها على الكمال وعاد الكافر وراءه حتى إذا استقر بمكانه كاتب ابنه
أنندبال وشاهيه وراءه يستنجده يشكو إليه ما عراه من الفاقرة الكبرى وا لداهية
العظمى وسأله سؤال ملحف ملح أن يؤدي عنه الضمان لإعوازها إياه فساق
إليه تلك الفيول وصرف الرسول فسيق جانبها إلى السلطان فأمر بالإ
فراج عن أولئك الرهائن وكسع أدبارهم نحو تلك المدائن وحدث نفسه
أنندبال بأن أباه قد لبس بردة الخرف وعض على جذل الهرم وقد طلع
عليه نسر الأسر ودبران الإدبار وعواء الامتحان وشالت به شولة
الخذلان فقد حان أن يلقى حينه ويقاضي عليه الزمان دينه ومن سنته
المطاعة فيهم أن من حصل في أيدي النابتة وهم المسلمون أسيرا لم يستفد
له من بعد رياسة ولما رأى جيبال حصوله بين قيد الهرم وقيد المذلة
آثر النار على العار والمنية على الدنية فبدأ بشعره فحلق ثم تحامل على النار
حتى احترق ولما استتب للسلطان ما أراد وانقاد له ما أفاد أزاح
لغزوة أخرى يطرز بها ديباجة مقامه ويعلم بها عذبات أعلامه مال نحو

وبهند فضرب عليها بكلكل الاقتدار حتى افتتحها صغرا واعتاض منها بعد
العسر يسرا وبلغه لياذ طوائف من الهنود بشعاب تلك الأعلام واستتارهم
بخمر الغياض والآجام متحزبين بالتحزب للفساد والتألب على العناد فأغزاهم
حشما يدوخ مجالهم ويفتق قبل الوصول أوصالهم فولغت فيهم السيوف
حتى رويت من رشاش دمائهم وصديت من مخالطة أحشائهم وعاد من
سلم على ظباتها هالكا وعالق في ربود تلك الجبال دون الكواكب طرا والمنايا
سودا وحمرا وذاقوا وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا وانقلبت
رايات السلطان لأعزته خافقة بالنجح الشائع والفتح الرائع والحول المنيف
والنصر المبين وقد أشرق وجه الإسلام وابتسم ثغر الإيمان وانشرح
صدر الملة وانقصم ظهر الشرك والبدعة وقد كان خلف بن أحمد عند انصر
السلطان عهد إلى ولده طاهر في أعمال سجستان وأسند أمورها إليه
إيثارا له على نفسه وهديا للذمة الملابة إليه قبل وفاته وتمكينا له في ملكه
قبل استحقاقه إياها بأثره تعرضا للسلطان باستعفائه عن الملك
وإقباله على النسك واعتناقه مواضع العبادة عن مربع السيادة ليقطع
بخروج الأمر عن يده طمعه عن قصده وحصده فلما انقضت المدة على

ما ولاه نطقت شواهد المحمود في أخباره وبدت نواجذ العقوق من ثني آثاره
فلم يزل يلاطفه ويداريه حتى أعماه عما نواه فيه ثم تمارض في الحصار المذكور
واستدعى ابنه لقبول الوصية وتسليم الودائع الخفية فغفل عن سر المكيدة
وتدبير العقاب والنكير وأقبل إقبال طرفة بن العبد على حصلتي الضبع
من ضرب الجيد أو حز الوريد وقد كان خلف بن أحمد كمن له مقانب من جيشه
فأحاطوا به إحاطة حبل الربا بجذمه الوضاح إلى أن حصل في معقله وحبس
في قلعة أجله وتوفي في السجن على حاله إلى أن أخرجت جنازته محالا عليه في
قتل نفسه والجناية على روحه ودمه ولما سمع طاهر بن بنت صاحب
جاش خلف بن أحمد وسائر قواد سجستان ما جرى في أمر طاهر دخلت في
طاعته ضمائرهم وتغلغلت في موالاته سرائرهم واستشعرت خوف الأسوة
فيه ضمائرهم فضبطوا مالك المدينة على طاعة السلطان ومتابعته وأ
رسلوا إليه أوجبوه من التمسك بحبل الطاعة والتنسل من الجماعة
وسألوه أن يأمر من يتولى تسلم تلك الناحية منهم ليبتدروا إلى بابه ويتعطر
بلثم ترابه ففعل السلطان ما سألوه وجزاهم الخير على ما فعلوه وأقيمت
الدعوة للسلطان بها في سنة ثلث وتسعين وثلثمائة ولما فتح الله رتاجها

١١٢
وتيسر له انفراجها عزم على قصد خلف وحسم دابره وكفاية الخاصة وا
والعامة عوادي مكره ودواهيه وهو يومئذ في حصار الطاق وهي حصن
أنه سبعة أسوار رفيعة الجدران منيعة البنيان وثيقة الأركان
يحيط بها خندق بعيد القعر فسيح العرض ممتنع المخاض لا يعبر إلا من
طريق مضيق على جسر يطرح عند الحاجة ويرفع وقت الاستغناء
عنه فعسكر السلطان حواليه محيطا به من جوانبه إحاطة المحيط
بنقطة المركز وجعل يستفرغ بالرأي وجه الحيلة في طم ذلك الخندق
وتسويته ليستمر على الفارس والراجل خوضه وعبوره وكانت حوالي
منابت أثل وطرفا ذوات أحقاف والتفاف ففرض على أهل عسكره
خاصتهم وعامتهم راجلهم وفارسهم عضد ما أمكنهم عضده منها أضغاثا
وحزما فلم يعرض الخندق ليستتب ظهر المجال والمخترق وبادر الناس
إليه فلم تشرق شمس النهار على النية حتى اعترض عرض الخاضة من جانب
باب الحصار للركوب وثار إليه عند ذلك الخيول وسعتها الفيول وكاع
أصحاب خلف بن أحمد من شرفات الحصار بقذفات الأحجار واشتعلت الحرب
بينهم تذكي بشرر كالقصر ويحمى على الفريقين بالفرس والقسر فزحف

الفيل العظيم الى باب الحصار فاقتلعه بنابيه وزجّ به في الهواء وأنحط
لبنا الأرض من حائطه وقتل من اصحاب خلف الجمّ الغفير ونجا الباقون على أطراف
المناجيق الى السور الداخل ودمّر عسكر السلطان على الحصار وتسلّق
أصحاب خلف بن أحمد فوق شرفات السور الآخر مما صلي عنها بأحجار المجانيق بنق
واطراف الحراب والمزاريق واطلع خلف بن أحمد عند اشتداد الخطب على
ملتقى الفريقين فرأى الهول المطّلع من لوح الفضاء بعفاريت الأجناد على شبا طى
الجياد وتطاير النبال كرجل الجراد وتراءى الحراب كغزالي السحاب وفح
الدماء كسيح السماء وعاين الفيل قد أهوى الى بعض أصحابه بخرطومه فزج
به في الهواء فلما انحط تلقاه بنابيه وأقبل على الآخرين يدوسهم بمنسمه
ثم انحى على الباب بكلكله فزعزعه بعضادتيه واقتلعه بضباب الحديد
عليه فاستطار عند ذلك قلبه وجاشت جأشه وارتاع روعه واضطره
هول المقام وفزع الاصطلام الى طلب الأمان واستغاثة السلطان فكفّ
عنه يد الاجتياح ووضع عنه سوط الانتقام كرماً غذاه الله بدرّه وأطابه
بنشوة خمره وأقبل خلف بن أحمد على رجليه الجائزة حتى استؤذن له على السلطان
فقبل وأهوى الى الأرض بشيبته البيضاء معفّراً بذل الخدمة وغشي البساط

١١٤ من نسج الجواهر والقرائب ما أسف النهار وخطف الأبصار بشارا ينوب
عنه في شكر ما أذاقه برد العفو والرحمة وحماه من حريم الذوج والمهجة
فلم يرم السلطان بالرفع من قدره وضمّ يده عند التقريب الى صدره بنا سبا
لما يسوغ من هنائه وتناساً عما تقدم من ذحوله وترائه وحلمه في احتمال ما
أجتب من بدء سباره وذخائر حصاره وحسرته في المقام حيث شاء من ديار
ممالكه وأمصاره فأختار أرض الجوزجان أستتروا حالي بنسيم هواها واستعذ ما
لمسومها وأسأنا في مرابع الصبّود حول أرجائها وأمر السلطان
بتسييره اليها في هيئة ذوي الهيبة معافى بلباس الصيانة عن عورة المهانة نخ
فأقام بها قرابة أربع سنين التزفية وساعدته القناعة عن اهوية ثم أنهي
الى السلطان مواطنة بينه وبين ايلك الخان ملطفات سبقها اليه ومرا سلان
اعزامها عليه فاقتضاه الاحتياط نقله الى جرديز اتقاء عليه من صدق
ما اصيف اليه وأسماما لصنيعه لديه واختراسا مما يلجأ اليه من
ابطال ذلك الاقبال وتكدير ذلك الغدير فبقي هناك على حاله الى أن
حقت عليه القضية واخترمته المنية وذلك في رجب سنة تسع
وتسعين وثلمائة وأمر السلطان جميع ما تخلف عنه على ولده أبي حفص

ويصورونه في يده وتمكينه من خدمته وأنشدني أبو منصور الثعالبي لنفسه فيه
حين وفي أمره وصفرت عن الملك يده

من ذا الذي لا يذل الدهر صعبته ولا يلين يد الأيام صعدته
أما ترى خلفا شيخ الملوك غدا مملوك من فتح العذراء بلدته
وكان بالأمس طلقا لا نظير له فاليوم في الأسر لا تنفك أسرته

وكان خلف بن أحمد مغنى الجناب من أطراف البلاد لسماحة كفه وغزارة سيبه وإفضاله على أهل العلم وحزبه وقد مدح على ألسنة الشعراء والعلماء بما هو سائر وذكره في الآفاق طائر وقد كان جمع العلماء على تصنيف كتاب في تفسير كتاب الله تعالى لم يغادر فيه حرفا من أقاويل المفسرين وتأويل المتأولين ونكت المذكرين وأتبع ذلك بوجوه القراءات وعلل النحو وعلامات التذكير والتأنيث وشحنها بما رواه عن الثقات الأثبات من الحديث وبلغني أنه أنفق عليهم مدة اشتغالهم بمعونته على جمعه وتصنيفه عشرين ألف دينار ونسخته بنيسابور في مدرسة الصابوني لكنها تستغرق عمر الكاتب وتستنفد صبر الناسخ إلا أن يقاسمها النساخ بالخطوط المحللة وأخبرني أبو الفتح البستي رحمه الله قال قد كنت عملت فيه ثلاثة أبيات من غير

115

قصد استبلغها إلا أنها سارت على ألسنة الرواة إليه فلم أشعر إلا ببدرة فيها ثلاثمائة دينار أتحفني بها على يد بعض ثقاته صلة لي على ما قلته وعملته والأبيات هذه

خلف بن أحمد أحمد الأخلاف أربى بسؤدده على الأسلاف
خلف بن أحمد في الحقيقة واحد لكنه مرب على الآلاف
أضحى لآل الليث أعلام الورى مثل النبي لآل عبد مناف

قلت له قريب من هذه الصورة حدث أبو إبرهيم بن هلال الصابي وذلك أن لسيف الدولة كان قدم بلد السلام فطلب شيئا من شعره عن لسان صاحبه فدافعه به إلى أن أزف وقت ارتحاله وأتاه عند الوداع ملحا عليه بإنجازه فأعطاه عجالة الوقت

إن كنت خنتك في المودة ساعة فذممت سيف الدولة المحمودا
وزعمت أن له شريكا في العلى وجحدته في فضله التوحيدا
قسما لو أني حالف بغموسها لغريم دين ما أراد مزيدا

فلما عاد الرسول إلى الحضرة حمل إليه صرة فيها ثلاثمائة دينار مرسومة باسمه وللشيخ أبي الفتح فيه أيضا مدحه

من كان يسعى علو الذكر والشرفا أو يبتغي عطف دهر قد نبا وجفا
أو كان يأمل عند الله منزلة تنيله قرب الأبرار والزلفا
أو كان يطلب دينا يستقيم به ولا يرى عوجا فيه ولا جنفا
أو كان ينشد مما فاته خلفا فليخدم الملك العدل الرضي خلفا
الوارث العدل والعليا من سلف حثوا بعليا هم في وجه من سلفا
المؤثر القصد في أنحاء سؤدده فإن أراد عطاء أثر السرفا
إذا النوى عنق ولى حلو منه سيفا إذا ما انقضى حقا له انتصفا
والسيف أبلغ للأعناق موعظة كم من صليف حماه حده الصلفا
وأن بدا ذلك في وجه مكرمة جلا بلا كلف عن وجهه الكلفا
مرضاة يصرف عمن يستجير به صرف الزمان إذا ما نابه صرفا
إذا اقشعر زمان من جدوبته أغنى الورى بكف جود له وكفا
بسخطه يرع الأفلاك خائفة والشمس حائرة والبدر منكسفا
يرى التوقف في يومي وغى وندى وحما فإن عن رأي مشكل وقفا
لله نصل هصيل في أنامله أعاد خطي يمينا بعدما نحفا
هين أمواله كي يستفيد بها عزا يوثل في أعقابه الشرفا

والمدح اللوم في أحواله هدف إذ لم يكن ما له من دونه هدفا
لا يلحق الواصف المطري معاينة وإن يكن سابقا في كل ما وصفا

وأنشدني أبو الفضل الهمذاني قصيدته التي يمدح بها خلف بن أحمد

سل الدجى ما هذه الحدق النجل أصدر الدجى حال وجيد الضحى عطل
لك الله من عزم أجوب جيوبه كأني في أجفان عين الردى كحل

ومنها يذكر أباه بهمذان واستقباله الحجيج للسؤال عن خبره والبحث عن وطنه ووطره

يذكرني قرب العراق وديعة لدى الله لا تسلبه مال ولا أهل
إذا ورد الحجاج لاقى رفاقهم بفؤاد بدمع هما النجل والسجل
تسائلهم كيف ابنه أين داره إلى ما انتهى لم لم يعد هل له شغل
أضاقت به حال أطال له يد أخره نقص أقدمه فضل
يقولون وافى حضرة الملك الذي له الكنف المأمول والنائل الجزل
وفاضت عليه مطرة خلفية بها للفؤادي عن ولا تنها عذل
يذكرهم بالله الأصدقين لدى اجتهد ما تقولون أم هزل
ولما بلوناكم بلونا مديحكم فما طيب ما تبلوا وما أحسن ما تتلوا

وانشدني السيد أبو جعفر الموسوي بيتين يذكر أنهما مكتوبان على داره

من سرّه أن يرى الفردوس عالية فلينظرنّ إلى أبواب كيوان

أو سرّه أن يرى الرضوان عن كثب بل عينه فلينظر إلى الباب

نعم وصفت سجستان للسلطان وهدأت عيون الفتن وسقطت نجوم الاحن وانقطعت أطماع الخلفية بها عن التغصّب والتحزّب واخفضت أبصارهم دون التوثّب والتغلّب ورجع السلطان إلى غزنة باهر الأمر عالي الظفر قد صنع الله له فيما رامه وسدّد نحو المراد سهامه وشهّره بافتراع المدينة العذراء واستصفاء المملكة العذراء واطلاع ذروة العلياء وادّراع لامة العزّ والعلاء وانشدني أبو منصور الثعالبي في فتح سجستان من قصيدة

سعدت بغرّة وجهك الأيام وتزيّنت ببقائك الأعوام

وتصرّفت بك في المعالي همّة تعيى بها الأفهام والأوهام

ولقد فرشت بما رجعت لك فاغتدت تثوي الأسنّة والاقدام

وأتمّ سبعا لا لكل مدينة بكر عليها للاناس ختام

هذي وريح استغلقت وتمنّعت وكأنّها إلّا عليك حرام

فتحتها وأخذتها ومنحتها نفرا هم لفنائك الخدّام

فتقدّمت والأيام تنشد في الورى مثلا تجيد نشيده الأيام

قد جاء نصر الله والفتح الذي نزهى بكتبه وصفه الأقلام

بأجلّ أحوال وأيمن مقدم وأتمّ إقبال بليته دوام

ورحم الله البديع أبا الفضل الهمذاني حيث يقول في السلطان يمين الدولة وأمين

تعالى الله ما شاء وزاد الله إيماني أأفريدون في التاج أم الإسكندر الثاني

أم الرجعة قد عادت إلينا بسليمان أظلّت شمس محمود على أنجم ساسان

وأمسى آل بهرام عبيدا لابن خاقان إذا ما ركب الفيل لحرب أو لميدان

رأت عيناك سلطانا على منكب شيطان فيوما رسل الشاه ويوما رسل الخان

فما يعزب بالمغرب عن طاعتك اثنان لك الشرق إذا شئت كما هل أبوان

أما والي بغداد وبا صاحب غمدان تأمّل أي فيل على سبعة أركان

يقلن أساطين ويلعبن بثعبان عليهنّ تجافيف يشهدن مالوا ن

وما جوج وما جوج من الجند لموجان

نعم واستخلف السلطان على سجستان

بقيجي الحاجب أحد المحتشمين من قوّاد ناصر الدين سبكتكين فحسنت في السياسة سيرته واستدّت في الرفق بصيرته ثم إنّ طوائف من نجوم الفتنة ورجوم الشرّ والعصبية أبطرتهم رفاهة العيش ورفاغة الأمر وفسحة الحال

وسعة المجال بعد تواتر بعثهم بتقديم من يضمهم على العصيان وثوبهم في الخروج على
السلطان تعرضا للهلاك وتحككا بالشقاء واجترا على سوء القضاء فابرزوا
صفحة الخلاف واخترطوا نصل الشر من الغلاف فلما رأى السلطان انتقاض
بيعته على خلفائه وامنائه بادر اليها في عشرة آلاف رجل من نخب العسكر ومعه
صاحب الجيش ابو المظفر نصر بن ناصر الدين والتونتاش الحاجب وابو عبد الله
محمد بن ابرهيم الطائي زعيم العرب وحصر المودة والعناة في حصار ارك ووكل
خيول عسكره بجوانب الاسوار واقتسم بينهم مجال ذلك الحصار ونشبت الحرب
بعد العصر من يوم الجمعة النصف من ذي الحجة سنة ثلث وتسعين وثلثمائة
وخاض السجزية غمرتها متوازرين على المدافعة ومتظافرين على الممانعة والمقارعة
حتى اذا ذاقوا حر السلاح واثخنتهم الجراح لاذوا بالاحجار والاعتصار بسور
الحصار وظهر اولياء السلطان على بعض جوانب السور في ظلمة الديجور فنادوا
بشعار الملك المنصور فانهزم الفجار وملك عليهم الحصار وبسطت ايدي القتل
والضرب على من تضمنتهم الدور ولفظتهم المساكن والبيوت من رؤوس منبوذة
واعناق مجذوذة ووجوه مكبوبة ودماء على الارض مصبوبة وهام الآخرون
على وجوههم يتساقطون من كسع الادبار في الآبار ويلوذون من ضرب الجماع

في المخادع ويفزعون من شن الغارات الى المغارات والطلب يقطع دابرهم
ويلحق بالاول آخرهم حتى خلت سجستان من عيث شرارهم وفتح الله تلك المملكة
على السلطان فتحا ماثورا وملكا باقيا فلم يسمع بمثله على الايام فتحا في غلق الظلام واستفا
هيبة السلطان في اهل سجستان حتى نامت لباتهم عن دبيب العقارب
وصرير الجنادب وانشد بعض اهل العصر على نفيثة النصر

يا ايها الملك الذي بيد المعالي نفتح
لا زال ثغرك باسما من اجل ثغر تفتح

وانشدني ابو منصور الثعالبي له في هذا الفتح الشهير والنجح الكبير يمدح السلطا
ن يمين الدولة وامين الملة

يا خاتم الملك ويا قاهر الاملاك بين الاخذ والصفح
عليك عين الله من فاتح للارض مسئول على النجح
رايته تنطق بالنصر بل تاذن لكتب النجح
كم اثر في الدين اثرته يقصر عنه اثر الصبح
وكم بنى للمجد بنيته يثني عليها السن المدح
فاسعد بما ملكت واستغن في الاعدا بالكبح وبالذبح

ودم رفعا عالي القدح ممتنع المنال على القدح

ثم جعل السلطان تحسينا لطعمه لأخيه صاحب الجيش أبي المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين مضافة إلى نيسابور ونواحيها ولاية في بلاد الشرق فنصب خلافته عليها أبا منصور نصر بن إسحق وزيره ووكل بها تدبيره ورضي لها تقديمه وتأخيره فقام بضبط الولاية واستدرار الجباية وأعان السياسة والحراسة فنام من عدله الزمان بثقافته وزينته العمال بأوصافه وعاد السلطان إلى بلخ على استئناف الجد في غزو الهند على ما سنذكره في موضعه بإذن الله

ذكر شمس المعالي قابوس بن وشمكير واستقلاله إلى مملكته بعون الله ونصرته بعد طول التقلب في التغرب

قد كان شمس المعالي أقام بخراسان ثماني عشرة سنة مصابرا للدهر على تقاعسه وتصرف حالاته لم تغمز الحادثات قناته ولم تقرع صروف النائبات صفاته ولم تنقض دوائر الأيام مرونته ولم ينقض على اختلاف أحوالها جبونته ولم يستن من أصحاب الجيوش وزعماء الجمهور من لم يضرب بسهم في نوافله ولم يرجع إلى حظ من عطاياه وفواضله ولم يخدمه أحد من ذوي الحشمة بسلام إلا حظي منه بإنعام وإحسانه وأحسه ألوان وأفراس مطهمة حسان تعلى الأكتاف خلعه ولباسه وتحت الأفخاذ مراكبه وأفراسه وحشو البيوت بدره وأكياسه وقد كان آل سامان يمتون بدره إلى مملكته حيازة لقصب السبق في إدالته على خصمه وإعادة ملكته إلى يده فقطعهم توالي الفتوق من كل وجه عليهم عن إصابة أغراضهم في أمره واقتضته بصيرة التجارب مداراة المحنة حتى ينتهي زمانها وينقضي عن الإقبال بحرانها إذ كان الاضطراب في المحن كالاضطراب في حبل الحبائل ما يزداد صاحبه على نفسه حركة إلا ازداد اختناقا وهلكة ومما يضاف إلى شعره قوله حال محنته

قل للذي بصروف الدهر عيرنا ... هل عاند الدهر إلا من له خطر

أما ترى البحر تعلو فوقه جيف ... وتستقر بأقصى قعره الدرر

وفي السماء نجوم غير ذي عدد ... وليس يكسف إلا الشمس والقمر

ولما وطئ ناصر الدين سبكتكين عراص خراسان وظلته الظفر بأبي علي من كورها أراح للقائه وما يبحثه على نصرته وإعلائه ثم اتفق له من الانقلاب إلى بلخ ما حال بينه وبين المراد فعقده على جملته إلى أن انقرض أمر أبي علي وخوى نجمه الشغل به وانحدر إلى طوس في طلب أبي القاسم السيمجوري فجدد عند ذلك شمس المعالي عهده به ولاطف كل منهما صاحبه الأنس به بنان

ولا يتبع له حساب ولا احسان وجرى ذكر فخر الدولة صاحب الري وا
ستظهاره ببدر بن حسنويه صاحب الأكراد والفوارس الأنجاد فأراد نا
صر الدين سبكتكين أن يسلط عليهم حماة المشرق ورماة الحدق من كتائب الح
ضرة الخاصة فأرسل حاجبه الكبير التونتاش الى بلك الخان يستنجزه حكم الايجاب التي
تعاقدا عليها من وراء النهر من الانجاد في الوداد بعشرة آلاف رجل من نخب
رجاله وشهب أبطاله وصرف شمس المعالي وراءه على ميعاد معاده ورجع
ناصر الدين الى بلخ مستنجز الأمر ومنتظرا لوصول العدد المذكور فاستأثر
الله به قبل أن عاد الرسول وبحث المسؤول فخبط عليه ما صنع وصوح نو
نبت ما زرع وتوسط وجوه الناس بين السلطان يمين الدولة وأمين الملة
وبين شمس المعالي في اسعاده ورده الى معاده على ما يقضي به حق عنايته
ويضاهي به حسن بلائه في تحقيق رجائه ومحق ما بدا من أعدائه فأظهر الوفا
لغاية شهرين من قراره بجرجان أذ كان يحصل بحل ما يلزمه على ما بذله
من أحلابها ويحصل من أخلافها وإنه يحاشي يد وأسفال الملك أليه خبط
رعيته بالحيف والعسف والإلحاح عليهم بشرد الجرف والنسف فأغفل
السلطان يمين الدولة وأمين الملة ما أهمه من أمره وشغل الخاطر به

١٢١

عن نعم أظهاره وتحيل رده الى داره فاستمهله ريثما يقضي ما امامه وينفض
الشغل ما وراءه وسار الى غزنة حتى يسر الله له افتتاحها وداوى على يده جراحها
وكان أبو القسم بن سيمجور مقيما بقومس فلما مضى فخر الدولة لسبيله أحال الى جر جان
تشغلا عليها وكان شمس الدولة قابوس بن وشمكير بالامتداد اليها بقوم بتسليمها
اليه وتصييرها في يديه فسار على سمت البر وقد حتى وافى جرجان وأبو القسم باستر
اباذ وقد جهز من الري ابو العباس فيروزان بن الحسن في جماهير الشاهنشاهية من قواد
الديلم والاكراد وكان قد اطمع ابو القسم من بخارا في ولاية قهستان وهراة واخر
معاودة خراسان وللاعتضاد به والاستظهار بعدته وعديده فجرد عزمه
للانصراف وضرب لتلك المواعيد بالاخلاف غير حافل بما لحقه من المذمة بخذلان
من جشمه لنصرته واستقدمه على ما تحت يده وقدرته وسار نحو اسفرائن فا نقلب
شمس المعالي قابوس بن وشمكير الى نسابور على جدة النهل اسما بالوقت الى
منقطف الرجاء ومخترق الامل وتربصا باحوته رجم الليالي من حنين المقدور
في دائرة الميسور على المعسور ولما رأى امور آل سامان مختلة النظام منحلة العرى
وأدواءها لا تزداد على الرقع الا خرقا وعلى الرتق الا فتقا محض الراي فيما يقيم له
ما بدا من أمره ويحرس عليه ابد ملكه فكانت زبدة مخضه أن سير بالاصفهبذ

شهريار بن شروين الى جبل شهريار لاستصفائه فسار نحوه تحت لوائه وقائد
الجبل يومئذ رستم بن المرزبان خال الأمير أبي طالب رستم بن فخر الدولة صاحب
الري فناهدا للقتال على رسمهم في الاحتراس بالتراس والادراع لباس الباس فشد
عليهم الاصبهبذ شدة شردتهم بين المهامه والدكادك والجأتهم لهوات المعاطب
والمهالك واصاب منهم غنيمة جسيمة بعد ان قتل منهم مقتلة عظيمة واقام الخطبة
بالجبل على شمس المعالي قابوس بن وشمكير وكان بأبي بن سعيد احد اعيان الجبل
وشجعانهم مقيما عند الاسبدارية في طوائف من اضرابه مشايعا لهم في ظاهر
الامر وناظرا الى موالاة قابوس بن وشمكير من نقاب السر واتفق ان نصر
بن الحسن بن فيروزان لفطنته الاضافة بناحية الديلم الى حدود الاسبدارية
فطمع في مغالبتهم عليها ومزاحمتهم فيها فقذف من جمرات انابها من طرده
عنها وقبض على خاله ابي الفضل اصفهبذ كلاد فسجنه الى ان دفن ومال بعد
ذلك ابي بن سعيد بنصر فتساعدا على قصد آمل وبها ابو العباس الحاجب في زهاء
الفين من عسكر الري فاجلياه عنها نفقوه الصفاح وهشمته تذروه الرياح
وطير عند ذلك بأبي كتبه الى شمس المعالي بذكر الفتح الذي اتيح على شعار موالاته
واستشعار طاعته وتمام الاتية واظهار النصح باستطلاع رايته فتفصل

عن نيسابور سائرا نحو جرجان وتحيز أبي بن سعيد عن مضامة نصر الى استرا
باذ فجاهر بشعار صاحبه وجمع اليه من ابناء الجبل من كان يسد الثغب
قواه ويستلم ركن طاعته ورضاه وكتب شمس المعالي الى الاصفهبذ بالانضمام
الى ابي وجمع اليد الى يده فيما قدم واخر والشد على عضده فيما اورد واصدر فتفصل
ما امر وتسامع ابو العباس فيروزان بن الحسن بمسايرهما وهو مقيم بجرجان فنهد
لكفاية امرهما واخماد ما التهب من جمرهما فوافقاه بباب استراباذ فوقعة انشب
فيها جدود القواطع من جنن المدارع ومزارق الذابل من مفارق الهامات
وكادت الهزيمة تستمر باصحاب ابي لولا انقلاب الاكراد والعرب في
عسكر الديلم عليهم ببيض الظبى وزرق العوالي منادين بشعار شمس المعالي فانهزم
ابو العباس فيروزان بن الحسن فيمن معه فرحب الطلب ادبارهم واسر هو
وزهاء الف وعشرين نفرا من وجوه القواد في جملته واسرى نفسه الفل نحو
جرجان وقد تقدم اليها قابوس بن وشمكير سالار بن حرب كابن احد اقاربه ففضوا
ربه وعويلا وضلوا فلا يستطيعون سبيلا واضطروا الى استئناف الهزيمة
فرحا على فرح ولما وافى جرجان وخوطب شمس المعالي قابوس بخبر الفتح وما هيأ
الله من عظيم النجح فسار الى جرجان وقد شرح الله صدره وجلا عنه سوف

ونسخ باليسر عسره وزاد على القلب قدره ولبعض كتاب أهل العصر فيه عند
زفاف الملك أبيه قصيدة أولها

للبيد ما لم يعنه الجد غدار … والحر ما لم يزنه الصبر خوار
وللكريم إذا الأيام زلن به … عن المنى ثبات النفس أعذار
كم فاضل وجنون المنجنون له … حتفا على حسب الأدواء جرار
وكم جريح يرح القلب ذي عسر … وكم قتيل وما للسيف آثار
وكم فقير بلا جرم ومن خاينه … وكم غني وللأيام أدوار
ستر يسر بدع ودون غير منصرم … نصب العيون ودون الغيب أستار
من كان يخبر حال الدهر دائرة … لم يثنه عن عيان الحال إخبار
فانما حاصل الايام مختبرا … جذ ناصع عن التحقيق فرار
يجي الزمان عثار لا اصطبار له … ورقة للذي في العسر صبار
فاصبر هديت فإن الصبر منجحة … ومن وراء ظلام الليل أسفار
والدهر ذو غير أحواله نوب … عسر ويسر وإحلاء وإمرار
والبدر يدركه المحق منتقصا … وبعده لضياء التم فوار
والنار في خلل العيدان كامنة … وسقطها بأقداح الزند سعار

والجد يطبع بالصمصام ثم له … من صيقل الدهر جلاء وشيار
هذاك شمس المعالي في سيادته … له مع الفلك الدوار أخبار
أعطاه من غرر الآمال ما قصرت … عن نيل أشتاتها في الدهر أعمار
ملكا وعزا وعيشا ناعما وعلى … ودولة ضمنها نصر وأوطار
لما كساه دروع العز ضافية … ولم يجد منه غير الشكر مختار
أبدى نشوزا عليه كي يجربه … بالصبر والصبر للأحرار مسبار
حتى إذا ما قضى من شيره وطرا … وللأمور نهايات وأطوار
أمسى يغادر ما أرضاه في خفر … وخده بدم التشوير فوار
فالآن خادمه والعز صارمه … والرأي رايته والخلق أنصار
قوم يضحي جبين العالمين به … كأنه الشمس والأعمار أقمار
راح الكرام إلى أوكارنا بلبه … كأنه الليل والأحرار أطيار
له المعالي سماء والندى شهب … والمجد غاربة والجود أمطار
علاه كالليل والمصباح همته … ونفله الجود والآمال سمار
تراه منهزم الأموال عن بدره … مثل انهزام العدى عنه إذا ثاروا
وجده الدهر فاض لهمته … والجود بائله والصيد أحرار
حياؤه بوقاح السيف ممتزج … وعدله في حزون البأس ستار

ندًا نداه الى الفردوس منتسب ... ووقع سطوته في حرّه النار
يوم الهياج صفاح البيض قلّته ... والجو من لهب الطعان صهّار
يغامس الحرب والارواح راقية ... الى التراقي وطرف الموت نظّار
برش من دفع الاعناق قسطلها ... اذ نقعها لجواصي الخيل ثوّار
تناذرت انجم الاملاك سطوته ... اذا الرماح من الارواح تمتار
فهن في همه الاضواء آنسة ... وهن من خشية الظلماء نفّار
للمشتري بينها في الخصر منطقة ... يبغي رضاه وللمريخ زنّار
كفته روعته امر مصلحة ... فما يدور على المخطوب ديّار
وقد افاض على الظلما هيبته ... فما بصرّ حذار الباس صرّار
ان السلامة انباء لهم نطقت ... يا ربّ ان لي في سيبه جار
يا ايها الملك الميمون طائره ... ومن نداه بفيض اليم زخّار
ان الزمان عروس ما لها ابدا ... سوى خصالك مشّاط وعطّار
النحل عندك في محل الندى كلف ... نعم وفي غرة الاقبال ادبار
ترمي العدى من بنات الكف صائبة ... فان هم لخانت المرمى اوتار
كأنما قد هوا من لفظ المنية ... وما نبت به وحي واقدار

تجني ولنهب الاقتار راهبة ... كانما اجنت الاوتار اثار
لا زال في نعم تفضي الى نعم ... ما طاف حول فنا البيت عمّار
متّعا بسرور غير منقرض ... حتى يفوق بجود الارض اغوار

ولابي بكر محمد بن العباس الطبري المعروف بالخوارزمي فيه من قصيدة يمدحه بها وقت مقامه

قامت تودعني بالادمع السجم ... والصمت بين يد منها وبين فم
البين اخرسها والبين انطقنا ... وهذه حالة في الناس كلّهم
قد طال ما انهزمت عنا السيوف فلا ... تجاسرنا عسكر الورد والعنم
وقد خلعت لجام الاتباع فلا ... تلفي سوالفنا في ذمة اللجم
لم يبق في الارض شيء لي اهاب به ... فهل اهاب انكسار الجفن ذي السقم
استغفر الله من قولي غلطت بلى ... اهاب شمس المعالي امّة الامم
كانّ الحظ من سيف الامير ومن ... حتم القضاء ومن عزمي ومن كلمي
قال الامير لاخلاق الكرام قفي ... بحيث انت فما زادت على نعم
وقال للعلم والآداب لا تزدي ... الا علي فما افهمت بلا ولم
القايل القول لو فاه الزمان به ... صارت لياليه اياما بلا ظلم

والفاعل الفعلة الغراء موجبة — بالذابل اللدن النيران من حمم

لا تحفلن بمصوب المال في يده — فقد تخف ضروع العارض السجم

قد يجزر البحر بعد المد تعرفه — وينزل الجدب وكر الأجدل القطم

ولا يغرنك أن النهر جارية — قد يغدر السيف يوم الروع بالبهم

ألآن إذ عدت الدنيا تجنبه — وقابلته صباحا أوجه النعم

ترنو إليه فيخفي شخص منقبض — لراحتيه ويغضي طرف محتشم

إذا دعت نحوه ساقا نهضت قدما — والعمر يذهب بين الساق والقدم

جيري بغير المجال وبيعدها — كذي يلون رجوع الاثر السدم

ولهُ فيه من قصيدة أخرى يقول في نسيبها

شموس لهن الخدر والبين مغرب — فطالعها للبين والهجر غارب

ولكنها شمس المعالي خلافها — مشارقه لبست لهن مغارب

وما النبل الشمس الا وقد رأوا — بأنك شمس والملوك كواكب

أقول لزوار الأمير ترحلوا — فمن زاره من راجل فهو راكب

وإن زاره الفرسان كنت كفيلهم — بأن يرجعوا والخيل فيهم جنائب

ألا أبلغا عني الأمير رسالة — تدل على أني على الدهر عاتب

إلى كم يحل المرء مثلك بلدة — لها منبر فيها لغير الخاطب

عليك بهذا السيف فاقض ديونه — فللسيف دين عند كفك واجب

فلا تقعدن تغضي الجفون على القذى — وفي الأرض مركوب ورمح وصاحب

غريمك هذا الدهر فالزمه يغترم — فلن يوفي الغرام إلا المطالب

وأنت ابن عم السيف بل أنت عمه — وكيف يخاف الأقربين الأقارب

أبيك أبو كم وشمكير جده — زياد ومرداويج عم مناسب

تخول لنا إما لواء ومنبر — وإما حسام كالعقيقة قاضب

وللقاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني فيه من قصيدة أولها

أسرى خيال الهاجر المتجنب — ومجرى دموع الزائر المتطرب

سألتك بالدهر الذي صرت بعده — فذي ناظري من بعد إذ كنت ملعبي

أعني على عيني إذا ما وعدتها — بقربك فالت الدموع تأهبي

ولما تداعت للغروب شموسهم — وقمنا للتوديع الفريق المغرب

تلقين أطراف السجوف بمشرق — لهن وأعطاف الخدور بمغرب

فأسبلن الا بين دمع مضيع — ولا من الآفوق قلب معذب

كأن فؤادي قرن قابوس راعه — تلاعبه بالفيلق المتأشب

هُمامٌ براه المالُ أسرعَ حادثٍ ... الى جُنّةٍ والقِرنُ لخوفٍ مُعطِب

يُفُضُّ العِدى اطرافُهُ قبلَ عزمِهِ ... ويُطرِقُهم رُعباً ولم يتأهَّب

وزُرقٍ على سُمرٍ تظلُّ اذا هوت ... تلاحِظُ اعقابَ الشهابِ المُذنَّب

ترفّعنَ عن طيشِ الرماحِ وزولهِ ... الى السهام وتقصير الحسام المجرَّب

مجرّ ظبات البيض ثم وصلنها ... الى الهنّ من سمر الرماح بأكعُب

فلن ينال السهم من متبعّدٍ ... ولم ينل مقام السيف في متقرِّب

فتىً ما ملا عينَ همّانٍ بصدرهِ ... ولا استهد الحلى براي مشعَّب

له الهمة العلياء والمنصب الذي ... تتبّعه الجوزاء الحاظ مُغضَب

اذا بعضُ اطرافِ الرجال تقاصرت ... عن المجد القوه كريم المنقلب

بني اخمهم من وشمكير بمنكِبٍ ... ومن سلف الاصفهبذين بمنكِب

ومذهبُ من مجدٍ وعزٍّ ومفخرٍ ... باثار مرداويج في كلّ مذهب

وما خلصت للمرء مسعاه والدٍ ... اذا لم يقابله بخال مهذَّب

كلا طرفيه برجع الطرف خاسئاً ... اذا رامه عن كلّ خرقٍ مُحجَّب

يحوز معالي اردشير بخاله ... ويعلو الرّي من شاء وشاءات

ولما اتت الهزيمة بالقوم الى الرّي على جملة الانكسار وذلّة

الافتقار وسِمة القتل والاسار قطع عليهم سِياط العَذل والتعنيف

وملئت عيونهم من نيقان التعيير والتشوير وكان ابو علي الحسن بن

احمد على الوزارة فاختار عشرة آلاف رجلٍ بهم الديلم وفتال الاتراك

ونُخب العرب وافراد الاكراد وسار بهم في منوچهر بن قابوس

ويستسنون بخاسب وكان بن كردويه وابي العباس بن خاي وعبد

الله بن ماكان وهولاء بنوت الجبل والديلم حتى اظل جبيل

شهريار وبلغ شمس المعالي اقباله فاستضمّ اطرافه وانتظر شهريار

استعدادا لمواقعته وتنجّزا لوعد الله في نصرته وتثبيت وطأته

واستتمام ما اعاد اليه من نعمته وجاذر ابو علي بن حموله الاذه

نصر بن الحسن بن فيروزان شمس المعالي قابوس بن وشمكير وانقطعه

الى جانبه فواصله بكتبه نافثا في عقدته فالا في ذروته ملحا

بسحره وملقيا اليه ان القرابة الوشيجة بين ابي طالب بن فخر

الدولة وبينه لو صادفت منه حكمها في الاشفاق على دولته

والانتداب لنصرته لكان اخوالنا برياسة اجناده ورعاية

ممالكه وبلاده وانه الان منى سلك طريق الخدمة وجانب جانب

النهمة وحافظ على حرمة اللحمة لم يعدم ما يهواه من ترتيب وترجيب
وتنزيل وتخويل وتفخيم وتفضيل فأذن له في الانتقال الى قومس
ليدبر امره بمقتضاه فانزعج نصر لما شامه من تلك العقيقة ووثق
به على الحقيقة وسار نحو سارية ثم قرض الجادة ذات اليسار وركب
ذات اليمين مما يلي طراسند وبادر حتى اذا حاذى رقعة قومس
أذاع في أصحابه رأيه في طاعة أبي طالب وأنه ما عاش فيتوخى خدمته
ونصير دعوته فاختلف عليه كلمتهم حين افصح بتدبيره وباح
بسر ضميره فمن فريق رجع الى الاسبندارية وفريق الى جرجان
في طلب الامان ووصل نصر في الاقل حتى اناخ بقومس وسأل
المعلى بن حموله تمكينه من بعض القلاع ليحصن فيه عياله
وانقاله فمكنه من حصار جومند فاستوطنه واودعه ماله ومن
معه ولما أمن أبو علي شره وعاد بنية التوجه نحو سارية على
قصد جرجان فلما اطمأن بها اسرى منوجهر بن شمس المعالي
قابوس بن وشمكير الى ابيه عائذا بالله من عقوقه وكفران
ما فرض الله عليه من حقوقه فاناب ابو علي بن بشتون

تجانسا لاشتراكهما في نسبة الجيل ولزومه ذلك القبيل واشفق
من صغوه القديم في خدمة شمس المعالي وحثه اياه على معاودة
سدته واهتبال الغرة من مراجعة جملته فاخذنا بالحيطة
في اعتقاله ورده الى الري في وثاقه وامتد الى ناحية جرجان تابعي
من الداعي فعسكره وتواصى أهل الحفاظ والحمية والانفة من
من أصحاب شمس المعالي بالثبات في التجالد والتساند على القتال
والتماسك عند التقارب وشدوا احيازيمهم للقراع وقرعوا ظنابيبهم
للمصاع فناصبوهم الحرب طرفي الصباح والرواح لا يسأمون وقع الصفاح
ولا يألمون لذع الجراح حتى عبر شهران كوم واصلين في مغامسة
الكريهة بين تلف وبديهة ومني عسكر جرجان بضيقة لانقطاع
الميرة والمواد عنهم فاستعصموا بالنفوس الشريفة وتحملوا طول تلك
الايام بالبلغ الخفيفة مؤثرين لشرف المقام على شبع الطعام وورد
الشجاعة على سد الجاعة واصاب الاخرين مثل تلك الضيقة واثقلوا
من الفضاء بغية الداعي الى جانب محمد باذ انشاها في العلوفات
من جهة جناشك فتداركت عليهم الامطار حتى اعوزهم ارتياد

وماجت عليهم الامطار بالطوفان فتساقطت الخيام وساخت القوائم
والاقدام وعندها برز انصار جيوش شمس المعالي الى اهل الخفان من وراء
الخنادق واحجوا نار الوغى كضارية القشاعم وداهية الاراقم وثبت
بعضهم للبعض من مطلع الفلق الى مسقط الشفق محكمين متون
الصوارم في شؤون الجماجم وذوابل الصعاد في مناهل الاكباد وزرق
الزانات في سود المهجات حتى اذا زالت قدم العصر اتى امر الله بالنصر
فحمل الجيلي على الديلم حملة لم تستبق منهم طالب ثار ولا نافخ نار
واسر من عظمائهم اسفهسالار بن كورنكيج وزهاء حسنان
بن اسلكي واخو محمد بن شالار ومحمد بن وهسوذان واشتملت
المعركة على الف قتيل ما بين طائح من صحيحهم الحتوف وسطحتهم على الارض
السيوف وافاء الله على الجيل غنائم لا يستوعبه بيان ولا يستثبته
بنان ثم رأى شمس المعالي ان يوعز بمداواة الجرحى والفك على الاسرى
وصرفهم واعمهم بالخلع والكرامات والاحبية والصلات
شكرا لنعمة الله فيما اولاه واكبارا للقدر منته في تحقيق
ما رجاه   وانشدني ابو منصور الثعالبي ابياتا له في هذا الفتح الذي

نظمه الله في سلك البيعة والحق الذي اقر منه نصابه

الفتح منتظم والدهر مبتسم   وملك شمس المعالي كله نعم
والعدل منبسط والحق مرتجع   والشعب ملتئم والجور مصطلم
ألقت مقالدها الدنيا الى ملك   ما زال وقفا عليه المجد والكرم
شمس المعالي مغيث المشرقين ومن   به تلوذ العلى والملك والحشم
هو الامام هو القرم الهمام هو   البدر التمام هو الصمصام والعلم
هو الغمام الذي تغشى صواعقه   قهرا ومن جوده نداه العرب والعجم
والماء من جوده المأمول منسكب   والنار من باسه المرهوب تضطرم
هو المقيم وقد سارت مآثره   كأن علياه من دنياه تنتظم
والارض من صدره والبحر من يده   والروض عن خلقه للخلق يبتسم
الله جارك يا من جار حضرته   يلفي السعود عليه الدهر تزدحم
ابشر فقد جاء نصر الله مؤتنفا   وعاش الفتح منشورا له العلم
يا من اذا اعتصمت صيد الملوك به   امسى واصبح بالرحمن يعتصم
ابل الجديدين ما العمر الجديد ودم   لله للمجد ملك التوفيق والقسم

وانشدني الامير ابو الفضل عبيد الله بن احمد الميكالي في ذلك لنفسه

رد نقصين شمس العلى قابوسا   نعم عصى قابوس لا في بؤسا

نعم ولما بلغ ابو علي بن حمولة فورس منهزمه عن تلك المعركة ارسل الى
نصر بن الحسن بن فيروزان يسأله تعجيل اللحاق به لتعاضد العلى لمّ شعث
الهزيمة وستلحاش من محن تلك الكشفة الذميمة ثم اعجله الطلب
عن التوقف والتلوّم فاوجف نحو الري واتاه نصر فلم يلحقه
فاستوطن سمنان وتابع كتبه الى ابي طالب مجد الدولة رستم بن علي
فخر الدولة مستمدا وشمّر للاني الخلل مجدا فتراخت المدة على انتياب
امداده وانتيال معرفته وانجاده ثم امدّ بابن كتكين الحاجب في زهاء
ستمائة من شجعان الغلمان فقوي بهم وتكثر بمكانهم ورماه شمس
المعالي بابي بن سعيد في رجال من الجبل وكتب الى الاصفهبذ شهريار بن
رستم لمعونته والاجتماع عليه فصبّحه نصر مختبا عنان التحفظ
ومغمضا جفون التيقظ وقد كان نصر سدّ الطرق على ابنائها سترا
لخبره وتحا لذيل الكتمان على اثره فاتفق اناخة ابي علي به
على حين تقطّع من رجاله وتفرق من اكثر اصحابه فتناوشا
الحرب ساعة ونصر مستضعف وامره في الفرار أجد ثم

اضطرّها الى الانقلاب على باج الجبهة وقتلت الهزيمة بمن لاحق
به وتراخى عنه من ذنابي عسكره وجرى عليهم من القتل والاسر
ما اعتد نصر به في مثالبه عند ابي طالب فغسل به وجه حاله وجلا
عنه صفحة اقباله وانهض عند ذلك رستم بن المرزبان خال مجد الدولة
ابي طالب في ثلاثة آلاف رجل مددا لنصر وعقد له الاصفهبذية
على جبل شهريار فتلقاه نصر الى دنباوند وساعده على صعوده وامتلاك
جدوده وجاء الاصفهبذ شهريار الى سارية وبها منوجهر بن شمس المعالي
متعصبا بعقوقه ومعتصما بعزوته فاصاب اهلها من علائم بلاوه
وشمل الكافة داوه وشيبه بسط الايدي بالغارات وانتهاب ما
اوعته الرعايا للرماق من الاقوات فاضطر نصر الى الانصراف عن
رستم بن المرزبان للقحط الشامل والبلاء النازل فلم ينهض الاصفهبذ
عند انقلابه ان ركض على رستم فاجلاه عنها الى خدّ الري منكوبا ومخذولا
ومفلولا فصفت له الجبنة وانحسمت عنه شذاة نصر وعادية
وكان ابو نصر بن محمود الحاجب قد آساه بعض المحن التي دهته الى خدمة
شمس المعالي فمهّد اكنافه وحكم في اصطناعه شرفه ووالي

الصنايع والرغايب اليه وملأ من أموال بدريه وسهل ركوب المطالب
عليه ثم رماه في وجه نصر بن الحسن مزاح العلة بقدر الكفاية من
من ذوي البسالة والنكاية فخف اليه بجأش ثبت ووجه على
الحادثات صلت واحرق عليه الارض حرباً بكراً على يديه وعوانا
على أيدي اعوانه ومدده ثم حمل على جموعه حملة شردتهم كل مشرد
وطردتهم بين اعين البيد كل مطرد وعلق في حبالة الاسر جستان
بن الداعي وابن هندو وغيرهما من اعيان القواد واصطف على جدالة
الحرب من القتلى ما تشبعت به الضباع بل سمنت عليه الوحوش
الجياع وانهزم نصر من بين يديه الى سمنان وكان نصر على جلالة بيته
وفخامة عشيرته ورهطه مغرماً بالظلم مغرى بالحيف والغشم
ووافقت ولايته مدرجة الحجيج زوار البيت العظيم وزمزم
والحطيم فشملهم عنته في كل سنة بوجوه من المطالبات المختلفة
والمعاملات المجحفة حتى انتشر عنه سوء الاحدوثة وحبط عليه
جمال تلك الجملة الموروثة ولعل عثار الزمان به عدوى صحيح
الحجيج عنده بالاستغاثة في حالتي الوقوف والافاضة واصل

نصر الري كتبه في الاستنفار واستنهاض من صرعه العثار فمد له في
طول التطويل بانواع التعليل والتأميل
مواعيد كالخبت سراب المهمه القفر فمن يوم الى يوم ومن شهر الى شهر
وبلغه بعد ذلك ان مجد الدولة ابا طالب وشمس المعالي قد تناجيا على
احتيال تحصيله والظفر به فتباطنا وضاق به الامر ذرعاً
ونمي اليه ايضاً ان بعض قواد السلطان يمين الدولة وامين الملة وكان
يعرف بارسلان هندوجه والي قهستان قد اوقع بابي القاسم السيمجوري
واجلاه غصباً الى الجنابذ فاغتنم السير اليه على مظاهرته والتحصن بموافقته
ومظافرته وجعل يحطب في حبله ويبتل في ذروته وغاربه ويزين
له قصد الري معه لانتزاعها من يد ابي طالب ايهاماً لتغلل النيات
في طاعته ودخول الاهواء في متابعته فاغتر ابو القاسم بتغريره
وانجر في جريره وسار الى حوالي الري فتلقاه من بها من الكتايب
من غص بهم لهوات تلك المخارم والمسارب ولما رأى ابو القاسم ان امر جده
والطريق منسد حنش ورآه عاضاً على البنان منجزاً لعارض الحرمان
وبلغ شمس المعالي خبر انصرافه مع نصر عن وجه الري فقذفهما بعثار

الاكراد من كل جانب وذخرهم عن حدود مملكته على عذاب واصب
ولما رأيا ان الارض تلفظهم يمينا وشمالا وتنفيهم جنوبا وشمالا ائتمرا
على قصد السلطان يمين الدولة وأمين الملة مستأمنين اليه ومستعدين
على الزمان بالمثول بين يديه فنميا الى حضرته وتوشحا بجمال خدمته
فأما ابو القسم فهرب على ما سنذكره الى ان اودعه الحبس أسره
وأما نصر فأقام على الخدمة مدة الى ان امر السلطان باقطاعه ببلاد
وجعل منه طعمة له فنهض اليها واتت عليه همته القاعدة بها فلم يزل
يضطرب بخيانته الى ان خدع من الري وحمل منها الى قلعة استاوند
فجعلت عليه حصيرا وساء ذلك مصيرا ووكل شمس المعالي بعد ذلك بجو
الى القلاع فيما بين جرجان واستراباذ وما وراءها من احاط بهم
احاطة الخلخال بالخدمة البعير حتى افتتحها عليه عنوة وكيدا ومراعاة
لحقوق الاسلام والتسليم وكيدا فصفت له تلك الولاية بحدودها
وحواشيها وقلاعها وصياصيها ما اعتدم منه بد من اختلاب فيها
واتفق بعد ذلك اخلاد الاصفهبذ بجبل شهريار الى جانب المجانبة
في طلعة شمس المعالي قابوس وادعاؤه الامر لنفسه لعنز ابا اجتمع

١٦١

من الوفر والتف عليه من العدد الدثر والعسكر المجر فرمى من جانب
الري بأبي علي بن رستم بن المرزبان خال ابي طالب في صناديد الديلم
وفيهم بيستون بن تيجاسب المنصوص عليه من قبل في التطني بموالاة صا
قابوس فنصب له الحرب قراعا ومصاعا وثقافا وتقافا فكانت
عاقبته ان كسر فأسر ونادى ابو علي بن رستم مكانه بشعار شمس
المعالي لوحشة كان استشعرها من اهل الري وأقام الخطبة فيها
باسمه وكاتبه بذكر طاعته وشرح ما فتح الله له على يده وهاجر
ابو حرب بيستون بن تيجاسب الى حضرته المقدسة من قبل صاحبه
وولي نعمته فانشرح صدره وقرت بالاياب عينه وطاب بالايناس
والاحسان عيشه لو لم تعجله عن الحبوة حينه وانضافت مملكة
الجبل بأسرها الى ممالك جرجان وطبرستان فولاها شمس
المعالي منوجهر ابنه وسمي من لو عاش الى زمانه لرد عليه عواري
مفاخره ورجع اليه حلي اثاره وما اثره وانتجع بعدها عليه الرويان
وسالوس وما وراءها من الحدود الاستندارية فصار في ولايته
تشرق بنور العدل والاحسان وتبتسم عن ثغور الامن والامان

وواصل شمس المعالي السلطان يمين الدولة وأمين الملة بكتبه ورسله
في عقد وثيقة يتحصن بها من صروف النوائب ويستظهر بها على وجوه
المطالب وقدم بين يدي نجواه من انواع القرب والمبارّ ما قد خرج
من الحد والمقدار حتى تأكدت العصمة وتأربت العقدة واستحكمت الالفة
واستحكمت الثقة وصارت جرجان وطبرستان الى سواحل البحر
وديار الديلم والجيل بحكم الحال المنتسجة كالجدية الالية التي يختلم
عليها آمرا وناهيا وينبسط فيها حاضرا وباديا فشمس المعالي في همة
له بين المجرة مجراها وفي بحار الكرم مجراها ومرساها فلم يسمع في
شيوخ الملوك باشرف منه قيمة واوطف ديمة واكرم شيمة واصدق
بارقة مشيمة واوفر عقلا وتحصيلا واظهر جملة وتفصيلا
واعدى للنفس بغذاء الحكمة واجزى للبدن بغذاء الطعمة قد فطم
النفس عن رضاع الملاهي فلم يعرف اللغو ما هو ولا البطالة ما هي
علما منه بان الملك واللهو ضدان وان ليس للبقاء بهما يدان ولقد
أحسن أبو الفتح علي بن محمد البستي الكاتب في نصرة هذا الرأي
بقوله: اذا غدا ملك باللهو مشتغلا فاحكم على ملكه بالويل والحرب

أما ترى الشمس في الميزان هابطة لما غدا برج نجم اللهو والطرب
نعم لا احرص على انصاف الرعية والاخذ باطراف العدل في
القضية وابرع في الادب والحكمة والجمع بين ذرابة السيف
وذلاقة القلم ورسائله موجودة في البلاد عند الافراد للكني
أكتفي منها بلمعة من بوارق بيانه وزهرة من حدائق احسانه
اذا كان في تصفحها ما يغني عن التكثر في هذا المكان بها فمنها
رسالة انشأها في الترجيح بين صحابة النبي صلى الله عليه بعقب
رسائله القديمة وهي بسم الله الرحمن الرحيم
اعلم ان اصعب الامور واشرفها بين الجمهور هو الخروج بالنبوة والاستعلا
على الخلق بهذه القوة وذلك لانه تقليب الوجوه عن القبل
المعبودة وادخال الاعناق في قلائد غير معهودة ومخاطبة الخلق
عن الخالق والخالق لا يدركه ابصار الخلائق وقد اعتلى نبينا
صلى الله عليه وسلم ذروة هذا الشرف وصار لمن سلف من
الانبياء خير الخلف وقارن بمرتبة هذا الذكر العظيم واذاق
العرب لذة النعيم ونقلهم الى الثروة والغنى عن الفقر والفاقة

وأراحهم من رعاية الجمل والناقة وليس وراءه لابتغاء العلى مد فما فوق
السماء للسمو مصعد ثم ضبط الأمر بعده زعيمه على نظامه فأقامه
في قوامه وهذا ما تولاه أبو بكر رضي الله عنه حين ودع عمره
من غير أن يسلم إلى أحد أمره فإنه قام به قيام ثابت القلب مستقل بمقاومة
الخطب غير مفكر في رداءة ولا مبال بمعاداة معاند حتى حرس
الدين وجمع شمل المسلمين ولم يرض بأن يلم ببيضة الشريعة ثلم
ولا أن يتغير من أحكامها حكم فلقب خليفة رسول الله بانتدابه
لحياطة دين الله ثم تحصين حوزة الإسلام من عوارض الفساد وعادية
الأعداء والأضداد والمجاهدة في استئصال دابر المخالفين لجانب
الإسلام ومجامع المسلمين وهو ما أنشأه عمر لما آل إليه الأمر فإنه
صرف جهده إلى الجهاد وقصر كده إلى افتتاح البلاد حتى اتسع نطاق
هذه الملة وخضعت الرقاب لأهل هذه القبلة فلقب أمير المؤمنين إذ
كان نعم العون لرسول رب العالمين وقد فرغ النبي من الأمر
العظيم والشأن الأفخم وأطفأ لهب كل ملتهب على رغم أبي لهب
والتأم بسعي الشيخين شعب الأمر بين الآخرين وبلغ الأحكام

١٢٧

مبلغاً ليس فيه مستزاد ولا يشين ناصع غرته سواد ولم
يبق للناعين سوى التمسك بدين ممهد ومراعاة بناء مشيد ولم
يقدروا على القيام به فاحتجبوا وراء حجابه ولما أتت الخلافة
عثمان بن عفان كان منه ما كان من تزيي الناسك بزينة الملك
وتغيير سيرة الأئمة حين توسع في النعمة حتى اجتنى ثمرة
ما جنى وتنبه به سوء ما أتى ولما عادت إلى علي بن أبي طالب
هاجت الرياح من كل جانب ودبت الأوابد وتبدلت العقائد
وتحول أمر الدين ملك المغالبة ودول القتال والمحاذبة ووقعت
الخلافة في الخلاف وبرز الشر من الغلاف وبقي علي على
اضطراب لا يهدأ وفي مداواة داء لا يبرأ مع شجاعته
المشهورة ومآثره المأثورة وانتهى أمره إلى ما انتهى حتى جرى عليه
وعلى عقبه ما جرى فلينظر إذا كان الأمر كذلك أهؤلاء أحق
بالقدح أم أولئك قد مضى القوم وآثارهم في الإسلام كالشمس
في الاشتهار والهباء في الانتشار وصنيعهم صالح يحث على الفلاح
وليس بأيدي الخصماء سوى السفاهة والصياح وقرأت توقيعاً

له الى بعض الأفاضل يستنقذ به حضرته ليتوخى مسرته محال
لمن سمت به همته الى قصد من تغلو عنده قيمته ان تكون
على غير عرجته ولبيت من سواه زيارته وحجته واما خطه
بخطه المحاسن فسمه ان شئت وشيا محوكا أو تبرا مسبوكا ودرا
مفصلا او سحرا محصلا وكان اسمعيل بن عباد اذا قرأ خطه
يقول هذا خط قابوس أم جناح طاوس فهو كما قال المتنبي

في خطه من كل قلب شهوة حتى كأن مداده الأهواء
ولكل عين قرة في قربه حتى كأن مغيبه الأقذاء

ذكر الحال التي انعقدت

بين السلطان يمين الدولة وامين الملة وبين ايلك الخان
في التواصل والتظاهر والتعاقد على التعاون والتظافر
الى ان خلعت بهجة البشر ونشرت عن اعصل الشر

قد كان ايلك الخان لما ملك السلطان خراسان على العذيم بآل
سامان اغتنم تطهير ما وراء النهر عن كل منتسب الى تلك الأرومة
ومتشبث بشعب تلك الجرثومة فلم يدع هنالك ذا ظفر الا
قلمه ولا ذا جناح الا احتاجه واصطلمه ثم كاتب السلطان
مهنيا له بما ذخر الله له من خالصة الملك وصافية الملك
وظاهره اليه من ظاهرة العز وباطنة الصنع ومعتدا لنفسه
بما قطفه من عنقود رجائه ملاوة على صفقة اقباله
وعلاوة على جماله وجلاله وتردد السفراء بينهما في وصله
تبل رحم الحال وتؤكد اسباب المودة والوصال
وتحمي حريم الألفة من الجانبين وترفع ستر الحشمة في ذات
البين وتؤدي نسبة الاختلاط الى الامتزاج وقربة الاستبال
الى الانتساج فتصير النفوس واحدة والسواعد على وجوه
مصالحها متساعدة وانهض السلطان عند المامه كان
بنيسابور في طلب المنتصر ابي ابرهيم السامانى الامام ابا الطيب
سهل بن محمد بن سليمن الصعلوكي امام اهل الحديث بها رسولا
الى ايلك الخان وضم اليه طغانجق والي سرخس في خطبة كريمته
عليه ونقلها في صحبته اليه واصحبه ما عدا العد والحد
من سبائك العقيان ويواقيت البهرمان وعقائل الدر

والمرجان وتخوت الوشي والحبر ونوادر البز والحصر واواني
الذهب مملوة من بيضات العنبر واواني الفضة منضودة بشمامات
الكافور وغير ذلك من شارات الهنود وقطع العود وذلول النعول
واناث الفيول تحت حدوج مغشاة بذوات التفاريج من الوان الديباج
منطقة بعصايب تخطف العيون بريقها وتصطحب على الاقتاب معاليقها
وعناق صنوابر كالقداح بخدود كمتون الصفاح وغرر كنجوم
الصباح في مراتب دانها حلي بعضها من قطع عقيق او شعل حريق
وحلي سايرها بنجوم الثريا والنثرة وبنات نعش من وراء المجرة
وقرن ذلك كله باموال على سبيل الالطاف تعجز دون الاوصاف
فسار الامام ابو الطيب سهل بن محمد الى ايلك الخان بما ثقل
به يحمل من حيز الترك الى اقصا ايران دون نيته فطلع على ايلك
الخان واهل بيته طلوع الحميم طاب ايابه بعد ان طال اغترابه
والحبيب لطف عتابه بعد ان قدم هجره واجتنابه اعظاما منهم
لقدره ووفادته عن باب السلطان في ذلك المهم من الشان ثم
لفضله في نفسه فهو الامام المقدم والصدر المحتشم ومن لا

يقرن الى ربابته ضرب له في ابواب الفضايل وخصوصا في خلافيات
المسايل واقام باوزكند الى ان فرغ من الزفاف فاز بحت علته في
الانصراف فعاد على جناح النجاح مصحوبا بمجلوبات الترك من نفر
المعادن ونوافج المسك وقود المراكب وعيس الركايب وورود الوصفا
والوصايف وبيض البزاة وسود الاوبار ونصب الخنو والحجار
اليشب وطرايف الصين واخذت الحال بين السلطان وايلك الخان الحادا
اشترك فيه المراتع والضغم واستهم فيه الصنايع والخدم وبقيت على
جملتها في التاكيد والتاكد الى ان نزغ الشيطان بينهما فغلت الضماير
واغلت القوى والمرايرة وتولى السيف تدبير ذلك الوصال
بحل معقوده وفصل مسروده وسياتي الشرح على الوقايع
التي جرت بينهما على الاثر فاما الان فاني اشير الى نبذ من محاسن
هذا الشيخ السفير والكافل في الامر بالتدبير واتبعه بذكر
رجالات خراسان من اعيان رعايا السلطان يمين الدولة وامين
الملة ووجوه الفضل من اوليايه ممن مشتورك لاهمه من تصدد
قبل اوانه فقد تصدى لهوانه نشير الى قول منصور الفقيه

الكلب أعلى همة وهو النهاية في الخساسه
ممن ينافس في الرياسة قبل أوقات الرياسه

وقوله العقل أطيب عيش والعدل أغلب جيش وقوله إذا كان رضى الخلق معسوراً لا يدرك فإن ميسوره لا يترك وقوله إنما يحتاج إلى إخوان العشرة لزمان العسرة وقوله من تغافل عنك مع علمه بحاجتك إلى معونته وتوفيته طلب عليك علة إذا عاتبته على تقصيره كأنه ألمّ بقول القائل

توقّ الناس يا ابن أبي وأمي فهم تبع المخافة والرجاء
ألم تر مظهرين عليّ عتباً وهم بالأمس إخوان الصفاء
بُليت بنكبة فغدوا وراحوا عليّ أشد أسباب البلاء
أبت أوزارهم أن ينصروني بمال أو بجاه أو براء
وخافوا أن يقال لهم خذلتم صديقاً فادّعوا قدم الجفاء

ولبعض الشعراء فيه

كلام الإمام إمام الكلام وفوه يفوه بحر النظام
مزاج معانيه في نظمها مزاج المدام بماء الغمام

وله

ألا أيها الشيخ الجليل ومن به تبلّج أفق الدهر عن غرة البشر
فإن كنت في الدنيا وأنت وشاحها عياناً فإن الدرّ في صدف البحر
ولم تحو الدنيا لأنك دونها ولكن لبّ الشيء يحرز بالقشر
وقد صين نصل السيف تحت قرابه كما صين نور العين بالجفن والشعر

ومن أعيان رعايا السلطان بنيسابور أبو نصر أحمد بن علي الميكالي وهو صنيعة السلطان وشيخ مملكته وجمال جملته فضلاً موفوراً وأدباً مشهوراً وعزّاً معقوداً ومالاً ممدوداً ورأياً كالأرى حزماً كالمرير مغاناً ودهاءً يسلخ الليل البهيم نهاراً ونظراً يستشف أستار المصائر ويستكشف أسرار الضمائر وشيماً أنقى السنخ والجوهر ذكي المسك والعنبر رضيّ المورد والمصدر فمنه قوله

بأبي العلى والمجد والإحسان والفضل والمعروف أكرم بابي
ليس البناء مشيداً لك شيده مثل البناء يشاد بالإحسان
البرّ أكرم ما حوته حقيبة والشكر أكرم ما حوته يدان
وإذا الكريم مضى وولّى عمره كفل الثناء له بعمر ثان

فاما كتابته فالسحر الحلال والعذب الزلال وهي تحلى بما حوته
من لطف العبارة وحسن الاستعارة ومعسول الاشارة والشان
رياض تهشا الى قرانه ومن منثور كلامه رسايل منها ما كتب به
الى شمس المعالي قابوس بن وشمكير اقرانه كاتبه

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب العبد وحاله فيما يديمه مولاه من شرف اقباله ورضاه ويفيض
عليه دنياه ويسعد في ظل دولته باولاه واخراه والحمد لله
رب العالمين ووصل كتاب الامير موشحا بدرر خطابه وغرر
الجابه وبدايع بره وافضاله وروايع انعامه واشباله فيما ادمني
به من عز العيادة والتسنية من حلل الفوز والسعادة وشرفني
به من التهنية عن العافية المستفادة فاوصل عزا ابقى على
الايام اثره ولا يخلو عن الزمان مفخره وفهمه العبد فهم
من انس منه رشدا واقتبس من اتيانه قوة وايدا وسجد لله
شكرا على ما افاضه عليه من سجال السلامة ومد عليه من
ظلال الفضل والكرامة ورغب اليه في اتساع العوارف

عليه وصرف المحاذير عنه فاما ما اهل الامير العبد له من
تشريف كتابه ولطيف خطابه ورقاه اليه من درجة العيادة اولا
ومنزلة التهنية ثانيا وانفاذ القاصدين لها فان ذلك من نتايج
همته العالية ودواعي شيمته الزاكية التي يحنو بها على اوليايه
وخدمه وتعطف على اعتزاء نعمه فليس له في مقابلة ما اولاه
ومعارضة ما اسداه الا الشكر بديهة والتشريفة والرغبة الى الله
تخلصها في اطالة عمره بقايه وادامة عزه وعلايه وانهاضه بمواجب
خدمته ومعرفة قدر نعمته بمنه وحمده هذا ولو ملك العبد
في مقابلة هذه النعمة على جلالة قدرها وتناهي خطرها غير بذل
المهجة والقربة في الطاقة واستنفاد الوسع والطاقة غاية لبلغها
تقربا الى حقوقه بما تقتضيها ويؤدي شرط العبودية فيها وحكم
على نفسه بالعجز والتقصير معها واذ قد حرم المراد فما تمسك
الا بالرغبة الى الله في ان يتولى مكافاته بما لا تسمح به الايدي ولا يفي
به الاجتهاد فهذا هو الكلام الذي ليس به غشاوة ولا عليه
غبار قد ولي الفضل تحبيره وملك العقل ترتيبه وتصويبه

والقليلُ منه على الكثير دليلٌ وكلامُ الجليل كقدره جليلٌ

قليلٌ منك يكفيني ولكن قليلك لا يقال له قليلُ

وقد أكثر الشعراء في مدحه لكني اثبتُّ ابياتاً للخوارزمي فيه

من قصيدة اولها

زار المنامَ الى طيفُ خياله لو انّ طيفاً كان من ابداله

ولو انّ هذا الدهر يشكر لم يدع شكر الامير وقد غدا من آله

لا ينشف الالحاح نائله ولا يسول امرئ نهاه عن اسآله

الوفر عند نواله والنيل عند سؤاله والموت عند صياله

والخلق من سؤاله والجود من عذاله والدهر من عماله

وفعاله كمقاله وشماله كيمينه ويمينه كشماله

يجمع الآمال في امواله فيفرق الاموال في آماله

لا علم الاعشى في عينه لا حسن الاحاله في حاله

سمح البديهة ليس يمسك لفظه فكانما الفاظه من ماله

وكانما عزماته وسيوفه من حدهن خلقن من اقباله

متبسم في الخطب يحسب انه من حسنه متلثم بفعاله

هبني وفيت بحمده عن فضله من ذا يفي بالشكر عن افضاله

وله من قصيدة اولها

تلك الديار فريسة الاحقاب صنعت بعيني صنع سانهابي

والى الامير بن الامير تراهقت زجر الركاب روانح الركاب

لبسوا الدجى لبس الغراب لريشه بعد والحاهم عند غراب

والفجر يطرف والظلام كانه فضلات عتب في خلال عتاب

طلبوا امرأً افعاله محسوبة ونواله فوضى بغير حساب

غدت المدائح وهي اسماء له ولغيره اضحت كالالقاب

والمكرمات كثيرة الخطاب الا انها تأبى على الخطاب

متبسم الحجاب مخصب العدى مثري الندى مجازف الحساب

شيم ارق من الهوى والذ من خطاء العدق رددته بصواب

وعزائم لو كن يوماً اسهماً لنفذن في الايام غير نواب

ما بينه الحركات لا انها ثابتة الاقدام والالباب

خطرات بين سياسة ورياسة وتهمن بين مثوبة وعقاب

قد اصبحت الفاظه صور النهى وقوالب الاسماع والالباب

واذا حللت له جنابا واجدا حلّ المؤمل منك الرحاب

وما آل ميكال الا كما قال له ابو الطمحان القيني

واني من القوم الذين هم هم اذا مات منا سيد قام صاحبه

نجوم سماء كلما غاب كوكب بدا كوكب تأوي اليه كواكبه

اضاءت لهم احسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

وما زال منا حيث كان مسود تسير المنايا حيث سارت كتائبه

ومما يعدّ من مفاخره نجيبان له ابو الفضل عبيد الله وابو ابرهيم
اسمعيل ابنا احمد كل منهما بدر في سمائه وعلائه بحر في تياره
وتوأمان غير ان ابا الفضل ابرع في لطايف الادب وانظم لقلايد
العرب وقد سار له من النظم والنثر ما يزري حبره بوشي صنعا
وزهره بروض شهباء فمن فصول كلامه وصل كتابك فاذعنت
القلوب لفضله بالاعتراف واختلفت الالسنة في تشبيه بدايع
الاوصاف فمن مدع انه رقية الوصل ورقيقة النحل ومنتحل
انه عقد النحر وعقد السحر وسمط الدر وقايل هو سلاف
العنقود ونظم العقود فاما انا فتركت التمثيل وسلكت التحصيل

وقلت هو سما فضل جادت بصوب الحلم ووشي طبع حاكه
سن القلم ونسيم خلق تنفس عنه روض الكرم وايضا
وصل كتابك فكان احسن من روض الربيع وريط الوشي الصنيع
فلقيته بحلية الاحسان والابداع وجلية النواظر والاسماع
ومسن الخواطر والطباع وصيقل الافكار والالباب ومعيار
المعارف والآداب وتجليت منه تميمة فضل ونتيجة مجد وتميمة
عقد ولطيمة خلق وغنيمة ترحل او صفحة العهد وتجيل قدح
الانس وتجل قدر الشكر كلام اعذب من قطرات المطر واعبق
من فتات المسك والعنبر يزري بنور الخمايل وقد حطتها انفاس
الشمايل ومن منثور الفاظه اخلاقه
قد اخذت من الورد عرفه ومن النسيم عبقه اخلاق هي
المسك لولا فارته والورد لولا مرارته والما لولا اسراعه الى
الكدر والروض لولا حاجته الى المطر ووجه البدر لولا
محاقه والمشتري لولا احتراقه هو عار من العوار كاس
من العلا وله الشرف اليفاع والامر المطاع والعرض المصو

ن

والمال المصاع وله النوال السكب والراى العضب ومنه
الاباء المر والكرم العذب هو واحد البشر وثاني المطر وثالث
الشمس والقمر لهفي على دهر الحداثه اذ غصن شبابي غض
وريق ونقل شرابي غض وريق النعم عروس مهرها الشكر
وثوب صوانها النشر النعم عنده تكتسي من لومه اطمانا
وتشكي غربة واساءا ولي المغرور يرسف من الرعب
حلق ويجري مع الوشح في طلق دارت رحا الحرب من نتاج ودماء
تستباح واجسام تطاح وارواح تستفيها الرياح فالسيوف
للهامات دامغه والرماح في الاكباد والغه ومن نظمه قوله

لقد راعني بدر الدجى بصدوده ووكل اجفاني برعي كواكبه
فيا جزعي مهلا عساه يعود لي ويا كبدي صبرا على ما دواكبه

وقوله

ضاق قلبي في هوى قمر قمر القلب وما شعرا
ليت اجفاني به سعدت فترى الجفن الذي فترا

وقوله

تفرق قلبي في هواه فعنده فريق وعندي شعبه وفريق
اذا ظمئت نفسي اقول له اسقني فان لم يكن راح لديك فريق

وقوله

انكرت من ادمعي تترى سوابقها سلي جفوني هل ابكي سواك بها

وقوله

ان كان في الهوى لساناً كتوماً فؤاد الحشى جريح جواه
غير اني اخاف دمعي عليه ستراه يفشي الذي ستواه

وقوله

لنا صديق ان راى مهفهفا لاطفه
فان يكن في دهره ذوابه لاط فهو   وقوله
لا تصبحن بالحيوه ذائقه فكل نفس للمنون ذائقه

وقوله

وكل غنى يتيه به غني فمرتجع بموت او زوال

وقوله تمامه

وهب بختي زوى الى الارض طرا اليس الموت يزوي ما زوى لي

ومن اعيان رعايا السلطان بناحية طوس وان كانت نيسابور
دار قراره ومعقد ضياعه وعقاره ابو جعفر محمد بن موسى بن احمد
القائم بن حمزة بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي
ابن ابي طالب رضي الله عنهم

نسب توارثه كابر عن كابر كالرمح انبوبا على انبوب

نسب كان عليه من شمس الضحى نورا ومن فلق الصباح عمودا

وقد خدم ملوك آل سامان وعاشر وزراءهم وكتابهم والتقط
محاسنهم وآدابهم فالفاظه ينابيع العلوم واقواله مرابع العقول
ومجلسه حدائق الجد والهزل وجوامع الكلم الفصل فلم تبق
كلمة صواب ولا نتيجة خطاب ولا غرة حكمة ولا درة نكتة
ولا طرفة حكاية ولا فقرة رواية الا وهي عرضة خاطره
وثمرة هاجسه ونصب تذكره ومثال تصوره ولا تصدأ
صفحة حفظه ولا تدرس صحيفة ذكره ولا يكسف بدر معارفه
ولا ينزف بحر لطائفه ثم هو واحد خراسان من بين اشراف
العلوية في قوة الحال وسعة المجال واتساع رقعة الضياع

وارتفاع قدر الارتفاع واشتداد باع العز وامتداد شعاع
الجاه والقدر وقد كتبت عنه من نوادر الاخبار
والاشعار ما حكيت بعضه في كتابي الموسوم بلطائف الكتاب وسأورد
الان ههنا مما قاله وقيل فيه ما بانه عن غرر معاليه فمن
شعره قوله

وشادن وجهه بالحسن مخطوط وخده بمداد الخال منقوط
تراه قد جمع الضدين في قرن فالخصر مختصر والردف مبسوط
لو كان ادركه لوط النبي لما نهى لنا ابدا عن مثله لوط

وقوله

فديت غزالي فهو ملكي حقيقة يلذ به عيشي اذا نابني هم
جميل محياه وكالغصن قده لطيف سجاياه وليس له خصم

وقد اكثر الشعراء والادباء فيه فمن ذلك قول ابي الفتح علي
بن محمد البستي الاديب فيه

انا للسيد الشريف غلام حيث ما كان فليبلغ سلامي
واذا كنت للشريف غلاما فانا الحر والزمان غلامي

ولابي الفضل احمد بن الحسين بديع الزمان فيه

انا في اعتقادي في التسنن رافضي في ولايك
وان اشتغلت بهولاء فلست اغفل عن اوليك
يا عقد منظوم النبوة بيت مختلف الملايك
يا ابن العواطم والعواتك والترايك والارايك
انا حايك ان لم اكن عبدا لعبدك وابن حايك

ولبعض اهل العصر فيه

عيد البرية عيد المهرجان اتى اهلا بعيد اتى عيد الحبيبه
العيد لالانه تبقى الى امد وعيدنا دايم الالا باقيه
لا زال سيدنا في ظل دولته وظله دايما ممن يواليه
محكما في رقاب الارض قدرته يجني له ثمر الاقبال جانيه
اعشاره المجد والبشرى جلايبه خراجه الدهر والدنيا جواليه

ونيسابور دار افتنا فسر اهل العصر في ذكر بناها ووصف
شرفها وسناها فمن ذلك قول بديع الزمان فيها

دار قسمت عراصها تحكي الاباطح والرصافه
بين المروة والنبوة والخلافه والضيافه
فيها المصاحف والمعارف والسوالف والسلافه
لازلت يا دار الكرام مصونة عن كل آفه

وفيها لابي عبد الله العلكاني الغواص

يا دار سعد قد علت شرفاتها بيت شبيهة قبله للناس
لورود وفد اولكشف ملمة اوبذل مال اوادار كاس

ومن افاضل العلوية ابو البركات علي بن الحسين بن علي بن جعفر
ابن محمد وهو الملقب بحور بن الحسين بن علي بن محمد وهو الملقب
بالديباج المدفون بجرجان ابن جعفر بن محمد الصادق والباقر
ابن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي بن ابي طالب امير المومنين
رضي الله عنهم

نسب توارث كابرا عن كابر كالصبح انبوبا على انبوب

قد جمع الله له بين ديباجتي النثر والنظم فنثره الرياض
جادتها السحايب ونظمه منظوم العقود زانتها النحور والترايب
لمن نثره فصل له   احب ان اكون مكاتبتي للامير انفا

لم تُرتَع وبحرًا لم تُغترف وسابية لا تُركَب ولا تُجلَب ولا اشوبها
بادبٍ ولا التسبب اليها بسببٍ فعلَ من لا يستبين ولا يطمع ولا
يشوب دعواه عنتٌ ولا طبعٌ على أنّ الاضطرار يُغتفر في وجه
الاختيار والعذر به مقبولٌ عند ذوي الاخطار والاحرار وفلان
يمسّني بحقّ الجوار ولقد نشر جرايد شكره وأظهر بحسن النشر
خبايا برّه فملأ الارض ثنا والسما دعا وعادة الامير ان يحيي الامال
ويسترقّ الاحرار فليجعل متكرّمًا هذا الامل محظوظًا ولا يجعله
محطوطًا ان شا الله :. وله ايضًا رقعتي هذه وأنا
عائدٌ معودٌ وقاصدٌ بالزيارة مقصودٌ واخاطب اصدقاي بما
اخاطب واكاتب اخواني بما اكاتب سماي وقدره وارضي بعد
ثمانا بني الحمّى ولا تنقاد في الشكوى نفسي نفسان ونفسي نفسان
كأنّ الحول شاطرني فصوله فلنت عرته وحجوله فالربيع
بين عيني وخيشومي والصيف كامنٌ بين صدري وحلقومي
وما عرفت لعلّتي هذه سببًا الا انّي رأيت نفس الحرية متشكّية
فشاركتها في شكواها ووجدت عين الكرم والكمال متأذّية

فاحتملت عنها اذاها وقلت متمثّلًا

ونعود سيّدنا وسيّد غيرنا ليت التشكّي كان بالعوّاد

ثم ذكرت ما اعدّ الله للعباد من ثواب العلّة في المعاد فاستصغرت
عند ذلك ما استعظمته وسهل مسلكي وان استوعرته وقلت
مسح الله تلك النسمة من العلّة واعطى الشيخ بها امانًا من القلّة
واعمى عنه ناظر الزمان ولا طرّق الى فنائه طوارق الحدثان وتمنّيت
لو واصلت غدوتي بروحتي في زيارة الشيخ مشاهدًا للحال واقباله
نحو البرء والاقبال وقد حيل بين العير والنزوان وعلى حالتي
هذه فانّي استريح الى خبر سلامته واحصل لنفسي به منّةً وله
ايّده الله باهدائه اليّ يدًا ومنّةً وراية في الجفا به موفّق ان شا
الله ومن نظمه قوله

واغيد سحّار الحاظ عينه حكى بتثنّيه من البان املودا
سلخت بذكراه عن الصبح ليلةً اسامره والكاس والناي والعودا
ترى النجم والجوزاء والنجم فوقها كباسط كفّيه ليقطف عنقودا

وكتب الى ابي بكر الخوارزمي

لئن كان ذنبي اني اعتللت فذلك ذنب صغير صغير

وان كان هجري من اجله فذلك ظلم كبير كبير

صدود دل عني صدود الحياء وصدق سؤال يسير يسير

فزرني قليلا تجد شاكرا لديه القليل كثير كثير

وله في وصف اللقانق

فان كنت تهوى اليوم اكل اللقانق فبادر الى امثالها حيد الغرانق

الجامع اللذات طيبا وجودة قضى حقه طاه لصنعه حاذق

تراه على السفود عند صلائه ككنز خبيئة زينت بحلى المخانق

فانجح لقيت الخير حاجة امرئ وفي بشرط الود غير مماذق

ومن افاضل اصحابهم القاضي ابو القسم علي بن الحسن الداودي بهراة وهو عندي ممن يستحق ان يقال فيه ما قاله الصاحب لبعض من كان يواليه لولا ان قدرة الله عندي جنس واحد لقلت ليس في القدرة وجود مثله في كماله وفضله جاوز السبعين وناهز الثمانين واحد الانام منثورا ومنظوما وثاني الغمام معقولا ومعلوما شبت للعلم خادما وشاب بالعلى مخدوما فمن منثور

142 كلامه وفصل له من باب وصلت ملطفة الشيخ فلطفت لغليل بردته ووجه يصبغ الارتياح وردته بخبر سلامته التي نسيمها عندي نسيم الجنان والوسيلة الى السلوان وله

فصل كيف لا اعتد بصنع الله عندي في تخيله وده وعقيلة عهده وقد قبلني في الله اخا حين عز الاخاء وعدم بين الاوداء الوفاء وكان لا يصدق في وجودهما ابد ولا يظفر بهما مضل ولا ناشد واصبحت المصافاة مخاتلة ومخاترة والمخالصة مكاشرة ومشاجرة وقد كان المتحابون في الله اقل من القليل والاسلام عليه رونق الشبيبة وهو في بردته القشيبة ..

فصل من باب كلامي في مخاطبة الشيخ مماثل لانعكاس شعاع الناظر ورد الفوارة ما الغمام الماطر على المذهب الذي يذكره علي بن الجهم في صفة الفوارة يرد على المزن ما اسبلت على الارض من صوب امطارها وله من فصل كان كل مجلس من مجالسه للانس مرتقا وللازدياد مستوقا فكان مربا مظمئا وموقدا مطفيا ومما انشدته من قلائد شعره وان كان كالحصى تشبيها

قوله ربما قصّر الصديق المقدّم عن حقوق بهنّ لا يستقلّ
ولئن قلّ نائل فصفائي ووداد وخلّتي لا يقلّ
أرخ سترا على جفاء بريء هتك ستر الصديق يوما أجلّ

وقوله قالوا ترفق في الامور فانه نجح ومرى الذب بالابساس
ولقد رفقت فما حظيت بطائل ما ينفع الإبساس بالاتياس

وقوله واخلاق كاطراف الزجاج رفقت بهن رفقك بالزجاج
الى ان عدن زبدا بشهد كذاك تكون عاقبة العلاج

وقوله في مرثية ابي سليمن الخطابي
انظروا كيف تخمد الانوار انظروا كيف تسقط الاقمار
هكذا هكذا تزول الرواسي هكذا في الثرى تغيض البحار
اوحد الدين والمروة والفضل رمته بسهمها الاقدار
مات من لم يكن لدنياه فتك بحجاه ولا عليه اقتدار
هي مفترة اليه خداعا وهو دون افترارها فرار

وقد وصف ابو الفتح البستي فضله في ابيات له
(المتنبي) عف
واضعفت شكري حين ضاعفت انعما وقد يضعف النبت الندى

١٤٤

أتاني ذات منك فيه طرائف تهتك من ظرافهن الطرائف
صحيفة احسان تخرّ لحسنها سجودا اذا ما لاحظتها الصحائف
فواصلني منها شباب مساعد وطالعني منها زمان مساعف
واصبح منه عاد لا وهو عاسف وعادت تجاريه وهو عاصف

ومن اعيان نجوم الدولة ابو نصر احمد بن محمد بن عبد الصمد الشيرازي الكاتب والنقاب ابن المناقب والبحر بن السحاب والبدر بن الشهاب والنار التي لا تخمدها المذاكي والسيف الذي لا يالف القراب مضاء والسعد الذي يلي وتدا السماء زكاء ونماء عطارد تلميذ افادته والمشتري مشتري سعادته وثاقب النجم عبد دهائه وشارق الشمس خادم رايه ورُوائه خدم ابو حسام الدولة ابا العباس تاشا على ديوان اشرافه بارعا في الصناعة صناعا في البراعة مخلوقا لفصل القول مرموقا بعين الطول يناضل الصاحب اسمعيل بن عباد ويخرق عليه قرطاس الادب ويساجله فيملأ الدلو الى عقد الكرب مصعب لا المصعبي يضاهيه ولا الموصلي يباهيه ولا القابسي يدانيه ولا البستي يسع بعض مساعيه يجانس الجم الثر نثرا ويثاقب

شعري المجرة شعره فمما بلغني عنه ما قال لحسام دولته وصاحب
جيشه وحاجب سدته ابي العباس قد جمع في هذا البيت خصايص
اوصافه وضم الى واسطة المدح اقاصي اطرافه دالا على شأوه الاعجاز
برهان الاختصار والايجاز واراد الله سعادة هذا الفاضل فهداه
نهج ابيه وعداه موقف الشبيه فنما نمو الاشياء على طيب
التربة والماء ليس نمو القامة والضخامة لكن نمو هلال الظلم
وشبوب النار فوق العلم وصفا الخمر مرشوما على القدم واختص
بخدمة الامير الجليل ابي سعيد التونتاش خوارزمشاه اذ هو
تاج الحجاب وناظر عين الباب فاعداه يمنه حتى لبس الملك فضفاضا
وغني عن السواد وان كان عليه بياضا واستقل باثقاله عن سمة
الكتابة الى رتبة الوزارة وعن حضيض الخدمة الى يفاع الشركة
في الامارة فلم يشركه من ابنا جنسه في البلاغة اثنان وساد
حتى اعيى من بني عبد المدان مدان فمما وقع الى من نسخ قلمه وحر
كلمه من كتاب خاطب به بعض اخوانه لعل الدهقان يظنني اوثر
مع مساعدة الزمان مساعدة الاخوان وارضى من صدر الوزارة بقلب

كالحجارة فلم يزل نيل المراتب حلالا للعقود قطاعا للاواصر
والعهود وكلا اني ما ازددت ارتفاعا الا ازددت للصديق
اتضاعا ولا انال على الايام رتبة الا ازددت للصديق قربة غير من
يصلفه الزمان ويبدله السلطان ويذم عهد الاخوان على اني
مهما نسيت عهدا او تناسيت وقلعت اخية الوفاء دون من اخيت فلست
انسى عهده ولا ارضى قطيعته وهجره اني وقد قيدني باياديه الزهر
واسترقني بمعاليه الغر فما ارى له بدلا ولا املك عنه تحويلا اعاذ انى
الله ما بقيت من صدوده ولا سلبني طيب الانس به بمنه وجوده لهذا
القدر على مبلغ القدرة دال وللمنبر البارع مني قصد الانصاف
في المدح والتقريظ مجال فهولاء اعيان رعايا السلطان في
الفضل الواسع والادب الجامع ووراهم من اعلام البراعة
واحداث الصناعة من يرجف ذكرهم عن الغرض المقصود من هذا
الكتاب ولم استقر اسامي المذكورين الا انهم بالاضافة الى ساير اعيان
البلاد افراد في ارتفاع المراتب واتساع الحظوظ والرغايب واضطرا ب
الصيت في الافاق وصوغ الايادي قلايد الاعناق وسنعود

الى ذرى السلطان يمين الدولة وامين الملة ووقايعه التي رضيتها
حدود الظبات وان سخطتها نفوس العداة ونهى كل
وقعة الى وقتها ويومها الى ان نوفي لكل حقه من الاشباع
في الحروب التي جرت بين السلطان وبين ايلك الخان ؛

ذكر غزوة بهاطيه

لما فرغ السلطان يمين الدولة وامين الملة من امر سجستان وسكن
له نابضها وانجاب عنه عارضها ازاح لغزوة بهاطية مجر الجحافل
مسومين شعار الهداة الثقات ورايات الحماة الكماة حتى عبر
سيحون من وراء المولتان الى مدينة بهاطية فالفاها ذات سور
تزل عن موازاتها اجنحة النسور وقد احاط بها خندق كالبحر
المحيط في الغور البعيد والعرض البسيط وهي مشحونة بملء الوهم
من عدة وعديد ومعمول من حديد فلو قيل كشيطان مريد
وعظيمهم يومئذ المعروف ببجيرا فاستخفته العزة بما حوته
يده للبروز من وراء السور مهولا باعداد رجاله واشخاص
افياله ومتطاولا لابناع الانداد في قتاله وخطا السلطان

عليه نار الحرب ثلثة ايام بلياليها ترميه بالصواعق من ظبى
السيوف البوارق وتقذفه بالشهب اللوامع من شبا الرماح
الشوارع وواصلها عليهم صبيحة الرابع بضرب يطير الحواجب
عن العيون ويزيل القبائل عن الشؤون وشق يدع الاجساد
مناخل بل مناخر قد انفجرت عروقها واعييت على الشد شقوقها حتى
اذا وجبت الشمس فمه النهار اهاب بالشد على الكفار الفجار
فتجاوبت نغم التكبير استنزالا لنصر الله وتنجزا لصادق وعد الله
وحمل اولياء الله على ذوي الافك والشرك حملة كشفت صفوفهم
وادغمت بالذل انوفهم واقبل السلطان كالفحل الفنيق يضرب
باليدين ويقد الذراع بنصفين ويسقي ظماء الكفر من كؤوس
الحين وملك عليهم في تلك الشدة الواحدة عشرة من الفيلة
التي يعتدها الكافر حصونا للغلبة ويعدها سلونا لطلبته وبما ج
الفريقان في غمار تلك الجملة من ثقف ينثر ادمغة الهام وطعن ينزف
حشاشة الاجسام واعلى الله راية السلطان بل راية الدين
والايمان واهب ريح النصر رخاء واعاد شدة العيش رخاء فولى

المشرفون نحو المدينة اعتصاماً بها والحصار في دورها فاعجلهم
الطلب عن الاحتياط وملك عليهم مداخل الحصار وتعاون افناء
العسكر على سد خنادقه وهدم ثنايقه وتظافروا على تفسيح
مضايقه وتفتيح مغالقه وقد كان نجير احين علت مراجل الحرب
واختلت مناجل الطعن والضرب احس بالهون والعطب وشام برق
الويل والحرب فاندس بعصابة من رجاله للاختباء بعض الغياض
والاستناد الى شعف بعض تلك الجبال فسرب السلطان نوبة من
خواصه في طلبهم فاحاطوا بهم احاطة الازرار بالاعناق وحكموا
فيهم حدود البواتر الرقاق فلما راى نجير اما دهاه عمد الى خنجر
في خصره فهتك به حجاب صدره وانتقل الى نار الله الموقدة التي
تطلع على الافئدة جزاء لمن كفر وتولى وجحد الاولى فلا صام ولا
صلى ولا سبح ربه الاعلى نعم واقبل عسكر السلطان فقتلوا
المقاتلة وغنموا الاموال الحاصلة وخص السلطان مائة وعشرين
راساً من الفيلة بما يضاهيها من ذخاير الاموال والاسلحة ملكاً
عز على غيره مناله ومدداً تطفل على جلالته جلاله واقام بها طيبة

الى ان طهرها من اجناس اوليك الانجاس وادناس اوليك الادناس
ونصب بها من يعلم حملة الدين سنن الاحكام ويبين لهم
طرق الحلال والحرام ثم كر الى غزنة موفور العلاء منصور
اللواء عالي الراي ساير الجد على خط الاستواء الا انه وافق منصرفه
هوامي امطار وطوامي انهار وفوارع جبال وقوارع اصعاد
واقتال فاستغرق الغرق جل اثقاله وشمل التفرق جملة
من رجاله ووقاه الله افة تلك المسافة ومهالك تلك المسالك
وهو يتولى الصالحين وقد كان ابو الفتح علي بن محمد البستي يذكر
حركات السلطان بنفسه في تلك المقاصد براي يستمليه من عطارد
وحقاً لقد كان يقول ما تشهد به العقول ولكن اذا جاء بهرام والسيف
الحسام والبطش والاقدام فقد سقط الكلام وبطلت الصحايف
والاقلام وانشدني ابو الفتح لنفسه في هذا الباب

الا ابلغ السلطان عني نصيحة تشيعها ود وراي محنك
تجاوزت اوج الشمس عزاً ورفعة وذلك قسراً لامر قد تملكو
فهل حركات متعبات تديمها تأن فاوج الشمس لا يتحرك

وهذه مسئله يتنازعها الاوايل فمنهم من يجعل لأوج الشمس حركه
كسائر حركات الاوجات والمحققون قد انكروه ببراهين هندسيه
واشكال برهانيه

ذكر غزوة المولتان

قد كان بلغ السلطان يمين الدوله وامين المله حال والى
المولتان ابى الفتوح فى خبث نحلته ودخل دخلته ودحس اعتقاده
وقبح الحاده ودعايه الى مثل رايه اهل بلاده فانف للدين من
مقارنته على فظاعه شره وشناعه امره فاستخار الله الخاير
فى قصده لاستتابته وتقديم حكم الله فى الايقاع به وامر بضم الاطراف
ولف الذيول وجمع الخيول الى الخيول وضوى اليه من مطوعه
الاسلام من ختم الله لهم بصالح العمل واكرمهم باحدى الحسنيين
فى الازل وثار بهم نحو المولتان عند موج الربيع بسيول الانواء
وسيح الانهار بفضول الانداء وامتناع سيحون واخواتها
على ركابها واستصعاب متونها على اصحابها فطلب السلطان
الى اندبال عظيم الهند ان يطرق له فى مملكته فتمنع وتمرد واخذته

العزه باللوم فابى وتشدد وراى السلطان غرة الراى فى دهمه
ذلك الخطب ان يبدا به على غره جانبه فبذل صليبه وبيح
غريبه وبمزق لفه ولفيفه جامعا بين غزوتين وقاطفا جنى
الجنتين وبسط عليه ايدى القتل والايثاق والنهب والارهاق
والهدم والاحراق يلجيه من مضيق الى مضيق وينفيه من طريق الى
طريق طاويا عليه بلاده طى التجار بحضرموت برودا الى ان ضجرت
القنا من هتك حلق الدروع وسئمت الظبى من رشف علق
الاحشاء والضلوع ورسب اثره فى اغوار دياره واعماق رباعه
بجثته بين دماث السهول وقضض الاماعز ويفرى عليه وحوش
الجو من ضيق المداخل ورحب المفاوز حتى اضمرته نواحى
قشمير ولما سمع ابو الفتح والى المولتان بما جرى من امر عظيم
الهند وهو الوجه الرفيع والسند المنيع والسيف الصنيع
قاس بلعه بشبره وذراعه بفتره وايقن ان رعن الجبال لا
تطال بهضبات القور ونزف البحار لا تنال ببغاث الطيور
عجل بنقل امواله على ظهور فيلته الى سرنديب واخلى

المولتان للسلطان يفعل فيها ما يشاء فثنى العنان اليها مستعينا
بالله على من احدث في دينه او حدث بتوهينه فاذا اهلها
في ضلالهم يخبطون وفي طغيانهم يعمهون يريدون ان يطفئوا نور
الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره المشركون
فضرب عليهم بجران المحاصرة وكلكل المناجزة جزا للغلاصم
وبتا للايدي من المعاصم وارصادا لهم بالفاقرات القواصم حتى
افتتحها عنوة وشحنها عقابا وسطوة والزمهم عشرين الف
الف درهم يحصنون بها دنس استعصائهم ويداوون عن انفسهم
هجنة استشرائهم وابائهم وعبر ذكره بما اتاه من نصرة الدين
واناف معالم اليقين عرض البحر الى ديارات المصر حتى اذا درست
بها مقاماته التي لم يؤثر مثلها عن ذي القرنين الى حيث انتهى من
امر السدين وارتعدت فرايص الهند والسند واخواتها
حذار بطشه وانتقامه وخفقت بها نجوى الاجناد وطمست
صوى الغي والعناد فلله در ابي تمام حيث قال

كم منىً عز ونال بالامس والحبل ذو اقاق والخطب غير دقيق

حين لا جلدة السماء بخضراء ولا وجه شتوة بطليق
ان ايامك الحسان من الروم لحمر الصباح حمر الغبوق
معلمات كانها بالدم المهراق ايام النحر والتشريق

ذكر عبور ايلك الخان

وقد كانت الحال في الالفة قائمة بين السلطان وبين ايلك الخان
الى ان دبت عقارب الفساد في ذات البين واضطرب الحبل السا كن
واشتعل الجمر الهامد وراعى ايلك فرصة المجاهرة ببسر الحا شرح
حتى اذا صمد السلطان صمد المولتان وغارت نحو تلك البلاد
راياته وخفت عن اعيان رجاله ولاياته سرب سباشي تكين
صاحب جيشه واحد قراباته الى خراسان في معظم اجناده
وشحن بلخ بجعفرتكين احد حجابه وعدة من قواده وكان والي
طوس ارسلان الجاذب مقيما بهراة مامورا بالانحياز الى غزنه
متى نجم ناجم عناد او نعق ناعق فساد فاسرع الانقلاب اليها
اخذا لوثيقة الحزم في ترك القتال وتربصا بالحال عا به

الفضال وورد شباشي تكين فاستوطنها وندب الحسين بن نصر
للديوان فرتب الاعمال واصل الاستخراج وما يلهم كثير من
اعيان خراسان لاستخفا خبر السلطان من جانب مولتان وتناقل
الالسنة باهوا القلوب وتنازع النفوس اخابير زور واراجيف
غرور وامر الوزير ابو العباس الفضل بن احمد بالاحتياط على
الطرق بين غزنه وحدود الباميان وتجهيز وسدها بحماه
الرجال على حصانه مداخلها وصعوبة مراقيها وطير التدبير
الى السلطان بما انبث في اطراف البلاد من حيات العداه وعقارب
الغواه فاعجلته بديهة الابلاغ عن استتمام ما وازعجته علية
الحمية عن مقامه وركب ركوب العاصف اكتاف الجهام البارق
يطوي الارض طي المهارق بين ايضاع واجاف واهداء واعتساف
وبين سهول وظراب وسهوب وشعاب حتى القى عصى القرار
بغزنه واقام العطا لابنا دولته وانشا جملته وملا ايديهم
بالعطايا والرغايب وازاح عللهم في المطايا والركايب واستنفر
الاتراك الخلجية احلاس الظهور وابنا الصوارم الذكور

١٥٠ فنصر منهم قال البحتري شعر
جن على جن وان كانوا بشرا كانما خيطوا عليها بالابر
وجاش بهم نحو بلخ وكان بها جعفر تكين فاسرع الكرة الى الترمذ اشفا قًا
من صغه الضيغم الخادر واحترابنا من وثبة الارقم الثائر
واستقر السلطان ببلخ موفور الانس والجذل كما تحتلي صفحة
الشمس من برج الحمل وامر باتباع شباشي تكين بارسلان الجاذب
زهاء عشرة الاف من ابناء الكفاح ومنحه الارواح باشطان
الرماح وسارع سباشي تكين نحو الوادي للعبور فلم يرعه الا العاد يات
صوانح والموريات قوادح فكر على ادراجه حائرا عائرا وعطف الى
مرو على ان يسرع منها الى الشط على سمت المفازه فاذا الابار
مردومه والمناهل مطمومه ودونه الصيف مسعوره واذيال
السوافي على المعالم مجروره فانثنى الى سرخس وبها المحتسن بن
طاق رئيس الاتراك الغزية فاحدقوا به احداقا سد عليه باب
الهرب وضيق دونه وجه المجال والمضطرب فمانعه ما قدر ثم
ظفر بشباشي تكين فقدته بنفس بعد ان قتل مقتله من الجانبين

واعجله ارتداف ارسلان الجاذب اياه عن فضل المقام وروح الاستجمام
فارتحل الى ابيورد ومنها الى نسا وبينهما مرحلة واحدة كلما
صدر هذا ورد ذلك ومتى ظعن ذا آل اناخ هذا فسامهما امداد
الطلب والهرب جماما ولا يردون المياه الا لماما وقد كان
شباشي تكين قد حصل صدرا من المال والاسلحة من نواحي هراة
وغيرها فصارت عقلة له دون الحفوف في وجه النجاة فهو يتيامن
مرة ويتياسر اخرى منكوسا على راسه خوف العار من اسلام ما بيد
به يديه واعياه الخلاص بحشاشة النفس اخرى الا بافراره عن
حملته وتفريغ الخاطر عن الشغل به ولما قرب ارسلان الجاذب
من نسا رحل عنها متوجها نحو سيبارد وارتجه الطلب نحو جرجان
فوذب فلذ تلك الجبال بين الآجام الملتفة والغياض المحتفة
والمخارق الضيقة والمخارم المضطربة وتسلط الكراكلة
على اثقاله وافنا رجاله حتى فشت نايتهم فيه واستامن الى
شمس المعالي قابوس بن وشمكير طوايف من اهل جملته لعدم المراد
وذهاب الجراب وانقل هو على سمت دهستان حتى عاد الى نسا

وجمع ما بقي عليه من تلك الاثقال فاصدرها الى خوارزمشاه
ابي الحسن علي بن مامون يستودعه اياها لا ياله الخا ن
وحذرا ان يمد اليها يد الضياع بين واصحبها رجاله
عسكره والعجز منهم عن صحبته واقتحم المفازة متوجها نحو مرو
وكان السلطان قد انحدر الى طوس مراعيا ما يسفر عنه ركض
ارسلان الجاذب على اثره والصاقه الطلب الحثيث به فلما بلغه
ركوب شباشي تكين عرض المسافة اسرى على طريق مرو معارضا
له في مسيره وناقضا عليه قوى تدبيره فوصل اليها مخلصه
عن وعثاء تلك البيدا وندماه بابي عبد الله محمد بن ابرهيم الطاي
زعيم العرب وساير قواده رجال يرون الملاحم ولايم والو قايع
نقايع وسيوف الضراب عرايس وصفوف الكماه فرايس فكان
كما قاله سعيد بن حسان

فررت من معن وافلاسه الى اليزيدي ابي واقد
فكنت كالساعي الى مثعب موايلا من سبل الراعد

واحاطت به السيوف حيث لا ما الا منابع الافواه وهي

عاصيه ولا رعى الا شكايم التجمد وهي عاصبة فاسر موسى تكين
وهو اخو سباشتكين في سبعمائة من وجوه الافراد ورتوت
القواد وامر السلطان بقراجور بابهم فافرغت قيودا لكعابهم
وجوامع لرقابهم وحملهم الى غزنة ليرى اهلها صنع الله له فيمن
شاقه ونقض عهده وميثاقه ونجا سباشي تكين في خف
من العدد بجريعة الذقن فعبر جيحون الى ايلك وقد كان ايلك
عبر اخاه جعفر تكين في زهاء ستة الاف رجل الى بلخ ثانيا لاستفساد
عزيمة السلطان في قصد سباشي تكين واخراجه فتهاون بهم حتى
فرغ الخاطر من امره ووضع ما اقتضته من الشغل به عن ظهره
ثم ثنى العنان اليهم شدا اغص الهوا بغباره واستغرق اوقات
ليله ونهاره فلم ترعهم الا راياته باجنحة النجاح طايرة وخيوله
في صهيل المراح سايرة ولمس لهم السلطان فلما راوا الكمين
انفلوا منهزمين يختمون دعوة الخلاص بامين امس وتبعهم
صاحب الجيش ابو المظفر نصر على ساحل جيحون كاسعا
لادبارهم ومثخنا في غمارهم الى ان عبروه فسلمت خراسان

من عيث سوادهم وخلت من مشوش جرادهم واضطرب ايلك حنقا
لما جرى على عسكره من الضغطة الكبيرة والصدمة المبيرة فاستعان بقدر
خان لقرابة بينهما وكيدة ولحمة وشيجة واستنجده بحق مسألته الى
ثاره مستظهرا بنصرته واظهاره فاستجاش احيا الترك من مظانها وحشر
بني خاقان من اقاصي بلادها واستنفر دهاقين ما ورا النهر في جيوش تجل
عن الحد والحصر وسار في خمسين الفا او يزيدون حتى عبر جيحون مدلا
بعسكره المايج وبطشه الهايج ومعتضدا بقدرخان ملك الختن في العدة
والعديد والباس الشديد والايد المتين والبسطة والتمكين في رجال
كالنخاني والفوالج فوق البحور المواج عراض الوجوه خزر العيون فطس الانوف
خفاف الشعور حداد السيوف سود الثياب من خلق الدروع لها
جعابا كخر الطيم القبول محشوة بنبال كانياب الغول ولما سمع
السلطان بعبوره في جمهوره وهو اذ ذاك بطخارستان سبقه الى بلخ
فاستوطنها قاطعا عنها طمعه ومالكا عليه مناره ومنتجعه وا
للحرب فخرج السلطان في عساكر الترك والهند والخلج والافغانية
والغزنوية اشبا الجد والصدق وابناء المشق والرشق الى معسكر

له على اربع فراسخ من البلد يعرف بقنطرة جرجبان وسبح الجال
على الرجال رحب الفضاء على الدهاء وزحف ايلك الاعجاد اية في عدده
الدهم وعسكره المجر فتطارد الفرسان وتجالد الشجعان سحابة يومهم
على رسم الطلايع امام الوقايع الى ان كفهم حاجز الليل واصبح الناس على
معاد الحرب فعبى السلطان رجاله صفوفا كالجبال الراسيات والبحار
الزاخرات ورتب في القلب اخاه صاحب الجيش نصرا ووالي الجوزجان
ابا نصر احمد بن محمد الفريغوني وابا عبد الله محمد بن ابرهيم الطائي في كماة
الاكراد والعرب وساير جماهير الهنود ومساعير الجنود ورتب في الميمنة
حاجبه الكبير ابا سعيد التونتاش فيمن يرسمه من اعيان الرجال وفرسان
الزحف والصيال ورتب للميسرة ارسلان الجاذب فيمن تخب قيادته
من نجوم الابطال ورجوم القتال وحصن الصفوف بزهاء خمسماية من
فيلته التي تسد الجبال من اثقالها وتشكو الارض من زلزالها واقبل
ايلك فيمن ضمه من خواص غلمانه واعلام فرسانه وولى قدرخان ميمنته
واتراك الختن من اكابر العوامل وللختن الرهف جناح جعفر
تكين ميسرته بكل اشوس كالشجاع المحرج والحسام المرهف يتزوفا

الزغف والحجف فجثت المعركة ساعاتها مثار القسطل بروقها بريق
البيض والاسل ورعودها صليل السلاح ورشاشها صيب الجراح
واستنزل عن صهوات الخيول الى صعيد الارض زهاء الف غلام
يفلقون الشعور انصافا ويصيبون وسايط الاهداف اهدافا فشكوا
بالنبال تجافيف الفيول وشقوا بالنصال سرابيل الخيول ولما جد الامر
واحتد الجمر واعضل الداء واستفحل الاعداء وزخر وادي الخطب بمده و
كاد يخرج بادي الشر عن حده نزل السلطان الى صعيد ربوة كان
يشرف بها التدبير عطفات الحرب وتلافي نزقات ذلك المركب الصعب
فوضع لله خده وعفر شعره وارسل دمعه وقدم نذره ودعا
الله ان يحرس ملكه ويحسن فلجه ونصره ثم وثب الى قعدته من فيلته
المعلمة فحملها على قلب ايلك فاهوى الفيل الى صاحب رايته فاختطفها
من سرجه ورمى به في الهواء من فوقه وخلل الاخرين خطا يخطو
وسكا بانيابه ودوسا باظلافه واشال اولياء السلطان على الاخرين سيوفا
تلغ في الدماء وتنشف احشاء الاحشاء فطارت قلوبهم هواء واستحالت
افواههم هباء وولوا على اعقابهم نافرين وتبعهم الطلب بظباة القسر

والنهر إلى أن لفظتهم خراسان إلى ما وراء النهر ولقد أحسن السلامي في قوله

فينا وصف حاله ومدح آثاره وأفعاله

ما سيف دين الله ما أرضى العدى لو أن سيفا مثل عدلك يعدل

ما إن سننت لهم سنانا في الوغى إلا أظل عليه منهم أبطل

والروض من زهر النجوم مضرج والماء من ماء الترائب أشكل

والنقع ثوب بالنسور مطرز والأرض فرش بالجياد مخمل

تهفو العقاب على العقاب وتلتقي من الفوارس أجدل ومجدل

وسطور خيلك إنما ألفاتها سمر تنقط بالدماء وتشكل

وامتدح عند ذلك السلطان يمين الدولة وأمين الملة أبو القسم الحسين

بن عبد الله المستوفي بقصيدة أولها ظهر الحق باشتداد أركان صلعد النجم عالي

وهوى المرتجي ذوي النكث والبغي وأهل الضلال والطغيان

ما الذي غره بمحمود المحمود آلاؤه بكل لسان

بأبي القسم المعظم ظل الله في الأرض صفوة المنان

من يناويه نهزة للمنايا غرض للحتوف والأحزان

ملك صار من مضى من ملوك الأرض لفظا وجاء عين المعاني

فخر المشرقان بالحظ منه وأسطا لذا فاشتاقه المغربان

جمع الله فيه وهو قد يسرعا لما للكمال في الجثمان

ملك وهو في الحقيقة عندي ملك صيغ صيغة الإنسان

ملك عادل فإذا ضعيف وأخوه في حلمه سيان

أخذ الهند بالمنى وبجرى منا أن أراد بالهند واجب

سيفه والمنون طرفا رهان نحو حلق العدو يبتدران

خذلني بأن سنخضع جنا للمنى كل سيف يماني

لو عصا خدوع تسمى المنية ظلت تحك في السندان

غاب عن غابه الهزبر لغزو الهند مستنفر لأرضى الرحمن

فسبى واستباح واجتاح منهم وأحل النكال بالأوثان

وانثنى قافلا وقد ملأ الأيدي فيئا وفاز بالرضوان

فسطا باسه بطاغية الترك وأهل الشقاق والعصيان

طلعت رايته لهم فتولوا كعاد يتلهم من ضان

كم قتيل وكم جريح وغريق وأسير في القد ذي سعان

طار أيدي سبا عساكر ظنوا أنهم ملكوا على البلدان

خطبوا الملك فاعترتهم خطوب جرعتهم مرارة الخطبان

صحوا ادرم في السجون الوف والوف تحبسهم جرجان

ولمروو في القفار الى جيحون قتلى مأكل الحيتان

جثث للسباع في كل فج طعم للنسور والعقبان

بارك الله ربنا في خميس ردعنا خمسين ألف عنان

وكتب أبو الفتح الهمذاني البديع الى الشيخ الوزير الى العباس الفضل بن أحمد
هذا ورب الكعبة آخر ما في الجعبة لقد أنصف من رأى الغارة ومحا
السيف ما قال ابن دارة ثم لا تروه بعدها للترك ٥ ولا تحلم بعدها
بالملك ٥ لقد كان السلطان إذ عفر لله شعره وعرض على الله فقره
وفوض إلى الله أمره وأخلص لله قدره وناهض بالله خصمه وسأل
الله حوله شد الله بذلك أمره وأعز نصره وأقطعه عصره
والطمعة ملكه واورثه ارضه ان الظفر باسبابه والموفق من باني
الأمور من بابه فصل منه انه اجلاد ثم البلاد ما
كنتم لا يحطمنكم سليمان كتب الله ليغلبن السلطان وآل ان السيف
امامك وخلفك ان الوقت قدامك وأرضك ارضك ان باتا النوم نومة ليس

منها قلم ان المغاني صارت مغاني الاذئاب ركض نادم ورب سوط ظالم
ورب عبور الى ثبور ورب طمع هدى الى طبع الا ان هذا الفتح فتح حفظ
على الشرع بعد ما أماها وعلى السنة دماها وعلى النفوس دماها وعلى الأموال
نماها وعلى الحرم عطاها أعاد الله بها البلاد خلقا جديدا وأنشأ
الناس نشأ جديدا وعقد الملك عقدا طريفا فما أولى يومه أن يتخذ عيدا ٥
ويجعل في المنصرفات تاريخا ولبس العقد مع الله بالشوط فأوفوا الله عهده
كما صدق فلم وعده وانما عهده عند السلطان أن يحسن النظر وعهده
عند الشيخ الجليل أن يحسن المحض وهراة من البلاد تبيعه هذه الدولة
وعنتها فان حط عن حملها العلاوة وأزيل عن عتبها الاتاوة فلله
هذا النظر ما أجنى ثماره وأكرم آثاره ٥ فلما وضعت هذه الحرب أوزارها
وأفاضت غرة النصر أنوارها سنح للسلطان أن يكبح أعنته الجانب الهند
للانتفاع بالمعروف بواسة شاه أحد أولاد ملوك الهند كان نصيبه بعض ما
افتتحه من ممالكهم خلافته على سد ثغورها وتحصين أطرافها وحدودها
اذ كان قد استحوذ عليه الشيطان فارتد في حافرة الشرك وانسلخ عن
جلده الإسلام وباطن زعماء الكفار على خلع ربقة الدين والانفصام عن عروة

عن عروة الحبل المتين وعزّ من فوره اليه وصبّ سيوفاً تقطر من دماء
مخالفته عليه ركضاً بادر أفواج الرياح واختصر أوقات الظلام والأصباح
حتى نفاه عن مثواه وطلّ عليه حمله ما حواه واعاد الى تلك البقاع ه
بهجة ملكه وسلطانه وحصد نجوم الشرك عنها بحدّ سيفه وسنانه
فذانك برهانان من الله في اعلاء دولته واشاعة دعوته واعزاز
نصرته وافلاج حجته وبشّر الله له الانقلاب الى غزنة مظاهر الذين
نصر ناجذا بان فخامة وجلالة وبنا ارتان نباهة وجزالة ه وذلك
فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم **ذكر**
قلعة سبهنغر قد كان السلطان يمين الدولة وامين الملة
بعد ان فتح الفتحين وافتتح النجحين عرّج على غزنة للاستراحة والتفرّغ
لشكر الله على النعم المتناجية واقام بها ثنا حذ عزمته لغزوة اخرى
يرتفع بها حدود الاسلام وينعفر لها خدود الاصنام وينتكس عندها
راية الشيطان ويرحل للغواية شدّه وحبل الضلالة لمدّه اذ كان بعد همّته
ببنوّته خلاف الطباع البشرية في استخشان المضجع الوثير واستحباب
النزول على الوتير واختيار فرع الاسنّة والعوالي على نقر المثالث والمثا

وتر جيح خدود البيض القواضب على خدود البيض الكواعب كل ذلك لجد
بلّ نيته وصنت نقيبته وعز عزيمته وسعى يتقرّب الى الله به وفيه حتى اذا
انسلخ شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة استخار الله في اتمام ما رامه
واستراح ما نوى لحامه وسار متوكلا على الله الذي طالما اطعمه
نصره وعرّفه صنعه حتى اذا انتهى السير به الى شط وهند لاقاه ابن همّر
تال بن اندبال في جيوش تجلّل بسود الرجال وبيض الصفاح وزرق الرماح
وزهر الدروع ودكن القبول وامتد الحرب عن انيابها العصل وتوالت
الحملات كانّها في لوامع الشهب وتنزاحم نوازع السحب ودارت رحا الطعان
والضراب طاحنة كل نجيب شجاع وقرم مطاع وامتدّ الوقعة من ظهوله
النهار الى جهوله الطفل حتى اكتسب الارض لون الشقائق من دماء الطلى
والعوائق وكادت تدور للكفار دائرة لولا ان الله اعان السلطان على
حامية من خواص غلمانه كسعت ادبارهم ومحت عن مقاسمهم آثارهم واغنمته
ثلثين فيلا كابراج القصور بل كامواج البحور وجعل اولياؤه يحتشونهم
او يتقفونهم من بطون الاودية والشعاب وظهور القفافي والهضاب
واتفق السلطان بنفسه انه تلك المهارب منحيزاً وعد الله في نصرة

دينه وذل كل ذي نفاق وشقاق بجنسه فأفضى به الطلب الى قلعة بهيم نغر
أحصن قلعة بنيت على جرف طود رفيع خلال ماء منيع وقد كان ملوك الهند
واعيان اهلها وجماعات النساك وذوي الاملاك يدخرونها مخزنة للصنم
الاعظم فينقلون اليها قرنا بعد قرن من انواع الذخاير واعلاق الجواهر
ما يخف اوزانه ويثقل عند السوم قيمه وان انه عبادة بزعمهم لما يقدمهم
الحسنى ويقربهم الى الله زلفى فصادف السلطان منها ثمرة الغراب
وزبدة الاحقاب ما لا تقله ظهور الاجمال ولا تسعه اوعية الاحمال
ولا تنسخه ايدي الكتاب ولا يدركه فكر الحساب فحشر عليها جنوده و
ضرب حواليها بنوده وانبرى لقتال مستحفظيها بقلب جري وانف حمي و عزم
ذكي وبطش قوي وراي بالصواب وري ولما راى القوم غصص تلك الجبال
تماوج بتلك الجنود وتطاير النبال صعدا الى الوفود استنفرهم الرعب والوجل
والوى اعلامهم الخوف والوهل فحلت ابصارهم تلك الزنوف فتوقا وهاتيك
السدود فروجا والسكون نبوقا وسحرتهم دولة السلطان فهزتهم كلاب
الادبار والخذلان واعشتهم وجوه الامر جانب الاستيمان فتنادوا واجمعوا
بشعار السلطان وفتحوا باب القلعة وجعلوا يتساقطون الى ارض الامان

كالعصافير اخرجتها البواشق والغيوث جادتها الغيوم البوارق وفتح الله سبحانه
السلطان تلك القلعة فتحا يسيرا واتاه من لدنه صنعا كبيرا واغنمه ما ينفسح
النفوس من بنات المعادن والبحور وزينات القيم والعقود ودخلها في والي
الجوزجان ابي نصر احمد بن محمد الفريغوني وساير خاصته وكل حاجبه الكبير
التونتاش والسع تلبس بخزاين العين والورق وساير ذوات الاخطار والقيم وتولى
بنفسه خزانة الجوهر فنقل منها ما انيته ظهور رجاله واستقل سايرها اعيان رجاله
فكان مبلغ المنقول من الورق سبعين الف الف درهم شاهية ومن الذهبيات
والفضيات سبعمائة الف من وزنا ومن اصناف الثياب التسترية والديابيج السوسية
ما انطق مشايخ الزمان والطاعنين في الاسنان انه لا عهد لهم بامثالها صنعة
وتنوقا وتوزينا وتلطفا وفي جملة الموجود بيت من الفضة البيضاء كهيئة بيوت
الاغنيا طوله ثلثون ذراعا في عرض خمسة عشر ذراعا صفايح مضروبة له
للطي والنشر والنصب والحط وشراع من ديباج الروم اربعون ذراعا في عشرين
ذراعا بقاعدتين من ذهب واخريين من سبيكة فضة ووكل السلطان
بتلك القلعة من ثقاته من يراعيها ويوفي امانة الاستحفاظ فيها وكر
عائدا الى غزنة في ضمان النصر والاظهار وقران البشر والسار ولما

شتت عصاه جانب الفرات بها أمر بساحة داره ففرشت بتلك الجواهر من
درّ كالنجم الثاقب قد سلمت على أيدي الثاقب ومن يواقيت كالجمر قبل الخمود أو الجمر
بعد الجمود ومن زبرجد كأطراف الآس نضارة أو ورق الأقحوان غضارة وركب
قطاع الماس كمثاقيل الرمان في المقادير والأوزان واجتمعت وفود الأطراف
على إدراك ما لم يروا في كتب الأولين اجتماع مثله لأحد من صناديد القروم وملوك
العجم والروم وحضر ذلك المشهد رسل طغان خان ملك الترك أخي ايلك فرأوا
ما لم تره العيون ولم تبلغه الظنون ولم يملكه قارون صنع الله الذي إنما أمره
إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ۞ **ذكر آل فريغون** ۞ كانت
ولاية الجوزجان لآل فريغون أيام آل سامان يتوارثونها كابراً عن كابر ويورثها
أول بعد آخر بشرف النفوس والهمم وكرام الأخلاق والشيم ووطء الأكناف
لانتجاع الأطراف وخصب الرحال لوفود الآمال دأبهم إجلال قدر الآداب ورفع
درجات الكتاب وافتراض حقوق الأحرار وإغلاء أسعار الأشعار فكم من غريب
آواه إحسانهم ومن أديب أغناه سلطانهم ومن كسير جبره إنعامهم ومن حسير
أنهضه عطفهم وإلطافهم وكان أبو الحارث أحمد بن محمد غرة تلك الدولة وإنسان
تلك المقلة وجمال تلك الحلة وطراز تلك الحلة تأوي إلى كرم خصب وكنف

رحيب وشرف رغيب ومرتقى همة بعيد ومستقى نائل قريب وقد دان الأمير أبي
سبكتكين خطب إليه كريمته على السلطان يمين الدولة وأمين الملة ثم أوجب لولده أبي
نصر أحمد بن محمد كريمة له فاستحكمت اللحمة واستمسكت العصمة والتحمت الوثائق
واستحكمت الأواصر والعلائق ولما مضى أبو الحارث لسبيله ورثه أبو نصر ابنه
فأوجب السلطان إقراره على ولايته إيثاراً له بفضل رعايته وعنايته إلى أن
قضى نحبه في شهور سنة إحدى وأربعمائة وأقرأني أبو الفضل أحمد بن الحسين
الهمذاني المعروف بالبديع كتاباً له إليه جعله مقدمة الوفود عليه فقال
فيه من غاب الأمير أدام الله تأييده وهذه نسخته ۞ البحر وإن لم أره فقد
سمعت خبره والليث وإن لم ألقه فقد تصورت خلقه والملك العادل وإن
لم ألقه فقد لقيني صيته ومن رأى من السيف أثره فقد رأى أكثره
وما زلت أدام الله الأمير أسمع بهذا البيت القديم بناؤه الفسيح فناؤه الرحب
أناؤه الكريم آباؤه النجب أبناؤه وأنشد من هذه الحضرة ضالتي والعوائق
تمنيه وتيسره تريني حسرة والزمن والخطوب تقعد وتثور فكم من عام عزمت
وأبت المقادير ونوبت وعرضت المعاذير والآن لما وقفت لهذه الزيارة أحمدت
على أخبار الملك العادل في مستقره واختلفت اختلافها مرة في فرس الظرف

ومدة جبي وتره مصفا بميمون آثره حتى بلغت مبلغي هذا ثم وسوس الى الشيطان
بعد سر مقدر انى اقصد هذه الحضرة طامعا في مال او طامحا الى نوال وعظم
سلطان هذه الوسوسة حتى كاد يثنيني عن درك الحظ من طلعته ولم ابعد
ما الفاه في خلدي ان يكون ولدا وفا انشدن الله الظنون ان تنصرف في قصدي الا
الى معرفة اوفقها وخدمة اودعها ومدحة اسمعها ورجعة اسرعها
ثم ادخر هذه الدولة لملكة اغشيها او داية انصبها او كتيبة اغلبها
او دولة املسها فاما الدراهم والدنانير فدفعها الي ونزعها من بين يدي سوا
لدي لا اشك واجبهما ولا اشكو اسالبهما ان في القناعة وقتا وفي الصناعة
غنى لا اسعد بنال المال اذا اردته ولا يحوجني الى ركوب العقاب وسلوك
الشعاب بها فصدته لي يجشمني قبضا ويتطفل على ايضا وهذه الحضرة حرسها
الله وان احتاج اليها مامون ولم يستغن عنها قارون فالاحب الي ان اقصدها
قصد موال لا قصد سؤال والرجوع عنها بجمال احب الي من الرجوع عنها
بمال وقد تمت التعريف وانا انتظر الجواب الشريف فان نشط الامير لضيف
ظله خفيف وضالته رغيف فليزجره له بالاستقبال طائر الاقبال
والسلام وله فيه لما صدر عن فنائه متقلبا بنعمائه

ألم تر أني في سفرتي لقيت المنى والغنى والأميرا
ولم تر أني شممت التراب وكنت امرأ لا أشم العبيرا
لئن سل عني الزمان بعلو اسحاما وبوسوا ابتسارا
لآل فريغون في المكرمات يد أولا واعتذار أخيرا
إذا ما حللت بمغناهم رأيت نعيما وملكا كبيرا

ولأبي الفتح البستي فيهم

بنو فريغون قوم في وجوههم سيما الهدى وسنا السودد العالي
كأنما خلقوا من سودد وعلى وسائر الناس من طين وصلصال
من لو منهم تقل هذا أجلهم قدرا وأسخاهم بالنفس والمال
يا سائلي ما الذي حصلت عندهم دع السؤال وقم فانظر الى حالي
ألا ترى أن حالي كيف قد حليتهم ألم تر حالي عند ترحالي
أأن أرى ساكتا عن شكر أنعمهم فإن ذاك لعجزي لا لإغفالي

ذكر أمير المؤمنين القادر بالله واستقلاله بمنصب آبائه الرا
شدين في بغداد السلام واستقرار الامامة عليه وانعقاد البيعة له بعد
الطائع لله وما اتصل من الحال بين السلطان يمين الدولة وضياء الملة
أبي نصر بن عضد الدولة في زمانه فقد كان بها الدولة وضياء الملة ثم

حلم من الطائع لله امورا الصدر منها من غير وفاقه وعدول بها عن استحقاقه
فدعاه ما توالى عليه من خلاف رضاه الى مراعاة مصلحة الدين والملك باختيار
من يرعى حق الامامة ويتولى حياطة الخاصة والعامة ويعزل هوى النفس في
اتباع الحق واستشعاره ونصرة الدين واظهاره وحماية الملك من اقطاره و
جعل يتلطف في التدبير عليه الى ان تمكن منه فاختلعه واحتوى عليه وعلى
ما كان جمعه وذلك في شعبان سنة احدى وثمانين وثلثمائة وارسل الى البطائح
وبها القادر بالله ابو العباس احمد بن اسحق بن المقتدر بالله فاستقدمه دار
السلام لعقد البيعة له سدا للثلمة ونظرا للامة وارتيادا للالفة واجلالا
للمصلحة الجامعة فقدمها في شهر رمضان من هذه السنة وتسارع الناس الى
مبايعته واصفقوا على طاعته وتراضوا عن طيب النفوس بامامته وتناصحوا
لله على ما اتاحه لهم من بركات خلافته ثم اشتهر في الافاق من
مناقبه الغر وضرائبه الزهر وفضائله المسطورة على صفحات الدهر فقام
بما قلده الله من طوق الامامة مفوضا اليه امره ومتوكلا عليه وحده
فلم ير في عصره من سرير الخلافة اوفر منه حصاة ولا اوفر اناة واصلب
قناة واصدق تقاة وارضى سيرة وازكى بصرا وبصيرة وازكى علنا وسريرة

وأتم جزالة وجلالة واعم سياسة وحراسة نعم ولا اقوى منه جنانا واندى
بنانا واجرى لسانا واعدل عقابا واحسابا وعطفته عاطفة القربى على الطائع
لله فاستخصه لمنادمته واختاره لمحاجته والحفه جناح رعايته وحمايته
نفادا من عواصف المحنة في زمانه او نكبة ترهقه في ظل سلطانه وجانب
امانه الى ان فرق بينهما الدهر المولع بالتفريق واخذ الرفيق عن الرفيق و
رثاه ابو الحسن بن موسى العلوي بقصيدة

ان كان ذاك الطود خر فبعد ما استعلى طويلا
موف على القلل الذوائب في العلى عرضا وطولا
قرم يشتد بخطه فترى القروم له مثولا
وترى عزيزا احتمى حل ولا ترى الا ذليلا
كالليث الا انه اتخذ العلى والعز غيلا
وعلى على الاقران لا مثلا يعد ولا عديلا
من معشر ركبوا العلى وابوا عن الكرم النزولا
عزوا اذا انتسبوا الى الغر اللوامع والحجولا
كرموا فروعا بعد ما طابوا وقد عجموا اصولا

تنسى عداوده بسمون له الحولا
يا ناظر الدين الذي رجع الزمان به كليلا
يا صارم المجد الذي طبّقت مضاربه فلولا
يا كوكب الأحساب أنجلى الدجى عنا أفولا
يا غارب النعم العظام غدوت معمودا أجزيلا
لهفي على ماض مضى أن لا يرى منه بديلا
وزوال ملك لم نكن يوما نعد أن يزولا
ومنازل سطر الزمان على معالمها الحؤولا
من بعد ما كانت على الأيام مرباه ذلولا
والأسد تركز القنا فيها وترتبط الخيولا
من يسبع المنن الجسام ويصطفي الحمد الجزيلا
من يفتح الآمال يوم تعود بالليان حولا
من يورد السمر الطوال ويكشف الخطب الجليلا
ووراه منع دوننا وادي النوائب أن يسيلا
عقاد الوسم الملوك على العلى جيلا فجيلا

وانثال خطباء العراق وشعراؤها كأعراف الجياد على مجلس الخلافة في امتداح القادر بالله امير المؤمنين وذكر
ما ابتدأ أيامه ومفاخر أسلافه وآبائه مرابع الكرم ينابيع الحلم مصابيح الظلم مجاديح الأمم ليوث البهم غيوث
القحم وبلغني ان مقاماتهم مدونة بالعراق بين منظوم ومنثور وفقر وشذور ولا حاجة بنا الا الى ذكرها
مع استهارها في ديارها وحكى لي ابو محمد عبد السلام بن محمد بن الهيثم احد اعيان الكرامية بنيسابور قال تمثّل في مجلس
القادر بالله امير المؤمنين خطبا بحضرة بني هاشم ومشايخ بغداد واعيان الحضرة فقلت الحمد لله ذي العزة القاهرة

والحمد الباهرة والنعم المتظاهرة الذي عم احسانه ودام سلطانه ولطف
شانه فلا راد لقضائه ولا مانع لعطائه ولا معقب لحكمه وابتعث محمدا صلى الله
عليه من خير أرومة العرب مولدا وأفضل جراثيمها محتدا وأطولها نجادا
وأرسخها في المكرمات أوتادا فأيده أحسن تأييد وأكد أمره أفضل التأكيد
حتى اشتعل الدين ناهضا واضمحل الشرك داحضا وظهر أمر الله والمشر
كون كارهون فعليه صلوات الله عدد الرمل والحصا وما طلعت عليه
شمس الضحى وعلى آله الطيبين ثم قبض الله من بعده على خلفائه الخلفاء الرا
شدين المهتدين الذين وهنوا كيد الملحدين فبسطوا للاسلام بساطه ونهجوا لا
هل الآفاق صراطه الى ان تأدى الأمر الى ذويه من آل رسول الله صلى
الله عليه وبنو صنو أبيه فأقاموا الاسلام عن أوده واسندوا الأمر الى سنده
معتصمين بحبل الله صادعين بأمر الله معظمين لحرمات الله وهلم جرا الى
ان ملكت نعمة الخلافة بأمير المؤمنين القادر بالله فبهر نوره نور العالمين
وسمى ذكره على المنابر صدور المخلصين من بعد النوا من أظهر العناد وأبوا
من قصد الفساد وأبى الله الا نصرة الحق وادالته ووقع الباطل واذاله
ولقد حدثني محمد بن الفضل الحلواني قال حدثني الصولي عن المبرد أن العباس بن

أبي عبدون حتى أن سعيدًا الخطيب لما بايع الفضل بن مروان المعتصم بالله
أمير المؤمنين قام في الناس فقال

بايعت منبسطًا ولو لم ينبسط   كفي لبيعته قطعت بنانها
من ذا أبيه لا أدين بدينه   قطع الإله يمينه فأبانها

ولو اتفق في خدمة أمير المؤمنين ما يقارب هذا أو يشاكله وذلك أنه أظهر
بيعته لو اتصل كتابه على حين التوامر النوى بناحية بلخ وقال فيها

نسفت نفسي نحو سعة قادر بالله لما خالفته بيد القدر
ما ضر بيعته التوامر النوى والله مبرمها بمكنون القدر
ولقد رآه أحق من وطئ الحصا   لولائه الشم البهاليل الغرر
فلأخلعن القلب مني إن أبى   ولاه ولأقلعن العين إن زاغ البصر

وها أنا قد ساعدني توفيق الله حتى وطئت بساط أمير المؤمنين شاكرًا
ما أنعم الله علينا بولي أمير المؤمنين محمود بن سبكتكين وإنه في رسمه كاسمه
والله نسأل أن يتم سلامة أمير المؤمنين ويلحقه بسعادة آبائه الطاهرين
وصلى الله على نبيه محمد وآله أجمعين   قال فأمر القادر بالله أمير المؤمنين
أن ينسخ الخطبة في جملة أخواتها المسطورة المخزونة ولما أرجف منابر

خراسان بذكر القادر بالله أمير المؤمنين على ما أوجبته طاعة السلطان يمين
الدولة وأمين الملة لأمر الله في اقتفاء محبته واقتفاء خليفته وحجته كاتبه
عماله من الأقضاء إلى ابنه أبي الفضل بعهده في ولاية أمور المسلمين من بعده
وتلقيبه بالغالب بالله ورسم توفيته بواجب حقه وإلحاق ذكره على
المنابر باسمه وطبع النقود على ذكر تلقيبه فأوجب السلطان يمين الدولة
وأمين الملة مطاوعته بأمره ومتابعته في جميع ما رسم فقارن ذكرهما
في الخطب وقرن اسميهما على صفحات الفضة والذهب وسنعود إلى ذكر
بها الدولة وضياء الملة من لدن استأثر الله بعضد الدولة وتاج الملة
أبي شجاع فناخسرو إلى أن أفضى الأمر إليه واستقر الملك عليه وفيما
نطق به كتاب الصابي المعروف بالتاجي من وقائع عضد الدولة مع
بختيار إلى أن أظفره الله به فقضى عليه بحد حسامه وجرعه كأس حمامه
واحتياله على أبي تغلب ناصره تقفيا أهزامه إلى أن أمكنه التدبير عليه بابن
الجراح أحد المتغلبين من الأعراب على حدود الشام فقبضه لأقناصه
بتبابات أهداها إليه ولطائف أكسبها له حتى يغفله وقتله وحمل إليه علاونه
ما يغني عن نعت مذكره ولما مضى عضد الدولة لسبيله وذلك في شهور

رمضان سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة عند اشتغال أخيه مؤيد الدولة لنوبة
محاربة حسام الدولة تاش وعميدها فائق حد عساكر خراسان أجمع أبناء دو
لته على ابنه صمصام الدولة وشمس الملة فبايعوه متوازرين وتوافقوا على طا
عته متظاهرين وأتاه الطائع لله أمير المؤمنين في حراقة على ظهر دجلة
معزيه عن أبيه وقد ثار عوام الناس نظارة له حتى إذا قرب منه برز
إليه صمصام الدولة فجشم وجهه بتسليم الطاعة وحق الخلافة وقال له
الطائع لله نضر الله وجه الماضي وجعل الخلف الباقي وصير التعزية بعده
لك لا بك والخلف عليك لا منك فأذرى على خديه دموع عينيه وبادر إلى العقد
المأمون به عليه ثم انتصب منصب أبيه وأجرى الأمور على استقامة
وتدبرها بسياسة عامة وكان أخوه الأكبر أبو الفوارس شيرزيل بن
عضد الدولة غائباً إلى ميدسة واشهر من أرض كرمان فلما بلغه نعي أبيه
كر راجعاً إلى فارس وقبض بها على نصر بن هرون النصراني وزير أبيه
واستولى عليه حواصل أموالها ونفاثا أعمالها وامتد منها إلى الأهواز فملكها
على أخيه أبي الحسين أحمد بن عضد الدولة وغلب على البصرة معها وذلك
في رجب سنة خمس وسبعين وثلثمائة ثم استعد لقصد بغداد طلباً لمكان

أبيه واستضافة لما في يد أخيه إلى ما بيده وبحوزته وسار حتى إذا وا
فاها تلقاه صمصام الدولة بأوجه حتى سنه عليه إجلالاً ومهابة ومداراة
ومقاربة وهادياً من ضرر استيحاشه وعدى مسافة عمر عالماً بأن عمد افرد الا
بسع سنين وشهراً واحداً لا ينقص سهمين فعز به أبو الفوارس ورفع محله
ثم طلقه وكحله وأمر به فنقل إلى قلعة كوستان من أرض عمان واستولى
على المملكة ولقبه الطائع لله بشرف الدولة وزين الملة فبقي على حالته بسنتين
ونحبه حكم الله تعالى في جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين وثلثمائة وقام
شاهنشاه بها الدولة وضياء الملة أبو نصر بن عضد الدولة مقامه وتجرد لضبط
الأمور المائية وتلافي الحال الحائلة وتكفل بالملك كفالة خبير بالتجارب بصير
بأعقاب العواقب وتمادى الأيام إلى أن نافرس صمصام الدولة فأبرزوه من معقله
وحمله غلامه المعروف بسعادة على عاتقه منحدراً به فملك فارس وما والاها وجبى
أموالها فجباها ثم تنكروا له من بعد وقدموا أبا علي بن أبي الفوارس وعقدوا
له الرياسة عليهم ولقبوه بشمس الدولة وقمر الملة وتجردوا للدفاع عنه
والدعاء إليه فانتدب لمواقعتهم إلى أن هزمهم أقبح هزيمة وغنمهم أو خشيه
فجنسوا إلى بغداد صاغرين خاسرين وتحول بها الدولة وضياء الملة لقتال

ح

صمصام الدولة فتناوشا الحرب وصالا كلعوب الرماح ما بين المساء والصبا
د حتى خربت البصرة وتلاها في الخراب أكثر كور الأهواز وقد كان أولاد
بختيار محتبسين في حصار بناحية فارس فاستنزلهم طايفة من الأكراد
الخسروية عن معقلهم مؤججين نار الفتنة بأبشارهم وفك عقالهم فناصبهم
الحرب مستقلا شرهم ومستدفعا بأسهم وضرهم فاختلفت به الوقايع
بين تلك الفتن الثايرة والإحن الغايرة وكان عقباها أن أجلت عنه قتيلا
وتنمر بها الدولة لحادثة عليه فأرصد الجناة بطالبته حتى شردهم كل مشرد
وطردهم كل مطرد وألجأ أولاد بختيار إلى الجلاء عن تلك الناحية وزعيمهم
يومئذ سالار بختيار الملقب بنور الدولة وقد كان من أمره أنه أسن عنها
مدحورا مثبورا فاضطر به الحال إلى خفارة التجار في تجاراتهم وأجازهم على
مراصد القطع ببضاعاتهم على خرج يستعين به من جهتهم على مؤن معايشه
ودبابته واتبعه بها الدولة بجيش وافقوه بواشهر فغلبوه ووصلوا إليه فقتلوه
وحمل غلام منهم رأسه إلى بها الدولة فامتعض للرحم الدانية واللحمة الحانية
من تشجعه بالغلام بأن يسلخ جلده من قرنه إلى قدمه عبرة لمن أقدم على مثله
بسفك دمه وبعث بعميد الجيوش الملقب بالصاحب إلى بغداد لمراعاة تلك

الأعمال واستيفاء حقوق بيت المال فاستدت سيرته وحقت في العمل بصيرته ١٦٤
وعمر نفقة حجيج بيت الله الحرام فانطلقت بشكره ألسنة الخاص والعام
إلى أن قبضه الله إليه فسد مكانه بوزير الوزراء زيادة في النظر للرعية فأدر
على عميد الجيوش في الإحسان إلى الكافة إصلاحا لهم وإرفاقا بهم وطرحا عنهم
وصفت نواحي فارس وكرمان لبهاء الدولة مضافة إلى ساير أعماله وتعدت
الفتن القايمة عن سوقها في زمانه فعم الأمن والسكون وشمل الرفق والهدو
واستراح عباد الله مما كان يقدحهم من وطأة الجيوش ويلحفهم من
معرة اختلاف السيوف وقد كان أبو علي بن الياس قد ملك كرمان أيام عضد
الدولة لآل سامان وأقام بها مدة من الزمان لا ينازعه فيها منازع ولا يدا
فعه عنها مدافع وكان حبس ابنه اليسع في بعض قلاع كرمان أشفاقا من معرة
الموته داها في رأيه واضطراب بنيته في وجوه شمايله وأنحايه فلهي عنه مدة من
الزمان مديدة وهو يكابد منها ضرا وبؤسا وشدة فاتفق أن أشرف
سرب من نساء أبيه وجواريه عليه فرثين لضيق مكانه ودبرن في وجه
خلاصه وعمدن إلى خمرهن فوصلن بعضا ببعض وخلصنه بها عن معقله وتسا
مع أهل العسكر بخلاصه وانحلال عقاله فتجمعوا إليه وانقطعوا بجملتهم إليه

الاه له على ابنه بجوات نفورها منه وبلغ ابا علي خبر الحادثة فارسل الى ذوي التجرب
والتالب باجتذابهم اليه فاظهروا الفجع بمكانه والتبرم بطول زمانه
وساموه مفارقة كرمان ليستقر الامر على ابنه اليسع بطاعتهم له وتوخيهم
مفارقته فعدل ابو علي قولهم بحسب المداراة والاحتيال في عاجل الحال ثم جمع
ما قدر عليه من صنوف الاموال وكر عائداً الى بخارا مخلياً بين اليسع وبين
تلك الولاية واقام بقيته بشر بن مهدي ويرمش الحاجب على خدمة اليسع
وكفالة امره اذ كانت حداثته تقتضي استخلاف ذويها وقوة رايها على
حصانة اموره وتبصره الرشد في وجوه تدبيره ولما وصل ابو علي الى بخارا
بولغ في تعهده واكرام مورده واجلاله من الايثار والاكبار بمحل مثله
الى ان توفاها في شوال سنة ست وخمسين وثلثمائة واما اليسع فانه
ولي كرمان يحمي اطرافها ويجبي اموالها وكان اخوه سليمان مقيماً بسيرجان
والياً عليها فاغراه بشر بن مهدي به واشار عليه بمعاجلته قبل استطامة شمله
واستمرار رحليه وكتب اليه يستدعيه لمهم لا يستغني عن مفاوضته فيه
فامتنع عن الاجابة بعلل اخترعها ومعاذير تمحلها وضاق اليسع به ذرعاً
ولم يجد من مناجزته بداً فنهض اليه محارباً حتى هزمه وغنم ماله فوقع

سليمان الى بخارا واطمع اليسع ترف شبابه في مغالبة عضد الدولة ابي شجاع
على بعض حدود عمله فكان مثله مثل العير طلب قرنين فضيع اذنين وذلك
انه لما بلغ مفرق الحدين بين كرمان وفارس اتاه صاحب طليعته بطا
ئفة من المستامنة عن عسكر عضد الدولة فاحسن اليهم وصب الخلع عليهم
ثم هرب نفر منهم راجعين وراءهم فارتاب اليسع برفقائهم وظن ان وراء استئمانهم
خلة او غيلة فاوسعهم تنكيلاً وعمهم بالعقاب قطعاً ومثلاً واستامن عنه الى
عضد الدولة جملة من رجاله فخلع عليهم وحباهم ووصلهم ومناهم فلما راى اصحابه
تباعد ما بين الامرين مالوا عليه وتنمروا له وتحزبوا وانسل من جملتهم صفقة
واحدة الف رجل من وجوه الديلم الى معسكر عضد الدولة وهو بناحية اصطخر
وفشا الطريان بين الاخرين فجعلوا يتسللون لواذاً ويتفرقون جميعاً واشتاتاً
حتى انفض عنه عامة اهل عسكره وبقي في خاصة غلمانه وحاشيته فاضطر الى
معاودة واشهر واسرع منها بعياله وما خف عليه حمله من اثقاله واموا له نحو
بخارا لا يلوي على شيء دون الاغذاذ في السير وطي بساط الارض نحو افق الجبل
فلما اتصل خبره بعضد الدولة بادر على اثره الى واشهر فملكها واستصفى اموال
آل الياس بها ثم استخلف عليها كوركين بن جستان ورجع عنها الى فارس فلما

وورد اليسع ناحية جوين من حدود خراسان خلف اثقاله وغلمانه وركب الجمازات نحو بخارا
للاستنجاد وطلب الامداد فلما وافاها قرب محله ورعى له حقه واستحضر مجلس الانس
تخصيصا بمزيد الاكرام والاثرة فلما قدر تغلبه سلطان الراح لم يتمالك ان قال منبسطا
لو عرفت قعود الهمم بآل سامان عن اغاثة الراجين لها واللاجين اليها لطلبت غير هذه
الحضرة ملاذا او معتصما فخشن مس هذا المقال منه فامر به فنفي الى خوارزم وبلغ
ابا علي بن سيمجور حاله وتقاله فبعث الى جوين من قبض على غلمانه وامواله فنقلهم
واياها اليه غنيمة خالصة عن ايدي الاعتراض والاشتراك واصاب اليسع بخوارزم
رمد اقلقه واكمده واستنفد وسعه وجلده وحمله الضجر بالالم على ان فقأ عينه
الرمدة بيده فسالت على خده فكان ذلك سبب هلاكه وحينه ولم يطر
من اعقاب الالبتكينية محدود ذكر مان بعده لاحق وازداد عضب الدولة
طولا وعزة وارتفاعا وشمولا الى ان ورثها الدولة وضيا الملة فاجرى امورها
مجاريها الموروثة في حفظ الاطراف وبسط العدل والانصاف ولما ملك
السلطان يمين الدولة وامين الملة خراسان وافتتح سجستان وحصل بحضرته
ولاته ومن تلك الديار ذيار الجوار فاتحه ها الدولة وضيا الملة بكتبه خا
طبا لدولته على صدق قلبه المعمور بولائه المقصور على تطلب مرضاته

ووصل ذلك بهدايا ومبار لائقة برحب صدره وعلو همته وقدره فاجابه ۝
السلطان الى ما خطبه واوجب له مثل ما اوجبه واتحفه ما رهن الوداد والا
اتحاد وقضى حق المكافاة وزاد وتشوفت الحال بينهما الى زيادة عصمة تجمعهما
البيوت والمرابع وتشترك فيها الاقارب والاباعد فسفر مشايخ الدولتين ۝
في تشبيك اللحمة وتوشيج اسباب القربة الى ان اتاح الله من ذلك ما عم القاصي
والداني فائدته وشمل الحاضر والبادي والطاري والثاني نفعه وعائدته ذكر
وقعة نارين ونشط السلطان في سنة اربع مائة لغزوه في ديار الهند
بنكاها فتح كتائبه فيها تقربا الى الله واحتسابا للمثوبة من عند الله فهتف
نحوها تحث الخيول وتخترق الحزون والسهول الى ان توسط ديار الهند فاستبا
حها واذل لقاحها ونكس اصنامها وعرض على السيوف اغنامها وسار على هيئته
نحو نصيبه واوقع بعظيم العلوج وقعة افاء الله بها عليه امواله واغنمه خيوله
وافياله وحكم الله فيهم سيوف اوليائه يحسونهم بها من كل سهب ونفذ في
نحورهم على كل مهبط ومصعد وورد بها الى غزنة بما حواه من تلك الغنائم
الموفورة سالما غانما وافرا ظاهرا ولما راى ملك الهند ما صب الله عليه وعلى اهل
مملكته من سوط العذاب بوقائع السلطان فيهم ونكايته في اقاصيهم وادانيهم

وانفق أنه لا قبل لهم بثقل وطأته وخشونة جانبه أرسل إليه أعيان أقاربه وفرا
سته ضارعا إليه في هدنة يقف فيها عند أمره ويستمح باله ووفره ويتجرد أوقات
دعائه لنصرته على أن يقود إليه بادي الأمر خمسين فيلا يعد آحادها بأضعافها
ثقل أجسام وخفة أقدام ويحمل معها الأعظم الخطر جليل القدر أيضا فيه
من مبار تلك الديار ومناع تلك البقاع وعلى أن يناهب كل عام من أفناء
عشائره بخدمة بابه ألفي رجل بادين وعائدين بالآلات والأداة معلومة يلتزمها كل
سنة سنة يتمسك بها من يرث مكانه ويقوم في كفالة أمر الملك مقامه
فأوجب السلطان إجابته إلى ملتمسه لعز الإسلام ببذل طاعته وإعطائه
الجزية عن يده وبعث إليه من يطالبه بتصحيح المال وقود الأفيال فنفذ ما
ما وعد وقدم الوفاء بما شرط وبعث بمن ضمن تجهيزهم إلى بابه من خواص
رجاله على جملة الخدمة وإقامة رسم الطاعة فانعقدت تلك الهدنة ودرت
تلك الأداوة وتتابعت القوافل بين ديار خراسان وبلاد الهند في ضمان الأمان
وجوار الحيطة والإحسان ٥ ذكر غزوة غور لما أنفق للسلطان
يمين الدولة وأمين الملة فكر في جبال غور وتمرد أهلها وتمنعهم على عطلتهم
عن حلية الدين وسمة الإسلام وحصولهم في المثلة من عين حوزته والمركز

١٦٧ من دائرة مملكته وتأذي المارة والسابلة بإرصادهم وعيث قطعهم
وإفسادهم لاستطالتهم بمناعة جبالهم الشواهق ومجال مسالكهم
المتضايق فأنف للدولة القاهرة من أن يخليها على غلواء أقفالها وشدة
رتاجها فصمم العزم على تدويخ ديارهم وتذليل قاتهم (?) وانتزاع
نعرة الاستطالة من رؤوسهم واستلال مخزرة العصيان من
صدورهم وأجلب عليهم بخيله ورجله معولا على صنع الله وفضله
وقدم أمامه والي هراة التونتاش الحاجب ووالي طوس أرسلان
الجاذب وسارا مقتحمين مضايق تلك المسالك إلى أن أفضى بهم الدرب
إلى مضيق قد غص بكماة الغورية ممن لفظتهم القرى الناصبة
والمحال المتنابية فتناوشوا الحرب تناوشا بطلت فيها العوامل
إلا الصوارم في الجماجم والخناجر في الحناجر وتصابر الفريقان على حر
الكريهة حتى سالت نفوس وطارت عن الهام رؤوس وبلغ
السلطان خبر الفريقين فلحقهم في خواص رجاله وحفل لجيبهم (?)
الحما ورآهم شيئا فشيئا وملك عليهم ملاجئهم شعبا فشعبا إلى
أن فرقهم في عطفات الجبال الشوامخ وألجأهم بقلل الرواسي البواذخ

واستفتح المجال الى عظيم الكفرة المعروف بابن سوري فغزاه
في عقر داره واحاط به من جوانب حصاره وهي قضية تدعي اهنكران
وشد عليه الحرب وبرز الرجل نحو قرابة عشرة آلاف رجل كانما خلقت
قلوبهم من حديد وابدانهم من جلاميد يستأنسون باهوال الوقايع
استيناس الظباء بماء الشرايع فصادفوا عسكر السلطان مرعدين بالبطش
والباس ومبرقين بصوارم الاسياف وجعلوا يهرون في وجوههم
هرير الكلاب ابان الفراز واخرجتها الاجحار فامر السلطان
بمداركة الشد عليهم على ما اوجبه حكم الاحتياط اذ كانوا مستندين
الى معاقل وثيقة ومعتصمين بخنادق عميقة حتى اذا انتصف النهار
على وقاحتهم في مغاميته الحرب ومصابرة الطعن والضرب اشار
بتوليتهم الظهور على وجه الاستدراج والاغتيال فلعتروا بخدعة
الانقلاب وانفضوا عن مواقفهم الى فسحة الفضاء لاغتنام فرصة
الانهزام فكرت عليهم الخيول بضربات غيبت بذوانها عن
اخواتها فلم ينتفع منها واحدة الا عن دم منثور وبناط مبتور
وصرع في تلك المعركة الواحدة رجال كهشيم محتضر او اعجاز نخل

١٦٨

منقعر وملك الاسر عظيمهم المعروف بابن سوري باقربته وذويه
وسائر حواشيه وافاء الله على السلطان ما اشتمل عليه حصاره من
ذخاير الاموال والاسلحة التي اقتناها كابرا عن كابر وتوارثها
كافرا عن كافر وامر السلطان باقامة شعار الاسلام فيما افتتحه
من تلك القلاع والرباع فافصحت بذكره منابرها واشترك في
عز دعوته باديها وحاضرها ورجع بعد ذلك عن وجهه على جناح
اليمن والنجاح والظفر المتاح وحين راى ابن سوري حصوله في
ذل اساره واستباحة السلطان ودايع حصاره نبذ بحياته
واستتر الى برد وفاته فامتص سما ان اودعه فص خاتمه
فجاد للوقت بنفسه خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران
المبين

ذكر القحط الواقع بنيسابور في سنة

وقع القحط بنيسابور خصوصا وفي سائر البلاد عموما فهلك
بنيسابور واطرافها دون غيرها ما به الف او يزيدون وكم
دفن منهم باطمارهم لضيق الاكفان بهم وعجز غسلة الاموات
عنهم وكان الناس من غلام وشاب وكهل وشيخ وفتاة وعجوز يتداعون

الخبز الخبز ويذوبون على أنفسهم حتى تغور عيونهم ويجب الموت جنوبهم
ورعوا نبات الأرض حتى استحكم اليأس عن الزروع وانقطعت الأطماع
عن الربوع وانقطعت بهم الأمور فجعلوا يتبعون رمايم العظام على رؤوس
الكناسات فيقلبونها ومهما ذبح قصاب ذبيحة اجتمع عليها الفوج
بعد الفوج يتقاسمون جميعها بالأظفار والخرق تسكينا لحر الجوع
واجتزاء به عن القوت ولم ينل منه أحد إلا سقط لجنبه وجاد عن كثب
بنفسه وعهدي بهم يتبعون سقاطات حب الشعير عن الأرواث وهيهات
أن الشعير أعيى الأنام فكيف البهايم والأنعام ثم ترقى الأمر إلى أن أكل
الأم ولدها والأخ أخاه والزوج زوجته وظل بعضهم يختلس بعضا من شوارع
الطرق إلى الخرابات فيطبخ منه ما شاء من البلجات وحرمت اللحمان
على الناس لكثرة ما صهر عليها من لحوم البشر فبيع في الأسواق وقبض على
أقوام بلا عدد كانوا يغتالون السابلة فيصهرونهم على هذه الجملة ووجد
في دورهم ما يغمر العد من رؤوس الناس قد أكلت لحومهم وصهرت
شحومهم فأما الكلاب والسنانير فلم يبق منها إلا العدد اليسير وهاب
أوساط الناس فأرباب الحرف أن يخترقوا وقت العشا محلة ناحية

عن واسطة البلد إلا في عدد وسلاح من جهد به وأذكر أن فقيها
من أصحاب الحديث وجيها دخل على الإمام أبي الطيب سهل بن محمد الصعلوكي
فسأله عن تطاول عهده به ليأخذ الإمام عني أحدوثة عجيبة رد الله
على روحي فضلا منه جسيما وصنعا كريما إني جعلت أمر ببعض العشيات
وحيدا في شارع أشار إليه فلم يرعني إلا وتر صار في عنقي وجذبت به
جذبة ضيقت مخنقي فبينا أهم بمواثبة الجاذب ومداناة السلامة على
ضيق التخنيق إذ وثب إلي من بعض تلك الأبواب امرأة فضربت أثنتي بين كتفيها
ضربة سقطت منها مغشيا علي فلم أشعر بعدها بشيء من مصارف أموري
إلى أن أفقت عن الغشي ببرد ماء رش من وجهي وترابي فنظرت إلى قوم
أجانب يجادعونني عن آدهاني ويتجاثون بخصومهم على أني فإذا هم
سلعة وجثتي لجنبي أدركوني عائدين إلى منازلهم فهرب عنهم من أشفى على
قتلي واستباحة دمي وتركني برمقي وخلى الوتر في عنقي فصبرت ساعة
إلى أن استوفيت الإفاقة واستعدت الوسع والطاقة وعدت إلى
المنزل وسقطت من هول ذلك المصرع على الفراش عشرين يوما
مدهوشا مبهوتا وحرضا مشبونا إلى أن من الله علي بأوايل الإقبال

وزوال أكثر ما مسّني من ألم الاعتلال فبكّرت يوم أحسست بالخفّة
الى المسجد لاقامة الفرض وصعدت المئذنة على الرسم فلم أستتمّ
التكبير حتى أختطف عمامتي من رأسي هواء أراد صاحبه به رقبتي
فأخطأها لما أراد الله من انساء أجلي فعدلت عن الأذان الى الصياح
بطلب العمامة وجعلت لله عليّ بعد ذلك أن لا أخرج مدّة هذه السنة من
داري إلا والشمس بيضاء نقيّة ولا أرجع اليها إلا وفي النهار بقيّة فهذه
هي التي ثبّطتني عن الخدمة وأقعدتني عن الرسم في مشاهدة الجملة فقضى
الحاضرون عجبًا من تلك الداهية وسألوا الله حسن السلامة والعافية
وحكى عن الأستاذ أبي سعد عبد الملك بن عثمان الواعظ وهو المعروف
بخركوشي أحد الصالحين من عباد الله الموفقين والساعين في مصالح
المسلمين أنه نقل الى دار كان يجمع بها المرضى والزمنى من الفقراء
وأبناء السبيل في يوم واحد من أيام هذه السنة أربعمائة ميّت من بين برح
الجوع والمخمصة على أنه يعني بتكفينهم ودفنهم فأتاه خبّاز الذي
يقيم جرايات المذكورين من جهته وهو في حيرته يذكر أنه قد بقي في
هذا اليوم بعينه ما اشتدّ على البيع أربعمائة من خبز فسبحان من

نقضي على من يشاء بالفناء مع امكان القوت ووجود الكفايات وقد
أكثر الناس في ذكر تلك الغلاء والبلاء   فمنه قول أبي نصر
الزاوهي لما نبع هو قد أصبح الناس في غلاء وفي بلاء بدا ولوه

من يلزم البيت يوذ جوعًا   أو يشهد الناس يأكلوه

ولأبي محمد العبدلكاني الزوزني

لا تخرجنّ من البيوت لحاجة أو غير حاجة
والباب أغلقه عليك موثقًا منه رتاجه
لا تستصل الجائعون فيطبخونك شورباجه

وأمر السلطان يمين الدولة وأمين الملة بالكتب الى عماله بصبّ الأموال
على الفقراء والمساكين فاستشفى الله بها مهجات قوم قد أشرفوا على
الهلاك وأنقذهم من بين حنك الاجتياح فبقيت تلك السنة على
حالها الى أن أدركت غلّات سنة اثنتين وأربعمائة فمنّ الله
بإزالة تلك الشدة وإطفاء تلك النائرة المتقدة وتدارك عباده بعد
استحكام اليأس بالغيوث الهامية والربوع الزاكية النامية ما
يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده
وهو العزيز الحكيم

ذكر ما أفضت اليه أحوال الخانية بما وراء النهر

قد كان السلطان بعد انكشاف عسكر الترك عنه يرعى ما يسفر عنه تدبير
ايلك الخان وأخيه الكبير طغاخان اذ كان اخوه الكبير مايلا الى السلطان عليه
لما يزعم لزومها اياه ومواثيق يدعي انعقادها بينهما ويظهر البراءة
على ألسنة رسله من تعاطي ايلك في منابذته ومكاشفته والتخطي الى
حدود مملكته ويورك ايلك الذنب عليه في اغرائه بما اتاه ومكايدته
في البعث على ما جناه ولما ظهر لايلك ان اخاه طغاخان قد جعله عرضة
للخيانة وقلده طوق المكاشفة براءة منه وخذلانا اياه وشقاقا للعصاة
واستلاما له بما اكتسبت يداه راى ان يبتدئ فيحسم داء قرابته ويغسل بالسيف
وضر جنابته فجمع جيوش ما وراء النهر لقصده واستوفى مكره
وغدره وسار حتى جاوز اوزكند نحوه فسقطت ثلوج سدت عليه مسالك
العقاب المفضية اليه فارتد عن وجهه الى قابل حين طاب الهواء
وانحسر الشتاء وجفت الانداء فكر عائدا على ثاره لفت المستبير
هو هنا ثاره وكان وردت رسلهما في التنازع الذي تقدم ذكره
فتراجعا القول في البراءة عن جناية العبور واحالة بعضهم على بعض

١٧١ في بعض المواثيق والعهود فجلاهم السلطان في لفظ القول حتى وصلوا
بحر الثار الى برد الاشتفاء واراد السلطان بعد ذلك اقرارهم فامر بتعبية
جيوشه وتغشيته قبولها فرتب العسكر سماطين عن جنبتيه في هيبة
لو رآها قارون لقال يا ليت لي مثل ما أوتي محمود انه لذو حظ عظيم
وصفة مقامه انه اصطف من غلمانه على المقابل قرابة الفي غلام
من عقايل الترك في الوان الديباج من بين سود وبيض وحمر وخضر
وكهب وصفر وفيما يقرب من موقفه خمس مائة غلام من خاصته على
نسبتهم في مثقلات الروم بمناطق من ذهب مرصعة بالجواهر واعمدة
من جنسه فوق الاكتاف والعواتق وقد اطاف بهم من عظام الفيول
اربعون فيلا على المحاذاة غواشيها ديباج الروم بعصائب ومعاليق
من الذهب الاحمر مرصعة بكل جوهر ثمين وياقوت رزين ووراء
السماطين سبعمائة فيل في تجافيف مشهرة بالالوان مستورة
بالحراب والمران وعامة العسكر في سرابيل قد كدت العيون فوردت
عن اجتلائها العيون ورتب الرجالة امام الخيول في الترسة الواقية
والجنن الحامية والسيوف المرهفة والعوامل المختلفة وقام بين يديه

عجائب كالبدور في ظلم الدجى قابضين على قبائع سيوفهم هائبين
قدره وما طرف من واذن هولاء الرسل على هذه الهيبة حتى لقوه
واقاموا من بينهم الحد منه ما افترضوه ثم عدل بهم الى الموايد في دار قد فرشت
بما لم يجل غير الجنة من نسه للمشتغل معرفه للعارفين ففي كل مجلس
دسوت من الذهب الاحمر من جفان واحواض واطباق وكان قد نضدت بها من
صدر المجلس المقدمة بما تشاكله من الاواني اللطيفة والالات الفاخرة
الرائقة وهيئ لخاص مجلسه طارم قد جمعت الواحه وعضادته
بضباب الذهب وصفايحه ونفت مسامير من جنسه وفرش من
الديابج المثقلة بما لا يدرك الابصار منه غير حمرة الذهب وفي الصدر
مثقلة منقوشة مصورة سوف مضلعة ومساند من يشتمل كل منها على نوع من
الجواهر التي عيت امثالها اكاسرة العجم وقياصرة الروم وملوك
الهند واقيال العرب وحول المجلس اطباق وصحاف من الذهب ملوه من
المسك الاذفر والعنبر الاشهب والكافور العصر والعود العنبري وهلم
جرا الى ما يملأ الابواع والايدي من اترجات مصوغه وتارنجات
مصبوغة وما يشبه الفواكه من عقيان وبذخشي وبهرمان

١٧٢ اليه وان لم يسمع بمثلها رقة اجسام ودقة صنعة واحكام وطاف
على الرسل والاتراك كالدر المنثور واللؤلؤ المكنون من راح كالماء المعين
ورضاب الخرد العين الى ان اشفقوا من عثرات العقول فاستاذنوا للقفول
وصرفهم السلطان بعد هذه المادبة وراهم بما اوجبته همته من
تحقيق امانيهم ورعاية حق الملح فيهم ونفى الخوف على جملتها في
المنافرة والمكاوحة والمماحكة الى ان توسط السفراء بينهما انفصلوا
الامر على ما اتفق كلا منهما عن صاحبه على ما سنورد ذكره في موضعه
ان شاء الله تعالى ذكر فتح قصدار وكان السلطان يمين الدولة
وامين الملة يراعي ما ينجم من بين الخوين الملك وطغاخان فيما
تنازعاه من الامر فلما بلغه اشتجار ذات بينهما استخار الله في قصد
قصدار اذ كان صاحبها قد الم بجانب المجانبة واخل بحمل مال المقا طعة
اعتزازا بمناعة مملكته واغترارا بحصانة الطرق المفضية الى حلته
وفصل السلطان عن غزنة الى بست موريا بقصد هراة حتى انتشرت
الاخبار بعزمه واستفاضت الاحاديث بظاهر امره ثم كر الى ناحية
قصدار في الغلب الغلب من رجاله ركضة طوت تلك الجبال الوعرة

والمسالك الصعبة فلم يشعر صاحب قصره الا بغلمان السلطان
حول داره قبل ان يحتمي بصونها او يحتفل لشدّ ازره فنادى الامان
الامان وبرز نحو السلطان والزمه السلطان خمسة عشر الف الف
درهم من جملة ما كان التطّ به من اموال عمله فالتزمها ونقد اكثرها
وقبض السلطان على عشرين فيلا ضخاما هايلة كان اعتقلها البوم بوسه
وبابه ووكل به من يستوفي المال عليه ورجع عنه بعد ان رجّح حق
طاعته وضرعته باستخلافه على ما كان يليه وبسط يده في اطراف
عمله ونواحيه ورجع عنه الى غزنة ظاهر النجح وفايز القدح غالبا
بيده واريا زنده صنعا من الله تعالى لمن يجتبيه من خيار خلقه لعمارة ارضه
وامانة خلقه والله يعطي ملكه من يشا والله عزيز حكيم

في ذكر الشارين الوالد ابي نصر محمد بن اسد والشار محمد ابنه وما افضى اليه امرهما

فكان يلقب كل من يلي امر غرشستان الشار سمة مصطلحا عليها
تنبي عن معنى التمليك ورتبة الجلال والتعظيم وكان الشار ابو نصر واليها
الى ان ادرك ولده الشاه وقبيلة لوثته مشهورة فغلبه على الامر بقوة شبابه
واستظهار من تابعه من اصحابه فاعتزل ابو نصر متخليا بنفسه ونبذ ما كان

١٧٢ يليه وتفرد بالنظر والتدبر فيه ومقتصرا على دراسة الكتب ومطالعة
الادب اذ كان بها مولعا وبلذتها دون سائر اللذات مقتنعا وكان منتجع
الافاضل من اعماق البلاد ينتابه منهم كل مبدع خطا وبيانا او مبدع به
بلوى وامتحانا فانتشب بعد ان ينتابه ويشهد بابه حتى ينتخب حبابه
وينتجز برّه وثوابه وكان صاحب الجيش ابو علي محمد بن محمد بن سيمجور لما
افتتح الاستعصا على الرضي نوح بن منصور يرام ان يستضيف ولايا الغرش
الى ما يليه فلم يجد من جانب الشارين طاعة له في اوامره ونواهيه فاظهر
التمرد عليه كراهة اختياره على ارباب الملك الذين اعطوهم المقادة
قديما وسلموا لطاعتهم سلبا واذلالا بحصانة صياصيهما وقلاعهما
ومناعة حواشيهما واشياعهما ومحاماة للرضي على حقوق طاعتهما وشق ابوي
حرمتهما ان هم ابو علي بمنازعتهما ملكا وتراثا او طمع في فضل مال اقتناه
فلم ينهنه ابو علي ان جرد اليهما ابا القسم الفقيه احد ثقات دولته
واركان دعوته في جيوش كثيفة وخيول على الالاف منيفة
فناهضهما في عقر دارهما متوقلا اليهما فوارع نضائح السما وشوامخ
تناطح الجوزا ومتوغلا لمخارم تمرد على السلوك مرود السموم على غلايظ

الثلول تناجز هامها في تلك المقامات التي تبذ بعدها الرؤوس وتفنى على
النفوس وتلجئها من مضيق الى مضيق وتفجعها بفريق بعد فريق حتى
اجلاها على قرار بينها الى قلعة ورثها اسلافها في اخريات تلك الجبال
يزل عن عاليها اقدام الغيوم ويخلع دون مبانيها اكرام الطيور وملك عليها
صحون جبالها وسهول ديارها ومجالها تحبيها وينتزع ما ينتسب الى كل
منها فيها الى المعتصم الامير ناصر الدين سبكتكين بن صمد الحاجب على فاسترد
ابا القسم الفقيه شغلا بابانة القوم عن التنحي وبالعقاب المنقض عن
الكركي وعلم ان قد تخلى الوادي فطم على القرى وانظم الشاران الى
الامير الامير سبكتكين في نصرة الامير نوح فاستقام امر ابي علي حين ولي
عنهما وتعرى عما تولاه واقتنا مجدبا ووثيما واحتمل نحو جرجان لا يملك
رايا ولا عزيما ولم يزل بعد ذلك حالها على جملتها من الامنة والسكون
واكناف المصون الى ان ورث السلطان خراسان حكما لله في ارضه
يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ولما اذعن ولاة الاطراف
للطاعة والتزام حكم التابعة واعطاء صفقة البيعة وقرع المنابر
باقامة الخطبة فكلهم سمع واطاع وبذل في الخدمة والقربة

المستطاع انهضت الى الشارين في اخذهما باقامة الخطبة اسوة امثالهما
من ولاة الاطراف وضمنا الاعمال فتلقيا بفروض الطاعة والحرص على
الاقتداء بالجماعة وامر الخطبة فاقيمت باسم السلطان في كور الغرش
في شهور سنة تسع وثمانين وثلثمائة وورد على الشارين كتب المتحازبين
الى بخارا عن هزيمة من ويذكرون انهم على الاستعداد والتجرد للمعاد
فلينتظراهم عن قريب ليأخذا من الانتصار ودرك الثار بنصيب فبعث
الشار ابو نصر بها الى حرج رقعة افردني بها بابا لتي ناملها وانفاذها
باعيانها الى السلطان ليتبين حاله في الموالاة ومخالفة ذوي المباداة
بالمعاداة فكتبت اليه في جواب رقعته تاملتها اطال الله بقاء الشار
فوجدتها تدل على حدود قد علمها فيها صيقل الوقاحة كجد ليتوعد
صاحبه بان يضرب فكيه ان لم يكف عنه كفيه وما نحن بهذا المعنى
وفيها ولاه الله مولانا السلطان الحسنى   الا كما قال المتنبي

ولله سر في علاك وانما   كلام العدى ضرب من الهذيان

واما قولهم انا على الانتصار وطلب الثار فتلك امانيهم قل هاتوا برهانكم
ان كنتم صادقين على انا نقول لئن كان اعجبكم عامكم فعودوا الى الحرب قابله

فان الحسام الخضيب الذي قلتم به في يد القابلة فان قالوا العود احمد
فذلك ولم نحمد البدي لا من ذم وصادف فيه ما سر لما اتى ولا غم وقد
رأوا في يدي لقاهم كيف شرقت السيوف بدمائهم وتحكمت النسور في
اشلائهم فان نشطوا ثانية فهاتك الصوارم ماضية والقشاعم ضارية
وما اشبه حال القوم بما قام به ابن الاشعث خطيبا في قومه فقال يا قوم
انه ما بقي من عدوكم الا كما بقي من ذنب الوزغة تضرب بها يمينا وشمالا
فما لبثت ان تموت وكذا المصباح اذا قارب انطفاؤه وتوهج قليلا ثم
يعني ذلك من حينه قليلا فالحمد لله الذي جعل سيوف مولانا تخطب على
منابر الرقاب اذ جعل الاسنة اعلامه تخطب فوق اسرة الاذقان واليه
الرغبة في ان تطيل بقا مولانا ما طلع نور من حجاب اسر وطلع نفس
من قرار نفس منصورا على من نابذه وناواه ليودعه من بطن الارض
ملحده ومثواه وعن كثب سيرى الشاه كيف يفعل الله بالغاوين ويلبسهم
خزي المبلغين ويردهم اسفل السافلين وقبل وبعد فالحمد لله رب
العالمين فكان الامر على ما حدست وتفرست فان الملك المجد
اليهم فملك عليهم ديار الملك بغا لو اخذ معظم القوم اسارى وشرد الباقين

في الارض عيا يعني نعم وطالعت الحضرة بصورة امر الشارس في الطاعة حتى
حظيا من الاكرام بما توقعاه وحليا من الاعزاز والايثار بما لم تطلعاه
وحضر الخدمة بعد ذلك الولد المعروف بشاه شار فصادف ما استحقه من حسن
وترتيب وحظ من الحجاب والايثار رغيب وغمر منه على هذه الجملة وهو من
نخوة الاغترار بسمة الملك ولوثة في الطبع ما يسلم امثالها عند الملوك على
الملك وهو على كل ذلك محتمل وبلطف القول والاقبال مقتبل واستأذن من
بعد للانصراف وراه فصادف اذنا بالمبار الكريمة مشفوعا والى الخلع
الشريفة فوق الهمة المنيفة مجموعا وعاد الى افسين قرار بيته ومثابة عزه
الى ان عنت للسلطان غزوة احب ان يحتشد لها فضل احتشاد ويستظهر
فيها بما حوله من قوة وعتاد وامر الجيوش وقواد فامر بالكتاب اليه في
انتهاضه اسوة امثاله ثقة بخصوص حاله وثمرة ما افاض عليه من سجال
افضاله فلزمه الخذلان على المكان ولقنه معاديه واهية الاركان
فطفق يتردد بين الحران والاذعان الى ان حقت عليه كلمة العصيان فاعرض
السلطان عند ذلك عن تدبيره واقبل على ما اهمه من امر مسير تهيا اذ ذاك
له ما قصد وظفر بما كيد وقد عاد بالفتح خافقا لواؤه ونجح شارقا

ضياؤه وجدّد مكاتبته ايمانا له من خيفة ان اوحشها وايناسا من وحشة
ان لابسها واستبقاء للصنيعة عنده من ان يختضد انشاءها او ينقطع دون المأ
رشاءها فلم يزدد ذلك الا كفورا ونفورا وكان امر الله قدرا مقدورا وعند ذلك
جرّد السلطان حاجبه الكبير ابا سعيد التونتاش وقفّاه والي طوس ارسلان
الجاذب فيمن ضمّهم الى جملتهما ورسمهم بالمسير نحو ابنيهما لمناهضة الشارين
وانتزاع الغرش عليهما واحاقة وبال العصيان وكفران الاحسان بهما
فنهضا في العدّة والعديد والبطش الشديد واستلحقا ابا الحسن المنيعي
الزعيم بمرو الروذ لمكانه من العلم بمعاطف تلك السبل ومخارم تلك الشعاب
والقلال فسارا اليهما في رجال قد حنّكتهم التجارب وبيّنتهم النوائب يعجمون
باطراف القنا اعلى الزبر ويدخلون ولو خرقت الابر فهجموا على الشارين
بتلك الناحية فاما الشار الكبير الوالد ابو نصر فاستشف سيماء العاقبة
فاغتنم شعار العافية ولاذ بالامان الى الحاجب التونتاش مظهرا للبراءة
من فعل ولده وصادعا بما اشتهر في الخاص والعام من عقوقه وتمرّده
وتحمّل بشفاعته الى السلطان في ملاحظته بعين من لم يرتكب جريرة
ولم يغل سريرة ولم يبدل في الطاعة والاخلاص شيئا فحدّره الى هراة

بمن ترفعه اقتضته طاعته واحتياطا اوجبه خلاف الابن وممانعته وكتب
بحاله الى السلطان فورد في الجواب بما امّنه رهق المؤاخذة وعنت المعاقبة واما
ابنه الشاه فتحصّن بالقلعة التي افادها ايام السيمجورية وهي التي يسبق وصفها
في عزّة الجوانب ومناعة المناكب وصعوبة المصاعد والسموّ على متون
الغيوم الرواكد واستصحب اليها خواص غلمانه وخزانته وسائر
حاشيته وبطانته وقصده الحاجب التونتاش وارسلان الجاذب في الجمّ
الغفير من اعيان القوّاد وابطال الافراد وتقاسما اركان الحصار فقذفا بالمجانيق
بين المنصوبة والعرادات الموضوعة ومناوشة الحرب من جهاتها كادت
حشاشة النفوس من هول المقام ان تذوق كأس الحمام قبل ذوقها
بالسيوف والسهام وواصلا صبوح تلك الحروب بالغبوق حتى هدما
احد اسوار الحصار فوضعاه بالحضيض من وقع الجلاميد وصدم
المجانيق وتسلّقها اهل العسكر متجشّمين على سائر الاسوار كالعصم وقلّة
في شمّ الهضاب او الارانب هاربة من غضف الكلاب واستحكمت
الحرب على تلك الحال ضربا بالسيوف القواضب واخذا باللحى والذوائب
حتى سالت المذانب من دفع النحور وجمّت المتالع من علق الصدور

ورأى الشار عند ذلك من هول المطلع ما لم يكن بحسبان فدعا الأمان الأمان
هيهات أن غضاب النفوس إذا صادفت نجح المرام ووجه التشفي بالانتقام
لموقورة الآذان وتتعل انعالها وبنا لمن درك الثار منالها وما زالت
تلك دعواه وهذه حالهم حتى أخذوه أسيرا واستنزلوه عنوة وقسرا
واستبيح ذلك الحرم بما حواه من درهم ودينار ومال واستظهار وأخذ
حاجبه ووزيره وتميز بل قليله وكثيره فوضع عليهم الدهق حتى أعفى
بما عرفه من ذخائره وخبره من ودائعه وجلب عامة أوليائه وعماله
والمتصرفين كانوا في أموره وأمواله حتى عروا عن لباس اليسار وعزب
لظلافهم دون الاستبدال وقوطع أبو الحسن المنيعي زعيم مرو الروذ عن
ارتفاعات الغرش ما علم ارتفاعه منه قبل للشار فتمكن منها واستخلف
نفسك من تقويته في عمله فانحل الحصار بكونوال يونوثا ماشه وجلده
وبعث السلطان بعض خواص غلمانه لنقل الشار المأسور إلى حضرته
على سبيل الرفق له من جهته فلما أسلم إليه حمله في وثاقه نحو غزنة
وسمعت بعض الثقات أنه اتفق للغلام أن كتب إلى أهله يخبرهم بما
لقيه في حالتي ورده وصدره ويبشرهم بمنصرفه فاستدعى الشار في

١٧٧

في عقاله وأمر بتولي ذلك بخطه فأنعم تفكرا ثم أظهر تمكرا
وكتب ما هذا معناه أيتها القحبة الرعناء أتراني أغفل عما أحدثته بعدي
من خيانتي في الفراش وتمزيق ما خلفته عليك من مالي وتخريبه بأنواع الفساد
لقد انتهى إلي جميع ما كسبته من فجور وشربته من خمور وضيعته من مالي في كل
منكور ومحظور وها أنا عائد إليك وايم الله لأضعن الدهق عليك
وعلى والديك ولأذيقن يديك إلى حاليك ولأجعلنك عظة لربات الخدور
في الدور بأكثر من كذا وأشياء من الشتم حتى علم أنه قد اكتفى واشتفى ثم
طوى الكتاب ودفعه إلى الغلام يطير بعض ثقاته فقامت القيامة على
أهله وخفن عدوا وسعين نحو ... من سوء ... وفكرن في أمرهن فوجدن
أصوب الآراء تفريغ الدار وتقديم الاستتار وفعلن ذلك والحابات على
القلق بائنات على الجوى والأرق فلما وصل الغلام إلى الدار فإذا هي
كالقاع الصفصف لا يلم بها نافخ ضرمة ولا معلق ذمة ولقي جيران
وسأل الجيران فأخبروه بصورة الكتاب وما جنيت من الفضيحة والعاب
فدعا ويله ولعن الكاتب ومن والاه والكتاب ومن أملاه وأخنى في حد
العيال بضياع نكبته ولحيان بحرده وبلغ الخبر السلطان فضحك لحيال

الشار عليه وقال كذا حق مثله ممن يستخدم الشار كانيا ووضع حرمته
بالأمس جانبا فلما حل هو الى الباب يقدم السلطان بتجريده للسياط ناديا له
على ما اغفله من حق النعمة وهتكه من ستر الحشمة فجردها وأخذته
عذبات العذاب فأكثر الضراعة والاستكانة وشكا الذل والمهانة فلما
فلما استوفى التاديب حقه دون أن يبلغ التلف منتهاه والعقاب أمده ومداه
امر بانزاله واعتقاله في موضع يصلح لأمثاله وأمر بمواساته والتوسيع
عليه في اقواته من حيث لا يشعر بأذنه فيه وفيما يلجئه له من الترفيه
كرما سرى في تضاعيف مزاجه ولا الخمر في عروق البشر او الماء في عروق
الشجر والشمس شعاعه بعد ما كان خطيا عنده فرد عليه وأعيد بعضها
بطلحة اليه فأما أبو منصور المقيم بهراة فاذن له في ورود الباب والوجه
بعض الإيجاب وابتاع منها السلطان خاص ضياعها بالغرض حلالها
عن عقدة الشبهة واستضافه اياها الى جملة ضياعه الملكية
وأمر لها بأثمان ما ابتاعه تغذ إصابته لها عن مس الفاقة وذل الحاجة
ورفرف الشيخ الجليل على أبي نصر بجناح الاكرام والرعاية حتى
اتاه الداعي وقام به الناعي وذلك في سنة ست ... وأربع مائة

ذكر وقعة نارين قد كان السلطان يمين الدولة

لما استقصى نواحي الهند الى حيث لم يبلغه في الاسلام راية ولم يتل به قط
سورة أو آية فرحض عنها ادناس الشرك وشرع دونها اغباش الكفر
وبنى بها مساجد يقوم فيها دعاة الله بالأذان الذي هو شعار الإيمان
رأى أن يطوي تلك الديار الى واسطة الهند منتقما ممن يجحد توحيده
ويضع لعبادة الانداد من دونه تعالى جده ووريه محكما فيه سيوفا
طبعت على عز الاسلام وسقيت بماء الايمان وصينت في قراب نصر الله
وانتضيت بأيدي الأخيار الأبرار من أولياء الله فندب الرجال وفرق الأموال
واخلص النية واستنصر الواحد المعبود ونهض في الطم والرم والليل المدلهم
وذلك في سنة أربع وأربع مائة وسار في اخريات الخريف ثقة بطيب الهواء
من جانب الجنوب فاتفق بعد افتتاحه تلك الديار ان سقط ثلوج لم تعهد
قبلها فسدت مخارق تلك الجبال وسوت بين الأباطح والتلال وكلحت وجه
الهواء كلوحا أثر في الحوافر والأخفاف فضلا عن المحاسن والاطراف
وضلت مهايع الطرق فلم يعرف الميامن من المياسر ولا المقادم من المآخر
واضطرت الحال الى الانعطاف الى ان يأذن تلك الشتاء بانصراف وتحلل

شيء جد مجدود وامد من المقدور ممدود واقبل السلطان على استيناف
العدة والعتاد واستكمال الميرة والازواد واستدعاء اعيان العباد من
اطراف البلاد حتى اذا تمت العدة والعديد وباهى العقد بجوانه الفريد
وتضام الناس كقزع الخريف من كل وجه منشورا وعن كل اوب محثوثا
محشوا واقبل الخريف بطيب المقيل واعتدل برد الغداة والاصيل
استخار الله في الرحيل وسار كالبحر الاخضر بضربه الاعاصير والامر الحتم
يجيبه المقادير فغدت وحوش الارض مانوسه وطير الجو مقهورة ولو احست
الارض لرنت من ثقل الحديد والمشي الوئيد وحث الابطال فوق القب القياديد
وساق امامه الادلاء يهتدون اعماق تلك البلاد ولا الشمس عليها طالعة
والنجوم فيها مستقيمة وراجعة وحث الركائب تهوي بين انهار عميقة
الاغوار بعيدة ما بين الاقطار وبواد يضل في ارجائها اسراب اليعافير ويحار
في دهنائها افواج العصافير حتى اذا قارب المقصد عبى الخيول كتائب
وميزها عصائب وقسمها مناسر ومقانب ونصب اخاه نصر بن ناصر الدين
في الميمنة في كماة القواد وحماة الافراد وارسلان الجاذب والي طوس
في الميسرة في ابطالهم الذكور والبزل الفحول وجعل ابا عبد الله محمد بن ابرهيم

الطائي على المقدمة في مساعير العرب احلاس الظهور وابناء الصوارم
الذكور وثبت في القلب مع الحاجب التونتاش وسائر خواصه وغلمان
داره رجالا اذا اصطفوا فكالجبال الشواهق او زحفوا فالسيول الدوافق
وندر بهم عدو الله ملك الهند ففزع من فاجئ الفزع الى من حوله من كالوته
واعيان جيوشه وناصريه ولجا الى شعب جبل الحج المدخل خشن المتوغل
صعب المرتقى والمتوقل مستعصما بالاحجار عن البروز باختيار من
وقع الباس وسد منفذ الجبلين بفيلة يراها الرائي هضابا نابتة
وجبالا ثابتة وبث النيران في اقطار مهلكته يستنهض من عمه الحجر
نضالا عمن يلقم القوس وترا ويحسن بالسيف اثرا وما في طول المطاولة كي
يلتقي بقوة وافية وعدة متوافية او يلجئ اولياء الله الى الخلال من فرط
الاملال او النفور من ضيق الصدور ولم يعلم ان الله من وراء المومنين وان
الله موهن كيد الكافرين ولما علم السلطان من نيته في ارخاء القتال
ولجا بين الحلف الى عدو الله بقلوب قد صقلها التوحيد وبشرها
ونشرها الوعد وانذرها الوعيد ورماهم بالصلبة من رجاله الدلم ومن
الشياطين من الافغانية المطاعين بالكالجبال مطوحة بالنفوس

مثله للاعين للنشوش او الليوث اخرجها الجوع واعياها الى اشبالها
الرجوع ينفذون في الاسداد نفوذ المثاقب في العيدان او البيارم في
الحيطان ويفرعون البواذخ كالوعول وينزلون عنها تنحدر السيول ووصلها
عليهم اياما تباعا تنخذهم بصدق البران الى البران تجذب لنار المسليط
والمغناطيس للحديد فكلما فارقوا ملك المضايق لتنقطهم الفرسان كما
تلتقط الافراس نادق ولم يزل هذا دأبهم الى ان انضم الى العين اكثر من
والاه ولياه معظم من دعاه وعند ذلك احتشد للبروز مستند الى الجبل
ومن حوله الافيال كالتلال فحبذ المصاع واحتد القراع وحمي الوطيس واشتوى
المرؤس والرئيس وصار النفلاح فمن اخذ بالتلابيب ومنافر كاليعاقيب
ومضارب ما بين الرؤس الى العراقيب وكلها اشبلت القبيلة للنهوب
والتفخيم والحطم بالاظلاف والخراطيم مطرقها سحايب الرايات ملتوية
كالاراقم منسابة الى حدق العيون وثغر الحلاقم وراى الكافر موضع
ابي عبد الله محمد بن ابرهيم الطابي من العناء وضراوته باسالة الدما فانتحاه
بالحسن من نحى حملته شوكة واعظمهم شكة حتى تخوضها على الهام
وحطها من خلف وقدام وهو كالجرون تاينة لا يمل تشرف منظمه

ولم يكل دون الضرب بجنابة منتسبا بالروح في نصرة الدين وطاعة
رب العالمين وراى السلطان اغا آل الكفر غلبة فامده بالموالية من خواصه
لاستخلاصه فاستنقذوه الى السلطان ممشوقا بالسيوف منقوطا
بالاسنة كالحروف فامر له بفيل يستريح الى سعته عن الم الجراح
بجوارحه فصار ملكا بمنبريه عن اعيان اهل عسكره ولم تزل الحرب على
حالها حتى هبت الله ريح النصرة لاوليائه وادار داير السوء على اعدائه
فاخذتهم سيوف الحق تحتهم بين كل مصادم ومنعطف وادوم متداخل
ومغاير ومعتسف ومنار وملكت عليهم القبلة التي اعدوها حصونا
واقية فصارت عليهم عبا فيه باقية وافا الله على السلطان واوليائه غنايم
رخصته الصدور عن غل الحسد لاشتراك الكافة في الغني المقصود
واستواهم في كفاية الموجود وفتح الله ما بين فتح خاطر زينة شعار
الاسلام اذ لم يبلغه راية الحق من لدن عهد النبي صلى الله عليه الى زمان
السلطان عن اكتب الله على يده وصنعا اتاح له التوفيق والتيسير
من غنيه ووجد في بيت عظيم حجر منقور ادلت كتابته على انه مبني منذ
اربعين الف سنة وقضى السلطان منها ومن جهل القوم عجبا اذ كان

أهل الشريعة الغرّاء والحق المنزل من السماء على أنّ مدة الدنيا سبعة ألف
سنة وأنا منها في الألف الأخير وكل ما نشأ ندف به الأخبار من أمارات
الساعة موجود وبأبصار العيون وبصائر القلوب مشهود واستشفي
فنطعيان العلماء وكل أجمع على أفكار ذلك المنقول وعلى تزييف مثلها
من شهادات الصحف وعاد السلطان وآه بتلك الغنائم العظيمة وكاد
عدد الأرقاء من العبيد والإماء يزيد على عدد الدهماء ورخصت فيهم
المماليك فصارت أصحاب المهن الكاملة فضلاً عمن فوقهم من السوقة
يعتفرون من تلك الرقة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقد أعز به الدين
وأذل الإلحاد والملحدين والحمد لله رب العالمين ذكر وقعة نابشر
قد كان نهى إلى السلطان أن ناحية نابشر قبلة من جنس قبلة الصلبان
الموصوفة في الحرب وأن صاحبها غالبها في الكفر والجحود وغير آجهد
في الطغيان والعنود وأنه محتاج إلى ذوقه من كاسة وحرقة من
جمرات باسه ليعلم أن عز الإسلام عام وأن له من سطوة الله سهاماً كما
لسائر أفناء الهند منها سهام فعزم السلطان على غزوه ليرفع بها راية
الإسلام ويتبع ولاية الأصنام ويدع الكفر عليها مجبوب الغارب والسنام

وسار في أولياء الله الذين نشأوا على القراع نشأ الأطفال على الرضاع
وضروا بدماء الكفار ضراوة الصقور ببغاث الأطيار وقطع إلى المذكور
أودية لم يقطعها من طائر أو حيوان عابر وخاض في سباسب لم يطأها
نعل ماش ولا نعل حافر وجهدهم في تلك القفار علالات الشفاة وبلال
الأفواه فضلاً عن سائر الأقوات حتى صنع الله لهم بأن نادوا منها إلى فضاء
يفضي إلى ناحية المقصود ودونه نهر صخّاب أرضه طرائب وصفاح
كظبى السيوف حداد يلقى شاطئيه شعب جبل قد اسند إليه الكافر
مستظهراً بقبوله ومتحصناً بأفناء رجاله وخيوله فاحتال السلطان
لقتال عسكره في مجاوزة النهر إلى أعداء الله الكفرة الفجرة حتى عبروا
من طرفيه وشغلوهم بالباس من كلا الجانبين وهاجت الكفاح
بين الفريقين أمر السلطان بحملة على الكفار في مخاضات النهر الهائل
والماء الصخب السائل بعجمهم عن طرف الساحل وتقحمهم تلك الشعاب والمداخل
واشتدت الحرب بالخناجر في الحناجر وبالقواضب في المناكب وأولياء
الله في كل حال الظاهرون والكافرون هم الصاغرون حتى إذا كاد
يعقدهم شباب النهار حمل المسلمون من جميع الجهات حملة أوجرت بهم

لهوات تلك المخارم مضطرين فتخلفوا القبيلة التي كانوا بها مغترين
وتبعها أولياء الله يردون الاعظم فالاعظم منها الى موقف السلطان
فلم يعبهم الماحل به في الهرب او ذاد دون اقتناصه مجال الطلب
وصب من دماء اوليك الانجاس ما لحق به النهر الجاري على طهارته وامتنع
من الشرب على غزارته ولولا ان الليل ستر اثرهم لاستلحم الوبل اكثرهم
صنعا من الله لدين بعث به رسوله المصطفى مظهرا به على الدين كله
ولو كره المشركون فهو على الازدياد الى يوم التناد وانصرف السلطان
باولياء الله غانما موفورا وظاهرا منصورا ومحمودا كاسمه مأجورا
وقد غنم ما يكل عن ذكره انامل التحرير ويضيق عن اثباته ادراج
الضماير وتطايرت البشاير في الآفاق وخفقت عليها اجنحة الغروب
والاشراق والحمد لله رب العالمين على عز الاسلام والمسلمين

ذكر الوزير ابي العباس بن احمد وما انتهت اليه حاله الى

مضي سبكتكين وكان الوزير ابو العباس الفضل بن احمد من
خاصة فائق الملقب كان بعميد الدولة ومن كفاته وثقات اصحابه
وكان على البريد بمرو ايام سالارية السلطان بنيسابور فنمي الى ناصر الدين

سبكتكين خبر قوته وامانته فكتب الى الرضي يستوهبه
لوزارة السلطان وكفاية اعماله وتدبير امور امواله ودن حاله
فاوجب اجابته الى ملتمسه وخوطب بالبدار الى نيسابور على
تقضي مثاله فاعتمده السلطان للوزارة واستكفاه مهمات
الامارة بعد ان كان يرى مقام الشيخ الجليل شمس الكفاة ابي
القسم بن احمد بن الحسن في الكفاية دراية وحسابة واصالة
واصابة وهداية ودراية وحماية وحباية اذ لم يكن
طراوة شبابه من اترابه اغنى منه غناء وامضى مضاء واذكى ذكاه
وادهى دهاء غير ان الامير سبكتكين جنى عليه في ابيه عند
اعتماده لوزارة بست وتدبير اعمالها واموالها جناية سبق السيف
فيها العذل اصفاه استيحاشا من بادرة فعله والمسيء نفور
القلوب عن خبر الاساءة صور وكبر السلطان الاستبداد
على ابيه في اتضاعه حسب ارتضائه واستكفائه وثوق المحبور
من وفائه طاعة له في اختياره واتباعا للفلك دابه تحت
مداره وقضى الله ان يكون ما يليه حتى يعترف خراسان بانه عذيقه

المرجب وحذيله المحكك يتبع ما يفسده الغر بالاستصلاح
ويستدرك ما اجرضته يد الاجتياح ويداوي كل حال بدوائه
ويرد عاير المال الى الجبايه فاجرى الوزير ابو العباس الامور مجاريها
على جمله لم يعرف فيها غير الجبايه والاستدرار وقصد التوفير
دون الاستعمار حتى جبى ما لا عظيما سنين عده اذ كانت خراسان
بعد مكسوعة باغبارها لم تشرف بعد على اللبن ولم تشرع
منها الى السمن فلما اختلبها تنزافا واستنفد ما في ضروعها
اسرافا ومن قبل ما قحل بنتها ومن خصب المراتع وبرد الموارد
والمشارع وضعت له ما في ظهورها من فضول دسمهم وسمحت
بما وراء عظامها من نقي مقتسم حتى صار من فرط الهزال
والعجف كالاهله المحنيه بل الاخله المبريه وتداعى
بالخراب معظم الضياع ووقفت القنى بين القصور والانقطاع ع
وشرد في البلاد اكثر الاكره والزراع فعندها اخذ
الجار بذنب الجار والزم القار سونه الفار حتى عمت البلوى
وعمت الشكوى وشملت نوايب البوس وذهبت حزاب النفوس
وصدمهم شبه القحط بعقبها فصار الغني محسودا والمتوسط

مفقودا والفقير مفقودا وكان امر الله قدرا مقدورا وبقيت
في رقاب اهل خراسان بقايا كل معتد ومتكسر ومماو ومتخاصر لو
اديت الى اخر فقره منها لم تف بعضها فضلا عما جمعته اقلام
الاستيفاء منها فاظهر السلطان تحيرا وتضجرا من تجير الاموال
وتراجع الارتفاعات وطالب الوزير منها بما اقتطعه واتعاه
وضيعه وهو يرجع القول على سبيل الدالة ومن البراءة والا حاله
تهاعضته العتب بعقافه اظهر الاستعفا وجلب الى نفسه البلا
واسلم النفس اختيارا واثر الحبس قرارا وتوسط الملامين السلطان ن
وبينه على ان يجبر بعض المنكسر من خاص ماله مما استغله
طول وزارته من مرافق اعماله فابى ان ينزل عن درهم الا
بعزله وحبسه اتباعا لما يعيه صنيع المتبرم بالعمل المتعض
بالامل المستبسل للبليه المتحكك واختار السلطان عند تمام هم
ذلك الدهقان ابا اسحق محمد بن الحسن وهو اذ ذلك رييس بلخ
لصحابه الديوان واستظاف البقايا على العمال والسكان
واستضافه اليها سنه احدى واربعمايه فانحدر الى هراة وجبى

من الاموال ما درّت اخلافه ولانت على المستمر اعطافه ولم
يلبث الا يسيرا حتى حمل جسمه كسيرا والوزير ابو العباس بعد
في صدر الوزارة والشيخ الجليل ابو القسم يسعى بينه وبين السلطان
على سبيل ~~الوزاره~~ السفارة يروم استصلاحه اياه ليسدّ به
مكانه ويستند الى غرض الاستقامة شأنه وهو يأبى سوى اللجاج
في القا القول عن حدة المزاج حكما من الله لم يسع ردّه وقضاء
سابقا اعيى العالمين صدّه وما زالت هذه حاله لزوما للصدد
على ما به من ضعف القدر الى ان ركب بنفسه الى قلعة غزنة مستروحا
بزعمه الى الاعتقال عما تولاه ومتسمحا بحمله ما حواه واقتناه
فلم نسمع بمثله رجلا يشتهي الحبس اختيارا ويستقبل صرف
الزمان بدارا وغاظ السلطان ما اتاه فاستبدّ له الخط بغرامة
ما جناه على امواله ورعاياه فبذل خطه بمال سادّ ثم لم يزل
يستند الى عرض حال الفاقة وعدم الطاقة ثم استحلفه السلطان
بحياة راسه على ظاهر افلاسه وعلى اغلاق دمه ان وجد له على
الطلب مال مفرقا ومجتمعا ومدفونا ومستودعا وبقي على جملة

بيتا به اولاده مغنى عن الارهاق والتعنت ومصونا عن التحامل
والتلطف الى ان ظهر له على ما ذكر مال عند بعض التجار سلخ ودايعه
فاخذوه وامر بوضع الدهق عليه لاستصفايه واستخراج ما
وقاه بنفسه وذمايه وما بقي من بقية جاهه ومايه واتفق للسلطان
غزوة حالت بينه وبين مشاهدة حاله واستمرا ما يصدّق او
يكذّب من مقاله والدهق يستمر به على الدوم وينال منه يوما
يوم حتى اتاه اجله وحاق به ما كان يستعجله وذلك في سنة
اربع واربعمايه ولما عاد السلطان ورآه وسمع ما ساه وانّ من
المسآه روح مطموسه ونفس بين اطباق الثرى مرموسه لذلك من اثر
المخلوق على الخالق ولم يعتبر بالماضين في الزمن السابق وقد
كان ادرك له ولد في صدر وزارته يعرف بابي القسم محمد بن
الفضل فبرع على ميعة الشباب في وجوه الفضايل والاداب
حتى استطار ذكره واستطال قدره واستفاض نظمه ونثره
فمن شعره قوله في ابيه من قصيده

لقد ابن ابو العباس جودا على جود الربيع لمعتفيه

ففي احدى يديه ممات قوم وفي الاخرى الحياة لمرتجيه
فقد خضعت لك الدنيا وانت فهل مرقى سواه فترتقيه
واقبل نحوك الاقبال حتى غدا بصرا وانت النور فيه
فنور ناظري فرد سعيدا رفيع القدر في عيش رفيه

وله اجبته

ونجيبة قادت الى القوم بنته لينكحها من كان يعشقها قدما
فقام اليها واحد بعد واحد ولم يرد بنا فعلهم لا ولا ذما

وادركته حرفة الادب فاختطفته يد المنية انضر ما كان عودا واثبته عمودا وابهره سعودا واحمده قياما وقعودا وحكى لي بعض اصحابه انه اصبح ذات يوم يروي بيتا يلقنه في المنام وهو

ارى الدنيا وزخرفها ككاس يدور على اناس من اناس
فلا يبقى على احد كما لا يدوم بقاؤها في كف حاس
ساحفظ عهده ما دمت يوما وحفظ العهد من كرم النحاس

ورثاه بعض اهل العصر

يا عين جودي بدمع ساجم على الفتى الحر ابي القسم
قد كاد ان يصدع مني قلبي لولا التسلي بابي القسم

وسلم الله مكان الماضين ابي الحسن علي بن الفضل المعروف بالحجاج بفضل ساطع نوره وعلم جامع سوره وحلم ثابت طوره وجود موكل بانشاء امال الاحرار مصون فتي السن في خصافة الكهول حصان الراي في شجاعة الشبول ادهم الباس في غرة السماحة قدم الحياء في ذلق الفصاحة ندب لاعمال الجوزجان فدرت على ايناس ولايته ونقل الى اعمال نسا فضاقت عن فضفاض كفايته مصون الاعمال صيانة غرضت عما نصيبه ويجبي الاموال شرف ابيه ويميت بدع الرسوم اماتته ذكر اباديه

يسمو الرجال باباء وآونة يسمو الرجال بابناء ويزدان
كم من اب قد علا بابن ذوي شرف كما علا برسول الله عدنان

ذكر وزارة الشيخ
الجليل ابي القسم احمد بن الحسن

قد كان الشيخ الجليل ابو القسم يلي ديوان الرسائل للسلطان

ايام سامانيه بخراسان وهو الكريم نسبا العظيم حسبا العريق
مجدا الوثيق رايا ورويه تنادي عليه اقطار الارض بفصاحه
القلم وسماحه الشيم ونفاسه الهمم واحتقار الدينار والدرهم
ودرجه رفاوه للسلطان على تصاريف الاحوال الى ان ولاه عرض
عساكره في اقطار ممالكه وزاده اعمال بست والرخج وما والاها
باموالها وارتفاعاتها علاوه على ما ولاه فقام بجميع ما تولاه قيام
من وفقه الله وجد اهليه جوده بنى الامال من اطراف البلاد
فوسعهم جداه وغمرهم نداه وبث لهم امانا من الفقر يداه فاما
مروته فاليومين بالمعجزه الصادقه الصادعه منها الامن
شاهدها عيانا واستفتى عدول الحساسه عليها سبرا وامتحانا
وكان الوزير ابو العباس لا يصدر الا عن رايه ولا يحتشم غيره
في تصاريف عزماته وانهائه لفخامه شانه ومكانته المعهوده
من سلطانه ووساطته بينهما في معظم ما يرخيه ويجبه ويقفيه
ويذره ويأتيه ويقدمه ويؤخره ولما وهت عليه قوه
امره وانكسرت سوره خمره واتفق للسلطان ان يرحل نحو نارين

في الغزوه التي تقدم ذكرها استخلف الشيخ الوزير على مهمات
بابه وامداد صاحب الديوان فيما يليه ومجيبه بصواب رايه
وبعثه على مواصله الحول عن فرط جده وغنائه فهو متسم
بالوزاره غير متسم بها الى ان اتفق للسلطان استدعا صاحب الديوان
في عمال خراسان لرفع الحسبانات وتقرير المعاملات فنهض اليه كل
رئيس ومرؤوس وشريف ومشروف ومستعمل ومعزول وسمين
ومهزول قد اتخذوا الطمع والعصر حراما ووضعوا الارواح على
الراح توكلا واستسلاما ووافق وصولهم ركضه عزمها السلطان
الى الهند فسبب عليهم لاذناب عسكره ما رآه ووكل باستخراجه في
مده يومين لاهتمام الركض وضيق رقعه الوقت فعصبوا عصب
السلم وسلخوا سلخ الغنم واقيموا على جمر الضرم ونكسوا على
الهام والقمم حتى اعتصروها منهم عن ضغائن اللحم
والدم وعندها صب السلطان على الشيخ الجليل خلعه
الوزاره وفوض اليه مهمات الاماره وامره بمحاسبات العمال
ومطالبتهم بما صار في ذممهم من الاموال محكما في الحل والعقد

مخيّراً بين الأخذ والردّ وسار السلطان نحو مقصده
وأقبل الشيخ الجليل على ما جعل بصدده يهذّب الأمور
وينظم المنثور ويوظّف الأموال ويصرّف العمّال ورد صاحب
الديوان ابا اسحق على جملته الى خراسان مستوفيا عليهم ما يلزمهم
من حاصل وباق وعتيق وناضّ وقعد في الدست كالبدر
المنير والسيف الشهير منفرداً بالتدبير محتشداً لروعة
الملك وهيبة التشرير فلما اتفق عود السلطان الى قرارة
عزّه وشاهد الأمور في كنف وزارته منظومة العقود مضبوطة
الحدود والأموال وافرة الريوع حافلة الضروع رسم له
بأن ينحدر الى خراسان مستنطقاً ما وهى ووهن صاحب الديوان
في جباياته واستيفائه وقصر او قصّر بين صحته وامترائه فانحدر
الى هراة وهيبته تأخذ النفوس بخنقها وتختلج القلوب
عن معلّقها وكاد ينطق له كل مال مخزون ويلفظ
اليه كل درهم مدفون فجمع عن سماح النفوس بجملته واستدرّ
على ممانعته ما لم يسمع بمثله ما لا محمولاً من خراسان

اذهاباً واوراقاً وعصباً دفاقاً وغلماناً رشاقاً وافراساً عتاقاً
وتلاقت الرفايع على صاحب الديوان بما نال من صنوف المنافع
ووجوه المطامع فسامه السلطان تصحيحها تسبيباً وحملاً الى
بيت المال قريباً فاعتزل العمل ونزل عن كل ما حصل وفرغ من
بعد الخاصّ املاكه وضياعه ومواشيه ودوابّه وتجمّله
واثاثه حتى حليّ اناثه فحلّ ما اعتقده منها على مال مصادرته
وما جمع عليه من بقايا عمله وكان الوزير ابو العباس قليل
البضاعة في الصناعة لم يعن بها في سالف الايام ولم يروّض
بنانه بخدمة الأقلام فاستقلت المخاطبات مدة ايامه
الفارسية حتى كسدت سوق البيان وبارت بضاعة الادب
والاحسان واستوت درجات العجزة بالكفاة والنقي الفا ضل
والمفضول على خطّ الموازاة فلما سعدت الوزارة بالشيخ الجليل
اسعده الله بجدود الافاضل ورفع الوية الكتّاب وعمر افنية
الاداب بحزم على اوشحه دوانه ان تنكبوا الفارسية الا
عن ضرورة من جهل من كتب اليه وعجزه عن فهم ما تعرّب به

عليه وطارت توقيعاته في البلاد ولا شوارد الامثال
وابيات المعاني من القصائد الطوال ففي كل نادٍ ندا بالحانها وفي
كل مشهد شهادة باستحسانها فاما الشعر فقد نشر عليه ملحوده
وسعد بجدوده وفتق بالعذب الروا صيخوده فاربابه كالعنادب
تغريدًا بمناقبه والقماري تسجيعًا على الضرب المادي من ضرائبه
فهو بعدله في الناس غياث ورحمه وبفضله لاهل الفضل
ثمال وعصمه وانفرد بتدبير البلاد والعباد بناءً على الاساس
وحلبًا على الابساس والخافة على الامان ومكافاة بالاساءة والاحسان
وأسوًا لجراح القلوب بمراهم الترغيب وانكالًا بمعروف العمارة
سابق التجريب واشفاقًا على السلطان في امور مملكته بما يفيده
عاجل للتوفير وآجل الثواب الغزير لاجرم انه استتبت الامور
بعنايته وانسدت الثغور برايه وكذا لمن دان على العلم ارادة
واصداره وعلى البصيرة ارجاوه وبدانه :.

ذكر شمس المعالي قابوس بن وشمكير

وما ختم به لحلته وانتصاب ذلك المعالي ابنه منصبه

فكان ذلك الامير على اخص حصن المناقب والراي البصير بالعواقب
والمجد المنيف على النجم الثاقب من السياسة لا يستساغ كاسه ولا يومن
بحال سطوته وباسه تقابل زلة القدم باراقة الدم ولا يعرف في
ادنى درجات العثار وان لم يقصد اليه مراد ولم يشترك في كسبه اعتقاد
غير جر الانتقام بحد الحسام والتعليق عن مركب الهام لا يذكر
العفو عند الغضب ولا يعرف معنى السوط والخشب ولا يرى الجبن الا
ما بين الصفائح والترب وهل على خشونة هذا المتن وصعوبة هذا
البطش فيا من حاشيته لو استبقاهم على حقنه احرامهم لكان اشبه
بالجلالة والبق بالاصابة والعدالة فما زالت هذه حاله حتى انقلبت
القلوب عنه واستوحشت النفوس منه ومالت عنه الاهواء المايلة
اليه اذ كان لا يامن العثرة ولا يملك العصمة ومتى كان العقاب ملحقًا
بالخطا اليسير صارت النفوس مجتاحة والارواح مستباحة والمرء
من البشر لا من ورق الشجر فهو اذا مات فقد فات وليس مما يعود
بعد ملعوى العود وانفق ان حاجبًا لشكان يعرف بنعيم الحاجب
وهو احد الاكابر كان فيه حد وجنى عدم الغايلة بسليم الناجية

من رفقاء الحاشية وكان لعنهم لضبط استراباذ فوقع عليه انه طمع في
بعض غاباتها في نهار او مال الى الانتفاع منه بمال فامر بقتله وتعليقه
عن خبط رقبته وهو يستغيث مفصحا ببراءة ساحته ونقاء جيبه
وراحته فزاد قتله في اتغار الصدور واضغان القلوب وتوامر عند
ذلك اعيان العسكر على خلعه ونزع اليدين عن طاعته وكفاية النفوس
شغلها بسفك دمائه وخشونة سياسته ووافقهم الذين بيده منهم
غيبته عن جرجان الى المعسكر بجاشك استبداله هواءها عن نفح الحرور
عند طلوع الشعرى العبور فعمي عليه وجه الصواب وشذ عنه علم ملك
المشؤوم فلم يرعه ذات ليلة غير زحام العسكر بباب القلعة التي اعتصم بها
وانتهابهم امواله وافراسه وبغاله ومرامهم فتنه واستنزاله فهو في
وجوههم من كانوا نزولا بفنائه محاسبين من وراءه حتى انكشفوا عنه
صاغرين وولوا على اعقابهم داخرين ومالوا على جرجان فتملكوها
عليه معلنين بشعار العصيان لا يسترعان الكفران وبعثوا الى
منوجهر بن قابوس وهو بطبرستان يستحثونه على الورود
لعقد البيعة له وزفاف الملك اليه فطار اليهم بقوادم العقاب استعظاما

للحادث بابيه واكبارا لما نقم من النكبة فبسطها في تدارك الخطب
وتلافيه فلما دنا منهم مضربه تواقفوا على طاعته ان خلع اباه وابتز
رداء الملك اباه فلم يجد في عاجل الحال غير المداراة ضبطا لما انتشر
ورشا على ما استعر وصونا لستر الحشمة عن الانخراق واشفاقا على سكر
الفساد من الانشقاق وعلى الملك من التخبط والانتزاع وقد كان شمس المعالي
لما سمع بنبا القوم واجتماع كلمتهم على الخلع عطف ومن معه
من رجاله ومال الى ناحية بسطام ناظرا لما يسفر عنه عاقبة التجرب
وبنهي اليه تابير التقلب والتوثب فلما انتما معوا نسابة استكرهوا
منوجهر على قصده وان علجه عن مكانه اوروده فسار معهم اليه
مضطرا او دافعا بالشر شر الجهل لا نف انقيد انقياد والا نسخ على
صخرة استناخ فلما وصل اليه اذن له دون من يليه من اتباعه
وحواشيه اذ قام دونه من خاصته رجال يرون الموت شهدا
دون خذلانه والروع وقفا على شكر احسانه فلما وصل
اليه كفر طاعة وخضوعا واسال الاودية الشؤون دموعا
وتشاكيا صروف الحال وتذاكرا حقي الموروث والوارث وعرض

الامير منوجهر ان لو نجحا باسنه من اعاديه وان ذهبت نفسه
فيه ورأى شمس المعالي ان العارض قصار امره وختام عمره وانه احق
بوراثة ملكه وولاية الامر من بعده وسلّم اليه خاتم الملك من يده واستوصاه
الخير به ما دام في فسحة من امده وتواضعا على ان ينتقل هو الى قلعة
جناشك منفرغا للعبادة الى ان يأتيه يقينه فيسلم له نفسه ودينه
وان ينفرد منوجهر بتقرير الملك فريا وتدبيرا وتقديما وتاخيرا
ووقعت اليه عمارته على هذه الجملة فانتقل الى القلعة لتكون معمورة
بخدمته ومعونته على ضرورة مصلحته وعطف الامير منوجهر الى جرجان
فولي القصد بضبط الامور واخذ بأيدي القوم ترغيبا وتطميعا
وتمنيهم الاحسان اليهم جميعا وهم على جملة النفور خيفة الثبور ما دام شمس
المعالي في فسحة البقا وزمرة الاحياء ومان الوافي لحبال الغدر حتى فرغوا من
امره وتلوا اذا عموا من عاديه شيء ولم يصوبه وهو في صوان الاموات
حتى كشفوا عن محياه رداءه فطابوا نفوسا حين عدموا شمس المعالي
قابوسا ولقد في معتسر كان بناها لنفسه بظاهر جرجان
على سمت خراسان وعند الناس في معناه ما قال المستهل

نشنّ انّا لنار بعدك او قدت واستتب بعدك ابا كليب المجلس
وتكلموا في امر كل عظيمة لو كنت شاهدهم بها لم ينبسوا
وعقد منوجهر الماتم ملتما اماما على رسم الجيل في حسر الرؤس وضرب النفوس
ورفض المنام وهجر الطعام ولما قضى امام المعزى نسي المفقود واستونف
في البيعة السرور هو كان لم يكن من الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر
ولما سمع القادر بالله امير المؤمنين بخبر شمس المعالي واستيثار قضا
الله به خاطب الامير منوجهر معزيا ومسليا ولقبه بفلك المعالي مشرفا ومحليا
وعزم الله له على الصواب في اختياره والرشد في ايثاره ففزع الى السلطان
يمين الدولة وامين الملة معتصما بحبله معتصما بظله مستظهرا بطاعته
مستبصرا في متابعته مستشعرا داعيا بتمثيل افيا وهل المصاب نفوه
اشباله ورعايته وانهض عدة من ثقاة اصحابه بما رسموه ونفائس
مذخوره ومنابل على صدق الاخلاص وصفو المخاص منصوره فصادف ما
رجاه رغبة في موالاته وحرصا على تقمص رضاته وترددت السفراء على
ثباته بهذه الحال وتوكيد عقد الوصال واحتكم السلطان عليه في اقامة الخطبة
على منابر ولايته امتحانا للصدوقة عقده في موالاته وانهض اليه طمعا الحين

ثم إن احتفاته بما رأى من نفائس خلعه وكرامته فصادف منه قربا
نجيبا وسميعا مطيعا وأمر بإقامة الدعوة باسمه على منابر جرجان
وطبرستان وقومس والدامغان والنزول في السنة خمسين ألف دينار
أتاوة وعلى على الطاعة والإخلاص علاوة واستدعى السلطان
على تفيئة ذلك وقد عزم غزو نارين نجاد حشمه بطائفة من الجيل والديلم
يحسنون حروب المضايق ويغنون عنا الكماة الأبطال فسرب إليه ألفي
رجل من ظهر الجيلين أنذروا الوعور فوعولا وقصدوا السهول
فسيولا وقد أمر بإزاحة عللهم في أعطياتهم ونصب لهم من نفقتهم أوجباتهم
ويطلق لهم مدة الحاجة إلى غنائهم واجب أرزاقهم واستحقاقهم
ولما استحق السلطان يمين الدولة بآثاره في الغرض مزيد الرتبة ومسابقته
في الطاعة قضاء الحاجة أنهض من جرجان أبا سعد محمد بن منصور النسوي
المقدم فضلا وأدبا المحتشم حسبا ونسبا لاقتضاء حبال الوصلة
بقوم الكفاة بخطبتها والطلعة باستيجابها له فنهض بحضارة
الأدب بهديه وكفالة الرفق بما بيده وبأتيه ولم يزل يهاني الأمر من بابه
ويستطلع الرأي من حجابه حتى نجحت فروته السلطان لما استدعاه

وأوجب الإسعاف بما انتحاه ولما انكفأ الفاضل أبو سعد وراءه بصنوف
الإيجاب وما صادفه من هذه المجد للأطلاب جشمه الأمير فلك المعالي
معاودة الحضرة مع القاضي بجرجان وهو شيخ العلم وروايته الحديث
وضيع الخلاف التدرب والتجربة لتنجز النجاح وتأريب عقدة النكاح فنهضا
إلى الحضرة السلطانية يمينية الدولة مقتبسين بسم الخدمة وخطيبين ضم الشذى
والتحية فرأى السلطان تحقيق مدول العدة وعصيان سلطان النفس طاعة
لرب العزة وقلد الأمير فلك المعالي قلادة مكنة وشح لصباه زهرة الغراء
من نجوم وله أي نجم كان في فلك المعالي مداره ولم يتعد دارة إلى مدار النجوم
الأفلاك فأروح المدحات المملك وجرى من الاستبشار بانعقاد النفوس والديار
وصب النثار وصوب المبار الغيوث الغزيرة ما أرخ بتكابيد الدهر ووسم بكرم
شانئه العصر وعاد الرسول بدرك النجح الموفق والسعد المقترن
في الحوف وعندها كلف الأمير فلك المعالي حرمة القربى بحملها من بين
النجوم الأسنى من أهلي الخلاف أصنافه وأغرب بفنونه وأفوقه إن له
همة إلى قمة الجوزاء مرفوعة ونية على صدق الولاء مطبوعة ولم يبق
أحد ممن كان للدولة حواشيها والتغير حول أمر عيبها من لم يضرب

بينهم من مهام اللطف ولم يستنزل لحل الرأي المعقود بالشرف لاجرم أن
السلطان عرف حرمة قرباه وجزاه عما سمحت به يمناه وافرد كلمته من
فواد جيوشه وافراد رجاله بخلع علمت اجانب الملوك انه شريطة الجود
والسماحة بالموجود وتقضي المجد بعقول الرأي دون المجهود فاما صاحب
درة الصدف وياقوتة الشرف فلطال عهد الدهر بمثله مجموعا في مكان
محمولا من خراسان ولا غرو فالشمس تغني البدر نورا والبحر يمد الخليج مسجورا
وقد كان الامير شمس المعالي بعد ان استتب له امره واشتد بمظاهرة السلطان
ظهره دسّ على الغبان عسكر المشركين من حرم ابيه فصدع ذات بينهم بوجوه
الحيل وانواع العلل حتى ادحض اقدامهم وسقى طين الارض دماءهم وحش جماجم
وهو الصريع لعاقبة المساق بالداهية الدهياء فاستلها من بين سمع
الارض وبصرها باباه الرعاع والاباطح ولفظ القيعان الصحاح فمنهم من
جانب القرار طلبته هامة الماضي بالثار فهام على وجهه ولا يقف
تقنف بين تشريق وتغريب وتصعيد وتصويب وكان من آثار ذلك البشر
على شمس المعالي على ما استاذنت الاخبار به ابو القسم الجعدي وكان صاحب
جيشه فلحقه الحد الذي كان على قفا نري حله صيحة عليه وكل حسير

بهم افواه جنبيه فامهله الامير شمس المعالي زمانا حتى ظن انه دون شؤون
الاعز شانا ثم اطباه بتطميعه وترغيبه حتى اعلقه حبالة الاقتناص
وايسه من الطمع في الخلاص وان لله حكما في امور عباده معلقا بآماد معلومة
وغايات محدودة فليس قبلها مستقدم لما تأجل ولا بعدها مستأخر
لما تعجل فاحتال ابو القسم حتى تسللها بآبق عنقه للبعد جانبا ثم جانبا
على حالة واجتنابه حتى ورد نيسابور بظن وبعض الظن اثم ان انقطاعه
الى السلطان يمين الدولة على تعاده واطله وان تهاته بتالف فعله وقابله
معا انه تمهد في ذات البين من عقود وتاكد من عهود واشتمل عليه من
طارف ومتلود بحله عليه عقال اثامه ويكف عنه ما حق عليه من باس
الله وانتقامه كلا ان سوء الفعل مخذول والقاتل لا محالة مقتول وشر
المحن ما منع الخلاص قبل ابانه واستيفاء مدة النصح على احسانه
انه البوهم لنكال ثم بعقب الحلال كالهرة تطعم الفار حتى اذا كانت
منها على خلوة الحقتها بعدوه لا جرم ان السلطان لما انهى اليه صورة حالة
ومن قبل ما سمع بسوء فعاله امر برده في عقاله ولقد احسن ابن الرومي
في قاله م

الخير مصنوع بصاحبه فبني فعل الخير اعقبكا

الله

ومار

والشر مفعول بفاعله فمن يعلق الشر يعطبا

ذكر دارا بن شمس المعالي قابوس

وقد كان دارا بن قابوس بعد استيحاشه من صاحب الجيش أبي علي محمد بن سيمجور
إلى الأمير نوح بن منصور الرضي منيباً على خدمته شبهاً في جملته إلى أن فتح
الله على يده جرجان وطبرستان فانحاز إليه مستغنياً بخدمته عن خدمة
غيره وصادف من الإقبال والاقتبال بما اقتضاه حكم الأبوة والبنوة ثم جذبه
شمس المعالي إلى طبرستان فأقام بها سداً دون مخالفيه وزماماً على أوليائه
ومعامليه واستنهضه منها على فريقة القبالة فأتاه وهو باستراباذ
بره صحة أدبه واستوحشته بقدمه فأحسن استقباله
وأنزله ثم دعاه في وقت نائبه فركب على قصد مجلسه ثم عطف عطفة
الليث الحاذر نحو خراسان بين عساكر تشكو الأرض بينها صنوف المجال والمضطرب
وصعوبة المنساب والمنسرب واستصحب من رافقه ووافقه من غلمانه
وأهل الثقة به فلما عرف شمس المعالي خبره واستدرك لاقتصاصه عسكره
ما قد طابقه الركض وحالت دونه الأرض فلما أفضى إلى خراسان فرفق
الأقسنة عليها عنانها إلى أن ورد حضرة السلطان يمين الدولة وأمين الملة

فقبله أحسن قبول ولقاه حسن تقبل ومفعول وما زال ينعم منصوصاً له
تحويلاً وتفخيماً وتبجيلاً حتى لعبت به فضل الانبساط وعز الانتساب بما هد
قرينه وهدم نخبته فاستوحش من عارض الإعراض وأشفق من رهف
التغير والانقباض فلاذ بظل الليل هارباً وما يطوي الأرض تقريباً
وخبباً وأمر السلطان بطلبه واتباعه في وجه مهربه فلحق [illegible] فأتت
الخيول تعباً ولم تجد السوق مضرباً فمر هو على وجهه ملتجئاً إلى الشار المعروف
بالشاه كال بشنها في أصفى معونة وأصول ود بالوفاء ما يوفى فلما استقر
به المكان وخبر حاله السلطان كتب إليه السلطان فاستنزله وشوقه
إلى أن [illegible] عليه ما بعده فاضطر إلى رده وأسلمه عن يده وبقي في الحبس مدة
يكابد بؤساً وشدة إلى أن وجد فرصة الانفصال عن رق العقال ففارق
معتقله من حيث لم يطمع فيه أحد ولم يكن ليغني عنه لولا المقدور رأي
ولا جلد فأثبت عليه في حجة المحنة أن تم خلاصه وبيّنت لمناصبه
تعثرت عليه حتى أعتق في ثقافه وزيد في [illegible] إلى أن شرح الله صدر السلطان
لإطلاقه فأنشأه نشأة ثانية وأنبت نبتة قادمة وخافية وأعاد
حاله بالإحسان حالية وبقي على بدء الأمر غالية ووجهه لولاية جرجان

وطبرستان معضودا بأبي الحرث أرسلان الجاذب وذوي النجدة من
من حماة الرجال وكماة الأبطال لولا أن الأمير فلك المعالي منوچهر بن شمس تمام الرأي
بإظهار الطاعة وعرض ما وراء الوسع والطاقة وللحالة التي حرمة التقرب
دون الاختيار عليه استدره السلطان إلى حضرته مجرى أركان الدولة
ولضرائر العشرة لا يفارقه في حفلة ولا يزايله في خلوة ولا يبعد عنه في وقت
ركوب ولا ينفرد دونه بصدور ركون وركوب إلى أن ورد الأمير أبو الفوارس بن بها
الدولة حضرة السلطان من كرمان لنقض عسكرها جنبا مستظهرا
به على معاودة مملكته وانتجاع بيته ونعمته فجمعهم ليلة مجلس دارت فيه الكؤوس
وطابت النفوس وجرى حديث السلف والخلف وأعرق من أعرق منهم في الشرف
فطودا لها لو سكت عنه لكان أشبه بحق الخدمة وحلم الحشمة ووقف
الاجتماع على ضلع العشرة وحملة نمر له ركان عليه في قصد المرادة
وركوب المخافة حتى أدى به الأمر إلى نعلجه عن مكانه واستجابة
بعض المدل على السلطان وأمر به في غد فرد إلى القلعة حمل إلى
بعض القلاع وقبض على ضيعته فأجريت مجرى الجوز بأن تستغل سنوه
سائرها إلى أن سأل الشيخ الوزير في بابه فأمر برده عليه معونة له على

مصلحة حاله ومؤونة اعتقاله وذلك في المحرم سنة تسع
وأربعمائة

ذكر مجد الدولة أبي طالب رستم بن فخر الدولة

وقد كان فخر الدولة كتب إلى حسام الدولة أبي العباس تاش وهو
بجرجان منحدرا إليها عن خراسان على لسان الصاحب يبشره بولادته
ولحوق الله إياه في الصنع على كرم عادته وكان مما كتب به وقد
رزقني الله ولدا سميته أبا طالب طلبا للسلامة في بقائه وتيمنه
بسنة الأنعم لا سيما انتصابه وارتفاعه فلما احتضر عنه المنية بايع الناس
مجد الدولة إلا أنه لين فأمنت عنه كانت أخته الأصبهبذ فقلدهم
وسائر مملكة الجبل وهي في منعة من أهلها وعزة من جانب
أرضها فتملكت على البلد واستأثرت بالأمر والنهي والحل والعقد
وعرفت بينه وبينها مكاوحات تأدت بها إلى الاستنهاض ببدر
بن حسنويه إليها واتكالا للرأي عليه وجرت بينهم مناقشات
أفضت بأهل البلد أولا وبأهل الرأي ثانيا إلى يوسف وافقه ووحدها
مهرافه وفتن ليس فيها فئة فوافق من وافقه وعن قريب يعود الخلاف

جزعاً وحبل الصلاح منقطعاً فيتفسح عنه بإبادة الرجال واستصفاء
الأموال وشرود الصلحاء في البلاد وضراوة السفهاء بالإفساد
فلما عرض مجد الدولة بالأمر وبما ينفتح على القوم من شر النفس
آثار البر في الاعتزال على سمة الإمارة وجملة الاعتراف له بالطاعة
على العقوق المفضي لمن تحت ولايته ورعايته إلى خطة الإ
جناك المفضي بهم إلى خطة الاجتياح والاستهلاك فلزم البيت
منفرداً بالكتب والدفاتر وحبيساً وجه العقل بسواد المحابر
وانفرد أخوه شمس الدولة بهمذان وقرميسين وما والاها
إلى حدود بغداد وورث بدر بن حسنويه أموالاً عظيمة طال
ما حفظتها صنوف القلاع مكنوزة وخنقتها بخيوط
الأكياس مختومة فلم يلبث إلا قليلاً حتى استغرقتها صلات الرجال
واستنفدتها حقوق الآمال بشيمة له في التحقق بالفضل والتحرق
في البذل وقد كان ابن فولاذ قد نجم في دولة آل بويه فارتفع
قدره واشتهر صيته وذكره والتف عليه صناديد الديلم وأوباش
الأكراد والعرب فسأل مجد الدولة والكافلة بالتدبير أن ينزلا

له عن قزوين طعمة له وملحمة ليتفرد بولايتها وجبايتها
تمكناً من أكناف دولتهما وطمعاً من طموح حوزتهما فيذب عنهما
بسيفه وسنانه متى دهاهما خطب ودخن على بابهما خطب
وطب فطنا عليه تضييق رقعة الملك وقلة دخل الرجال وأوليا
البيت وبطرهم الغنى فقصد أطراف الري على جملة العصيان
يفسد ويعيث ويقطع دون أهلها سبيل مرتفقهم ويملك عليهما
ما وليا جبايته من قرى وضياع وربايع وارتفاع إلى أن استعان
بالأصبهبذ المقيم بفريم فأتاهما في زحافه من الجبلية أولي
البسالة والبأس وأهل الحمية فناوشوه القراع وصدقوه المصاع
وجرت بينهما دفعات ملاحم استلحمت الفريقين وأصاب ابن فولاذ
أسنانه في ساقه أثخنته فولى فيمن تبعه على سمت الدامغان
فألم بها فضم النشر ورم الرث وعالج المرثث وكتب إلى أبي
المعالي منوجهر بن شمس المعالي يستمده على عسكر الري على أن يقيم له الخطبة
ويلتزم الطاعة ويلتزم الإتاوة فأمده بألفي رجل يوفون نحو
ألف وأفرادهم بأضعاف يرون الشرف فرصاً لمن مانحت

المشرقيات والتدريب حقا على من خلا عن التجارب ووصل
جناحهم بمال فضي حتى انقطاعه اليه واعتماده على ظهر
الثقة عليه ومنع المابرة والمادة وعاد الديلم في ضنكة
من البلاء وضيقة اللأواء حتى اضطر مجد الدولة ومن ولي
التدبير الى الاستنجاد باصبهان فعقد له عليهما وخلى بينه
وبينهما استمالة لقلبه واستعادة من شره فطار في
عند ذلك نعرة الخلاف عن راسه وبرد حرارة العناد من
صدره واقبل بعسكره على رشاد وسداد وبعل الديلم
دون مداد الى فساد وصار في عسكر الامير منوجهر وراسلهم
بذكر صلاح حاله واستغنائه عن رجاله وعطف الى
اصفهان خاطبا لمجد الدولة على منابرها وذلك في سنة تسع
واربعمائة فكان نصر بن الحسن بن فيروزان قد انقطع
الى السلطان يمين الدولة فاقام على حضرته الى ان جعل حاجبه
بباب وخرج من عنده بعسكره فنهض اليهما واقام بها يستغلها ويوفر
عليه دخلها الى ان دعاه مجد الدولة فاعتسف السبيل اليه اشفاقا

من عسكر شمس المعالي قابوس ومكاتبه وعيون رجاله ومرا
فلما وصل اليه عرف له حق قرابته وقوبل بما اقتضاه حكم طاعته
واستجابته فبقي هناك سنين مرجوعا اليه في الراي والتدبير
وموثوقا به في التقديم والتاخير الى ان عثر عنه على ممالاة
لبعض المخالفين فقبض عليه وحبس في قلعة استوناوند
وكان بها محصورا وفي مخلب الامتحان ماسورا حتى عفي عما
جناه ونهد ثانيا الى ما تولاه ووافى بانه خلع الديلم لجام
الهيبة لعدم السياسة وانفرد مجد الدولة في بيته باسمه
وتبسط الديلم فيما شاءوا من غصب وقطع ونهب وكبس ونقب
لا يرتدع منهم احد الا من شغره انتشار المخافة واودع صدره
الرحمة والرافة فانبرى نصر بن الحسن لقطع اولئك الضلال فاوقع
منهم فريقا واوسع في اخرين تفريقا وتمزيقا فلما راى القوم
ما دهاهم في انصرافهم من حضرته واستئصاله تجمعوا على
قصده وقتاله واحاطوا بداره فدافعهم بخاصته مليا ثم انثنى
عنهم منهزما وغادر ملكه في الدار نهبا ومغنما وعاد الى

يضطرب في محنته الى آخر مدته

ذكر بهاء الدولة وما افضى اليه امره

فقد كان بهاء الدولة بعد ان فتح الله على السلطان سجستان
راغبا في موالاته خاطبا للمصافاته موثرا للمكاتبة حريصا على
مقاربته بحكم الجوار الواقع بين الدولتين والصقع الحادث
بين المملكتين ووافق ذلك من السلطان رغبة في مثله
من جهته لشرفه بنفسه وسلفه وما حيز لهما من الجلالة
في الملك والعلاء في سعة الملك وسفر بينهما السفراء على
الجمام بشرى القربة واحصاد قوى المودة حتى خلصت
القلوب ونقيت الجيوب وتاكدت العهود وتجددت العقود
وعندها احب السلطان ان يجعل المصافاة مجاهرة والموالاة
مصاهرة فانهض القاضي ابا عمر البسطامي شيخ الحديث بنيسابور
فارس النيسابورية فضلا والوجيه محلا والامام علما وتحقيقا
والحسام لسانا فصاحة ورايا وتيقظا وصادف من اجلال بهاء
الدولة واكرامه والطاف التلطف عليه في مراعاته ما اقتضته

جلالته من اصدره وعساعده الفذ له في كل ما قلده واقام
عليه متقولا من مجلس الايجاب الى عقود سنن الاكرام ومن مراجعة
الانشاد الى عناق الاكابر غير ان تبعد طلوعه عليه وافق
علة احدثها سوء المزاج بين الفالج والدماغ فاعياه تحرير
المراد على العارض وقد كان فخر الدولة مقيما سعد ادوموق
الوزير في النصيحة ومن اليه الراي والتدبير فخشم القاضي
الى ما قبله لينفذ وقضا فيما يوجبه فالتوى اليه وقد تم
العقد عليه فاتفق مع وصوله الى استينا قضى الله تعالى
بهاء الدولة وانتقاله الى جوار ربه وبايع الناس
ولده الكبير ابا شجاع ولقبه القادر بالله امير المومنين
سلطان الدولة واستنبله طرق الامر واعتدل عليه عمود
الملك وجرى له الطير بالاقبال وحسن الفال والمعاد
القاضي الى ما قبله لم يملك عن ذلك جوابا بغيته وحوارا
يشفيه اذ كان جوابه مسؤولا الى ابيه فصرفه محملا
من رسائله في وراثة الود والوفا بسالف العهد والتنزل

الخلوص بمقاصيه آل حمد معا اقتضاه حكم الاتحاد بغرس الوداد
استثمار الوفا على طول البعاد وقد كان الامير ابا الفوارس
اخو سلطان الدولة مقيما بكرمان فشجر بينهما اختلاف
اقتضى سلطان الدولة تجهيز الجيوش لقصده واستصفاء
تلك النواحي واستخلاصها من يده فمنهم من هو لمقاومتهم وكف
عاديتهم واوقدوا بينهم حربا افنت رجال الكلا وشرها
واختلجت الا نصطعنا وضربا واستمر في الكشفة باصحاب
الامير ابي الفوارس فانقلبوا منهزمين واقبل هو نحو سجستان
يوم حضرة السلطان يمين الدولة مستطيا رجاؤه ومستنهضا
كرمه لرده وراه وقد كان نمى الى السلطان حتى اقباله
فامر ابا منصور نصر بن اسحق النائب عن الامير ابي المظفر
ناصر الدين سبكتكين بخزنه باستقباله وتكلف لوجه من انزاله
واقامة انزاله وانزال من معه من طبقات رجاله وتشى
عنه الف دينار من خالص عين ماله فبلغ ذلك مبلغا شهد
من كان شاهدا باستحسان ان احدا من ملوك هذه الاقاليم

لم يتكلف مثله لاحد من اولاد الملوك ولم يخل ان مثله يبيح
به ثبات البحور ويكشف قطار الصدور وكتب ابو منصور
بذلك لنفسه ذكرا اعتقد بها النجم طفايره وافاض على الشرف
بعضه وعلى العرف سايره ولما وصل الى حضرة السلطان
اوجب فضل حق مقدمه بالاستقبال وتلقى عظم قدره
بالاجلال وحمل لسبعين الذهب والفضة والخيل المسومة
والانعام والانعام بجلايها ثمنا الى قبيل الاكرام ما وقع
عند الخاص والعام موقع الاستعظام ما خلا الهمة التي
الدنيا خارجة عن ملكها شعرة من ابشارها وصوفة من او بارها
وغرفة من بحارها بل قطرة من اقطارها واقام على قرايه
ثلثة اشهر ضيفا لا يتميز عن الادنين حاما ونشيجه وانسانا
قربه حتى اذن بنشاط للانصراف والتمس معونته على طلب
الخلاف اتاح السلطان لما استدعاه فوق رضاه اموالا
اخفت اقلام الكتاب واوهنت انامل الحساب وانهض في
صحبته لنصرته واقامته حاجبه ابا سعيد عبد الرحمن بن

محمد الطائي احد مشايخ بابه وافاضل كتابه في رجال قد تعودوا
النصر مذ خلقوا ان ابنه فلم يعرفوا وجه الانقلاب الا بالانفتال
على الاكفال

تحملت صمنوة اخرى شواكلها من طول ما حملت شيئا على الكفل

وتوجه الامير ابو الفوارس فيهم وفي سائر خاصته نحو كرمان
فجلا عنها من كان وليا عليها بعجزه عن المقاومة وافتضاحه
ان يعرض لمكافحة فملك تلك النواحي ملكة اباها من
قبل واقام بها ابو سعيد الى ان تفرقت تلك الامور ودرت للحجاب
النطول ثم كر وراءه فيمن كانوا يشيمه وتحت قيادته
واتت على ذلك مدة من الزمان يمنع حشمة السلطان يمين
الدولة وحرمة الناهضين من اتباع رايته في امن وتجيين
عنايته ان يقصدهما بوهم خلافا عليه عجلته حتى اذا عاودت
تلك الجيوش عن غزنه وانفرد الامير ابو الفوارس ملتذبه وله
بعد الخصم سرب سلطان الدولة عسكرا ثانيا للموافقة
واستخلاص تلك الناحية من يده فتلاقيا على جرم اثبات
القرون تحكيها لطى الصفاح في مخارج الطلى وتحريها اشباه
الرماح على موارد الكلى حتى تشقق الارض من صبيب الاوراد
وتمغرت من رشاش الاكباد وعندها زلت قدم الامير ابي
الفوارس فولى كسيرا لا يعرف قبيلا ولا دبيرا وانتهى
بها الركض الى همذان حضرة شمس الدولة بن فخر الدولة
فقضى حق القرابة اعظاما لقدره واهتماما لامره وا غشاما
لشكره واستعدادا لنصرته واقام مدة على هذه الجملة
حتى استشعر او اشعر انه معروف ومقصود والى الامير
سلطان الدولة مردود ففرقت الايام من ضربه القاتل
والوحش من كنفه الحابل وفارق مطنته قاصدا قصد
بغداد وسنشرح ان شاء الله من بعد حاله وما انتهى اليه
امره مما كان عليه وقلد

ذكر ايلك وما انتهت اليه حاله

فقد كان ايلك بعد الكشفة التي انجلت عليه بباب بلخ وركب
ظهر جيحون وعاد وراءه يضطرم على نفسه غيظا ما دهاه

وأسفاً على ما أعياه ومما ابتلي بعاقبة طغان خان أخاه ويستنصر
قدرخان على ما أوهن قواه وفوّقه مراده ومعزاه والفته
له معاند والزمان مماكر ومماكل حتى طرحه الكمد على
الفراش وفجعه على قليل بطيب حبوبه فاشبعه التراب
بعد ان جوّعه الحرص والاضطراب همة كانت معلقة
بالاثير محلقة على فلك التدوير على ان بلا التقدير فوق
بلا التدبير وما يصنع المرء بالحاذ او فوق الحس سافله

البيت: وهبه كما يجري لها النجم ما ها ... وليس لها فطن بما ذا يديرها
وقد يمص العصفور كثرة ريشه ... ويسقط اذ لا ريش فيها يسوءها

وكانت وفاته في سنة ثلاث عشرة واربعمائة وفي حركاته طغان
خان فما بال السلطان يمين الدولة وولاه وداهنه وهاداه
متلافيا لما أخلّ به أخوه ومتوددا من جنبه كل الخلاف ذووه
وجاشت من جانب الصين جيوش لقصد طغان خان وبلاد
الاسلام من ديار الترك وسائر ما وراء النهر وعددهم
على ثلاثمائة الف خركاه لم يعهد الاسلام مثلهم على صعيد

واحد ليطفئوا نور الله بافواههم بغياً طال ما ضرع اهله واولا دهم
كما يوهن ما هدى محله من خطط الاسلام حتى اجتمع اليه
من رجال الترك واحرار الغزاة والمطوعة قرابة مائة الف
رجل واستكت اسماع المسلمين من فظاعة ذلك النبا الهائل
والنبا المائل وارتاعت له القلوب والتاعت النفوس
وتناصرت الادعية والتكون وسار طغان خان مستقبلا
من اقبل اليه من جموع الكفرة الفجرة متيقنين مفضين على
الاستقبال واستقبال الآجال وبذل الله نصره وبطه حزبه
تحقيقا لما وعدهم على لسان نبيه محمد صلى الله عليه حيث يقول
انا لننصر رسلنا والذين امنوا معه والتقوا اياما سباعا على
ملاحم لم يبد من فتق العروق وضرب الحلوق وشد الخطط
على الخيول اصوب انواء ام صب دما ولم يروا لم ودع يسوق
اظلم ليالم رهج نزال وفي كل ذلك يتولى الله الصالحين من
عباده بالايد المبين والنصر والتمكين حتى وتفوا بالصبح
المستبين وطلوع النجم مشرق الجبين وتلاقوا يوم منصوص

عليه على فيصل الحرب فتنال الهام بطاقة واداره على الفريقين
دهاقه واما اعدا الله فسكروا سكراً استوجبوا به الجحود
بالجحود البواتك فصبت عليهم من الاسلحة حين الشمس الى
ان حكت سراجاً وكادت تصيب على قمم الرؤوس تاجاً واما
اولياء الله فانتشوا نشوة طربوا معها للضرب فوق الهام وفي العبث
بطلا بع الحمام لا جرم ان الله حماهم ونصرهم واواهم واظفرهم
فعادوا من جماهير الكفار وابهة ما به الف عنان ضحي
على وجه البسيطة عن نفوس موفودة وروؤس منبوذة
وايد على السواعد محذوفة تقوي الضباع بل حملى السباع
والوحوش بجياع وافاء الله على المسلمين ما به الف من غلمانا
كالبدور واللؤلؤ المنثور وحور هي كالحور والبيض
المكنون وسوايم غصت بها اقطار البلاد وضاقت
عنها اطراف الدهناء وشرد الباقون وراهم السيوف تسلهم
سل الانعام وتخطفهم الاسلام اذا واحهم بايدي الحمام وطاير
به البشارات في ديار الاسلام فتصرف لها الوجوه وضحكت

القلوب وعم السرور وتوفر الشكور وتباشر الدول
حتى تفضون وانخفضوا لطفاً من الله تعالى لدينه رضاه
ووعد ان يصل بالتابيد قواه ولم يستطع خان بعد ان فرغ
من هذه الحرب العظيم باسها الشديد بعدما اسها ان استاثر
الله به فنقله الى جواره وبوأ له مبوأ الصديقين من دار
قراره حتماً عليه بالشهادة وختماً له بالسعادة وقرت
مكانه اخوه صنوه في البقية وتلوه في الامور الابية
ثبت المقام في دين الاسلام لا يعرف له جاهلية ولا يتقسم
منه عنجهية وعجرفية يقيم الصلوات جماعة ويقتض
العدل سمعاً وطاعة وعمر الحال التي كانت بين طغان اخيه
والسلطان يمين الدولة طمعاً للمصافاة واستشعاراً
للمواخاة وايثاراً للاشتراك على تصافي الحالات وخطب
السلطان اليه والى اخيه ايلك كريمة لابنه علي ولده مسعود
بن يمين الدولة فاحسنا الاجابة واغتنما القرابة وتردد
السفراء بينهم في ذلك مدة على جملة التمادي ورم الحال

باقتسام الأيادي إلى أن حققتا بحقيقة ونمتا لعقيلة الوثيقة
وانهض السلطان من أحبارهم من نقاب بابه لينقل البنية الكريمة
فجهزت وديعة تشاح عليها ملكان هذا أصدر الملك وذاك
ملك الترك يختص بها الشبل ابن الليث والوبل ابن الغيث والنبات
ابن البحر والصباح ابن الفجر مسعود بن يمين الدولة وأمين الملة
محمود ونقلت إلى الحضرة ببلخ وقد صحبها من فقهاء تلك البلاد
وأعيان رجالها من عدوا أئمة النطق والشرف فأدوا ما تحمله
اللسان واليد علما الحسنا بحال من الجنبين ورفضنا الحشمة
في ذات البين وأمر السلطان أهل بلخ قبيل الوصول بعقد
الآذين وتكلف التجمل والتزيين فبلغوا من ذلك مبلغا
لم يستبق فيه من الوسع مدخور ولا من الرسم متروك
ومسطور فعقد له على هراة سنة ممكنة ومواجهتها
وسيره إليها بعد أن وصله بمال عظيم بعده ذخيرة وسوقا
تجملا وزينة فنهض إليها رشيد السيرة حميد السريرة عادل
الطريقة فاضل الخليقة خليقا بالملك على الحقيقة وذلك في

سنة ثمان وأربعمائة

ذكر الأمير أبي محمد أحمد بن محمد
بن يمين الدولة وأمين الملة

جملة ما يمكن الإفصاح به والإيضاح عنه من حاله
وذكر جلاله قول القائل

إن السري إذا سرى فبنفسه وابن السري إذا سرى أسراهما

قد جمع الله له من الميل إلى خصائص الأدب والسعي لمعالي
الرتب ما دل على أنه ابن أبيه شرفا سمقت على النجوم شرفاته
وكرما تعرفت لأهل الفضائل عرفاته خرج من حضن الكفالة
خروج الأمير من حجرات القبائل والهلال عن تحت الشعاع
المتشابك لم يعرف له طول أيام الإيفاع غير الارتفاع
إلى اليفاع نصرا على كرم الطباع وانتهاضا بأداة الثقافة
والمصاع حتى إذا نشع بياض برد إحالته ولبس خط عذاره
طوق التمائم منه رأى السلطان أن يوفيه حق البنوة وتوفيته
شرط المروءة ويجذب بضبعيه إلى حيث اقتضته الفراسة فيه

ويقبس ... الآمال ... والسماع وبك
الأمل ... بما ... الطماع ...

واستدعته العناية به والى عنايته فوجه كريمة الامير
ابي نصر الفريغوني الى الجوزجان وهي التي تجمع الى الاصالة
جلالة والى الكفاية كفاة والى النعمة همة وعقد له على اعمال
الجوزجان كما عقد للامير الجليل ابي سعيد مسعود على هراة
وهي التي واليهما آل فريغون وهم الذين حلوا في العز فريدون
وفي الهمة المنحون وفي العزلة والسماحة حجون وولى
ابا محمد الحسن بن مهران كفاية اموره فاحياهم سنن العدل
الشامل وعدل في العطف عليهم بين الايامى والارامل فعلقته
قلوب الخاص والعام وكفته النفوس موقونة الاستخدام ولما
راى السلطان جميل اثره ورشيد مخبره ازداد شغفا بامره
وحرصا على اصطناعه وايثاره فلم يخل من جميل انعام
ومزيد حفاوة واكرام وسيأتي خبر الاخوين الجليلين في
موضعه من بعد ان شاء الله تعالى

ذكر التاهرتي الرسول الوارد من مصر

قد كان السلطان يمين الدولة منذ فتح الله عليه العنوان

الهند محبا لسنة ابيه ومقتفيا آثاره ومساعيه باحثا
على طريق النظر وسبيل الجدل عن سنن الاسلام والبدع المعترضة
عليهما في سالف الايام استنصالا منه في الدين واستظهارا له
على قمع الملحدين فقد الكتب وسمع التاويل وتتبع القياس
والتعليل وعرف الناسخ والمنسوخ وخبر الصحيح والموضوع
وتلقن من اصول الدين ما لم يستجمعه في الدين بدعة ولا
كلما خالف ظاهره نكرا وشنعه والقي اليه ان في عمان
الدعايا بخراسان اقواما ينتحلون مذهب الباطن الى صاحب مصر
ظاهره الرفض وباطنه الكفر المحض يتناولون موضوعه
تؤدي الى رفع قواعد الدين ودفع معالم الحق واليقين
وابطال معالم الشرع وتتبع احكام الله بالرفض والنقض فامر
بوضع العيون عليهم والصاق الطلب بهم وعثر على رجل كان
سفيرا بين المذكور وبين اوليائه والملبين لندائه يعرف
القوم بسيماهم واسمائهم فنص على عصابة منهم مختلفي البلاد
والاوطان شخصوا الى الباب ورجموا تحت الصلب بالاحجار

ولم يزل يفعل مثل ذلك باصحابهم ومن كان يجنح اليه ذكرى بالتهام
حتى انتقطهم مجاورة النجم والمرض عن بساط الارض وقد كان
الاستاذ ابو بكر محمد بن محمشاد زعيم اصحاب ابي عبد الله بن كرام
عني بالفضل كبير المحل منذ كون بالديانة الوافية والامانة
البادية والنقطة على الفرق الغالية والبدع الخافية فوقف
راي السلطان على اجتياح من ركب بنيات الطريق وعدم في
عن مثل مخاريق لتم مساعدة التوفيق وبنيته على عدد عموم
انهم ضلال ولهم في فضول القول وهذر المحال مجال فسلكوا
في اصفاد الاخرين وصواعق للناطقين وازداد ابو بكر
يتقرب به من طاهر المحاماة على دين الله والمراماة دون خلق الله
وتطهير بيضة الاسلام عن كل ذي عيب بعيد او قريبة [illegible]
اطمعت فيه الرجال وامالت اليه الآمال وابية جنية وضع
الله عليها طابع الدين فهي في جوار النجم علو مكان وسمو شان
وكفاك بها فخامة ما ورد في الخبر المروي ان الله تعالى قال
للدنيا من حيث فاصعيدي واتفق بعقب ذلك ان طلع رجل من ديار

واتفق بعقب ذلك ان طلع رجل من ديار العراق ينتسب الى نبعة العلوية بزعم انه
رسول الى صاحب مصر الى السلطان يمين الدولة بكتاب يحمله ومن تزويده فوق زد
يتسلم بوزمرة اهب سبب النسب ومدليا بصلف الشرف فاستوقف الى ان نهي الى السلطان
خبره ووكل اليه من حفظ امثاله صدره ونص من بعد ذلك الى هراة ممتد الى الحضرة
فامر برده الى نيسابور ليعرض ما يحمله عليه من الاشهاد وبمرأى ومسمع من كل حاضر وباد
صيانة لخاص مجلسه عما عسى ان يضاف اليه من رجاله وترعته سالة فلما رد القهقرى
وفتش عما صحبه عثر على تصنيفات الباطنية والاغاليط في الشريعة الحنيفية اصح
منها في الاسماع خباط المجانين ووسواس المبرسمين لا يوجد في محصول ولا يوجد
في معقول ومنقول وناظره الاستاذ ابو بكر على مودعه من جهة فرسله تفاوت
بها الفاظه فلم يوجد له على ما زعم من جنان ثابت الى وجه التحقيق وجانب التمييز
التفات وما زال يضرب لغا سافي سلامي الى ان تبين له انه اخطأ في تحمل تلك الرسالة
وحرم التوفيق في نقل تلك السفارة وقضى الله ان نهض الى حضرة السلطان فلما
وردها واستحضر مجلس حفله قد غص باعيان الاسلام ساداتها وكبرائها
وقضاتها وفقهائها وعلمائها وعمائمها وهناك الحسن بن طاهر بن مسلم العلوي
ومن فضيلته ان جده مسلم المكين في الطالبية زاول الحسين الاصغر رضي الله عنه

بناحية مصر اوجه وابنه منه ولا اغنى واقنى منه فلما استقر معد ابو تميم
المعز بمصر خطب اليه بعض بناته على ولده ابي منصور الملقب بالعزيز وسبب ذلك
ما قيل انه وجد عند داره رقعة فيها ع

ان كنت من آل بني طالب فاخطب الى بعض بني طاهر
فان ذاك القوم كفو لهم في باطن الامر وفي الظاهر
فام من شقه خوزية بعض منها البذخ بالآخر

فنسبهم الشاعر الى امهم الخوزية بالعسكر لان كونها اخو ستان وهي ام محمد
بن محمد بن عبد الله بن ميمون فاعتل مسلم عليه بان لا واحدة من بناته الا وهي في
حباله وتحت عقده نفادا من اجابته وتحرجا من مصاهرته فلما عرف
امتناعه ذهب بنفسه عنه ترفعا بنسبه دونه ووضع عليه يد الاستصفاء
بعد ان اودعه الحبس سنين وخبطه خبط العصا ونزع السلم والبسه عن
فضفاض الغنى غلالة العدم وهلك من بعد على يديه فقال قوم غيب عن محبسه
فلا يدرى كيف صار امره واين جعل قبره وزعم آخرون انه هرب من الحبس
فاطر نحو الحجاز فاختص في الطريق وعند ذلك لجا طاهر وآل الحسن
المذكورون الى مدينة الرسول عليه السلام شاما على اهلها ومعه ابن عم له

يعرف بابي علي بن طاهر وهو ختنه على اخته فلما مضى طاهر لسبيله ورث
ابو علي مكانه من الامارة الى ان لحق به وورثه ولداه هاني ومهني دون
الحسن لاستضعافهما اياه ونفوقهما بالجاه والمال عليه فرحل نحو خراسان
ملتجيا الى السلطان يمين الدولة وامين الملة سنة ثلث وتسعين واربعمائة
ولما ورد الباهرتي ابن عمه رسولا صغر الحسن شانه ووضع فيه لسانه ورأى
ان يكون له ثبات على وجه الرسالة وانتساب الى شيعة النبوة وادعى
عليه فساد الدين واستحاله ضرب الوثني فخلى السلطان بينه وبين
ما يستحقه لنفسه ودينه فيه فقام اليه جيلي بضربة عرقته في دم
وريده وقد كان القادر بالله امير المؤمنين قد كتب الى السلطان يمين الدولة
بما انهى اليه من حضرة الرسول وما يقتضيه الدين من التصلب عليه وتقديم الجد
في الانتصاف للاسلام والمسلمين منه فلما ختم امره بما تقدم ذكره انهى الى
مجلس الخلافة صورة الحال وكعم السيوف افواه العذال فقوبل من القبول
بمقتضاه وجزي الخير على اتاه وتوخاه وكان مثل الباهرتي كما قيل شعر

ومن يشرب السم الزعاف فانه حقيق بانياب المنايا النواهس

ذكر الامير ابي العباس مامون بن مامون

خوارزمشاه مولى أمير المؤمنين وما جرى به الأمر إلى أن ورث السلطان ملكه

قد كان أبو الحسن علي بن مأمون خوارزمشاه مولى أمير المؤمنين لما ورث أباه مأمو
مملكته وقد كان استضاف خوارزم إلى الجرجانية خطب إلى السلطان
يمين الدولة أخته لحوزته تقوية لعصمة الجانب وتشديداً للحمة الوصال فأوجب
إسعافه بالتماسه لاستخفافه إياه فتوجها لرضاه وزفت إليه من خطب
ووصل أسبابه بسببه وترددت الهدايا بينهما حتى صار البيتان واحداً وا
والأستار لغيرة الإخلاص جانحة وجرت الحال على جملتها في الانشاج
والامتزاج إلى أن قضى خوارزمشاه نحبه ولقي بقرض الأجل ربه وورث
أبو العباس مأمون مكان أخيه وولي ما كان إليه وكتب إلى السلطان يسأله أن
يعقد له على شقيقته عقداً على أخيه من قبل صنواً له في الطاعة بل
أشد اختصاصاً فأبانه في المتابعة بل الصدق الخلاصة فشفع السلطان
فيه داعي الكفاءة واستجد الحال من عتق الطراءة وعقد له عقد خلطة فيه
بنفسه وفرغ له فريقاً من خلبه وكبده وما زال الأمر على جملة الاشتراك والاشتمال
إلى أن دعى السلطان داعي الاختيار إلى سومه إقامة الخطبة باسمه فأنف

رسوله تنجيزه العمل بما تقتضيه ظاهر حكمه به فصادف ذلك منه حرصاً على
الإجابة وإقبالاً صادق الحق أي الطاعة غير أنه عرض الحال فيه على وجوه قواده وأشياعه
وأتباعه فأظهروا أنفة وأقصروا واستكبروا وقالوا نحن أتباعك وأطواعك
ما سلمت لك الملك على الاشتراك فأما إذا وضعت خد كل الطاعة وضعاً
سبوقنا على العدوان خلعناك ونزلناك عليك وجه ذا فيك فعاد الرسول إلى
السلطان بما رآه عياناً وسمعه لغواً وعدواناً فأحس القوم حمية
الدم من وراجتهم على ولي نعمتهم بالقول الفظيع والرد الشنيع وغيهم
الأمر منا لنكين البخاري صاحب الجيش فاحتشوا حيفة وتوازروا على
الفتك به غيلة وما زالوا في الشر عليه إلى أن دخلوا إليه ذات يوم عليهم
السلاح فإذا هو صريع كأس الحمام لا يدرى كيف قتل ومن أي وجه قد وصل
فتبادروا بالعقد لأحد ولده وبسطوا أيدي الاصفاق على بيعته وعلموا أن
السلطان يمين الدولة منتفض للجناية ويقصد قصد الانتصاف للوارثة
فتحالفوا على أعقاب رعيه إن غزاهم في عقر دارهم وجاءهم غير محوط آثارهم ولما
انتهى إلى السلطان خبر صنيعهم وسوء نعمتهم وهو قتل شقيقته وحامي
حقيقته أن عجنته قوة الحفاظ للانتقام من أولئك الفجرة الغدرة والمرقة

الشقة فجاش لمناهضتهم على حمية مجموعة وحفيظة على ان بغاة ان الله
مقصود وكان شعار اباه فلق القنا وكك البغاة الجناة فانه استحقاقا
للنقمة وبراءة من العصمة والتمهيد للغدرة قربا وليعد في استخلاص مملكة
كان سبيل عزائمه النصرة فانبعث ولاية الاقبال برفيع شانه فانبعث وجرت
الجحافل كالجبال السائرة والبحور الزاخرة حتى اناخ بعقوتهم مستعينا
بالله على فنائهم واستنفرهم الى مناهل اجالهم وشاور صاحب الجيش الحاج
الفنكين البخاري علامة قوله في محضه على طلايع السلطان بياتا يقضهم
بانياب الحديد ان لم يسلمهم للتشريد والتبديد وطلب بحجا في الليل
حتى انقض على ابي عبد الله محمد بن ابراهيم الطائي وهو طليعة السلطان
في كماة العرب حين انغض الكرى رؤوسهم وشغلت برد الصبح نفوسهم واختلط
البعض بالبعض ضربا بالسيوف الفواصل وطعنا بالرماح الذوابل فطار الخبر
الى السلطان يمين الدولة بنهوض القوم فحث جيوشه الى معترك الحرب
وثبت الحرب زمنه من لدن طلوع الشمس الى ان حمي وطيس القتال جاهدين
في القراع مجاهدين دون المساكن والرباع يطمعون ان يظفروا وقد غدروا بمن
رباهم في حجور الانعام وانقذهم من شبا الاكدام هيهات ان الغدرة قلادة

منطوية على طرفيها عاجل الجزاء وثانيه اجل الثبات ولم تشرق الشمس على الكتيبة
حتى اضجعت الخيول ثم القبول رجالا احلوا جماعا فلم تقطعت اوصالهم
وانتهبت اسلابهم وقلعت السيوف هامهم وضعضعت الجراح اجسامهم ونزل
الباقون في خمر الغياض على شاطئ جيحون والصوارم من ورائهم تخطب ارواحهم
حتى اذا واقعها بحلتها الطلاق وصدقا واستاسرتها خمسة الف رجل
حقن الله دماهم عبرة للناظرين وعظة لامثالهم من الغدرة الفجرة وهرب
الفنكين البخاري ظنا انما يحميه الهرب ومعه خلاصة من العصب
ولم يدر ان فعلة السوء نحوه وان فعله على رايه محمته يرديه وان جاوز البحر اخيه
ساقط لا محالة فيه وجرت في الرمل وعيه وبين اصحابه مناوشة حملته
على الاستباق منه وبعث الملاح على استقبال المعسكر بوجه الزورق فلم
ينشب الا يسيرا حتى حصل في يد السلطان اسيرا واحضره السلطان مجلسه
بارز الفوارس المأسورين ومثله واياهم على استحلالهم دم صاحبهم من غير
دواعيه واجرائهم عليه وطأة عاديه فرجات المستغل للقتل و
الباقون فسقط في ايديهم لا يدرون ما ذا يريدون وامر السلطان بمنبر الفنكين
بضرب الاعواد والجذوع تجاه مقبرة صاحبهم ابي العباس مامون بن مامون خوارزمشاه

وصلبهم اجمعين عليها مع علق من اثمانها بالدنانير وعلاهم معلق الناكبين عن قصد السبيل
وامر بالكتابة على جدران آل المقرمط بان هذا جزاء فلان بن فلان بغى عليه حشمه
واجترا على دمه خدمه فقيض الله يمين الدولة وامين الملة حتى اقتص له منهم وصلبهم
على الجذوع عبرة للناظرين وآية للعالمين وامر من بعدها بالاسرى في ضعف
الاغلال في اعناقهم يقادون الى غزنة دار الملك فوجا بعد فوج حتى اذا
حصلوا بها وقد اشتدت منهم العيون وغصت بهم المجالس والسجون منّ عليهم
بالافراج وفرض لهم في جملة سائر الحشم والاجناد ووضعهم مواضع امثالهم
من ديار الهند زمانا يحمون اقطارها ويغضون عن عيون العيث مناكبها
واطرافها وولي خوارزم حاجبه الكبير التونتاش فاقام بها قامعا
لجموح الفساد وفاقئا عيون البغي والعناد الى ان ضرع وهم واذعن للطاعة
افناؤهم واستقرت تلك الاسباب ودرت الاحلاب وذلك تقدير العزيز العليم
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ٥

ذكر غزوة مهرة وناحية كشمير وقنوج

ولما فرغ السلطان يمين الدولة من مهم خوارزم وقد انساقت كالجنيبة لحوزتها
الى سائر ممالكه الموشحة باثار ولايته الموشعة اصابع عدله ورعايته

رأي ان يختم صحيفة العام بطابع الاهتمام اهتماما للركائب والركب ٢١٨
وتقليبا للرأي العقول من جوانح القلب فعدل الى الهند كالشمس قد جنحت
للشمال وجاوزت نقطة الاعتدال فالتبست بها حواشي الطوائف او عواشر
المصاحف او عقود المخانق او نهود المعصرات العواتق بين اعمالها وبين
فما صارت احجى لها الى ان اذن الله في معاودة غزنة منتشيا بجلابيب الفخر في غزوة
تحقق اعجاز القرآن بما تضمنه من وعد الله المنان في اظهار دينه المرسوم بسبيل
السنة ومولى ابيه والحسن لمحمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله تاج الانام
وسراج الظلام على الدين كله وان رغمت نفوس وضرعت خدود ورغمت
معاطس وانوف وبعد ان كانت الشقة قد بعدت عليه وعلى اعوان دين
الله السائرين تحت رايته بين هذه وبين الهند قد تخففت من
شؤلها واطرافها سيبا وانتهابا ووطئت على اربابها سهوبا وشعابا فلم يبق
الا ما ضمنته ضمير قشمير ومن دونها فبات وتقدم عن كل عفيف وحضر وفصل
بينها وفود للرباح الاجاليل وخض وانفق حشر الله من ذوي ديانة وتا
النفس الى اقصى حدود نهر عشرين الف من مطوعة الغزاة قد وضعوا
سيوفهم على عواتقهم محتسبين للجهاد منتدبين لعز الله للاستشهاد يخطبون

الجنان بصداق الارواح ويتساهمون لغفران الجحود والصفاح فجرى كرم
السلطان بقبولهم وضم نفرتهم للمسلمين بكثرهم واقتضى رأيه ان يزحف بهم الى
قنوج وهي التي اعيت الملوك الماضين غير كشتاسب على ما ينطق به تواريخ
المجوس وهو كبش اقرانه وملك الاملاك من عمهم في زمانه فيما بين غزنة دار
الملك وبين خطة قنوج ثلثة اشهر بسير الركائب القود والجوانب السود
فاستخار الله وسار ونجى النوم والقرار واستصحب من شهد من انصار دين
الله واعوان حق الله رجالا الى الموعود من الحسنى والزيادة وعبر مياه سيحون
وجيلم وجيد واهه وراوه وسكنده وهذه اودية تجل اعماقها عن
الاوصاف ويتسع اطرافها على الاطراف منها ما يغمر غوارب الفيول فكيف
كواهل الخيول وبمثله تضال الصفون فكيف خفاف المطايا والظهور
صنعا من الله تعالى المنى والالاء وعزن برحمه في سند من لقيه رضاه ولم
يطا مملكته من تلك الممالك الا اتاه الرسول واضعا خد الطاعة عن اضما
في الخدمة كنه الاستطاعة الى ان اتاه صاحب درب قشمير علما بانه
بعثه الله الذي لا يرضيه الا الاسلام مقبولا او الحسام مسلولا فاطلق العنق
عن حلقة النفق وضمن الانتشار في الطريق وجعل يسير امامه هاديا وخرج

واذنابا فوازا وكلما انتصف الليل اذن المسير بخفق الطبول واستوى اولياء
الله على ظهور الخيول يحشمون تعب السرى والسلوك الى ان جنح الشمس من غلو
الدلوك حتى استظهروا ما حول لعشرين بقين من رجب سنة تسع واربعمائة وما
زال يفتتح الصياصي والقلاع منيفة على رءوس الجبال وحصون اقفال بحيث
بالمصانع الاعلاق حتى تخطى اليه نواحي الجلق الى ان شارف قلعة برنه
من ولاية هردت وهو احد الزيان عن الملوك بلغة الهنود فاطلع على الارض
الملاعنة وهي تموج بانصار حق قد تسوموا من فوقها النزايل ومن حولها الملائك
فزلزلت قدمه واشفق من ان يستباح دمه فرأى ان نجي بالاسلام باس الله وقد
شهرت جلاده وفتحت بعقلات العذاب بنوده فتقدم في نحو عشرة الف من بنيه
بدعوة الاسلام منتفيا من غير ولاية الاصنام فحقق الله ميعاده واحسن بفضله
اسعاده واسعادهم وامتد الزحف به بعدها الى قلعة كلجند وهو من
اعلام الشياطين واعيان المتلاحين ممن على الملوك بعتو نفس وتحو الى
القروم بطرقا اشر وقد فحي في الكفر معظم عمره وحمي بحماية الله بساطه
الامن عن تحشيم بعضه وسمه لم ينقصه احد الا ازدى عنه مفلولا او عاد عنه
عليه مجلوا عن حال وكثرة مال وقوة رجال وعدة افيال ووثاقة معاقل وحصون

وقلع عن مطامع الايام ومطامح الوهن والاسلام مصون فلما راى السلطان قد
قصد قصده وحشد لمجادلته جمعه ثبت جنوده وخيوله وقال اعياض لو
نهضنا فرادى لهان تقطيع الارض ونافق الشوك والشجر واغرى السلطان
به بعض طلائع جيوشه فكانوا اليهم يتحرفون الى الصحاح حتى والاشماط
فما بين الشعوب والثاني يجان بالقيون ولقد خص للسلطان طريق من
فوق القلعة المذكورة فلم يرع اهلها الا البحر الاخضر والله اكبر والسيف
لا يبقي ولا يذر فتنبئوا للجلاد مستقبلين فتواصوا بالمنايا مستسلمين
والسيوف تاخذهم من فوق ومن قدام وتصنع بهم ما بين لحوم وعظام وكانهم
بينها تنتصل انصال الكعوب وضربا بها شوال المعيث المصبوب عن ان الله
انزل الحديد فيه باس شديد هو الذي اذا انشا قطع واذا نشا بلا واقنع
كذلك السيوف الهند تنبو ظباتها وتقطع احيانا مناط القلائد
فان لنا من ولي الله فلاحا الاستشهاد وثواب المجاهد وان يثبت فلا عجاب
الفتنة والطمانينة بعلم ان الحكم لمن في كل مخذول ومعصوم ومحروس
ومفصوم وظل المخاذيل يتفاشون بينهم وقد علا بنو سيوفهم نابية وسيوف
اهل الحق عليهم ماضية وحلاتهم واهية وحلال اهل البغي اولى وثانية

مما سواه من جنس الانس ولا من زمن العشق هيهات ان وقع احد ليحمي
الجبال ولاحتى له في هوى الابطال حتى اذا امتثل لهم شخص الطغيان في صورة
الخذلان تواصوا باقتحامها وراموا من زاخر المياه يظنون انها تقيهم
باس الانتقام وتحميهم كاسر الحمام ولم يدروا ان الكفر يمسي سبيله وان
بين يدي بحرها حتى قبيلة لجرم ان صفايح الماء وافتتح صفايح الدهما فاستعوا
فلاذوا اسارا واغرقوا فادخلوا نارا ولعل عدد الغرقى والقتلى يربو على
خمسين الف اصبحوا طعما للنسور والضبعان وافوانا للتماسيح والحيتان
وعمد كل بجلي قبالته فاهلك عرسه ثم كثر فالحق بها نفسه واغنم الله
السلطان ما بيه وخمسة وثمانين راسا من الفيلة الضخام مضافة الى
ما بين ايادي عليه حكم الاغنام من نعم الله الجسام وقسمة الراجحة
بالاقسام ولما وضعت تلك الحروب اوزارها وكان له الغنايم ان رآها
عطف عنانه الى شط البلد الواقع عليه اسم المتعبد وهو حضرة الهند
يطالع ابنيتها التي يزعم اهلها انها من صنيع الجان دون الانسان ببدائع
اساس وسقوف واعجاز اوساط وحروف ترايا لخلاف مجاري العادات وتفقد

بزوايا نهايا الى السماوات بل المشاهدات بالله لمبني البنيان من صم الصخور
قد شرع بابان منها الى الماء المحيط به موضوعة ابنيتها فوق شواخص التلال
صيانة لها عن مضار سيول الماء ومعار غيوث الشتاء عن جنبتيها القصور
مشيدة بسائر الابنية في الوثاقة مشتملة على بيوت اصنام فلهن من مفاصل
اعراقها بما بين تساوي سطوح البناء وتوازي ما وراءها من الحجر تحت
الخفاء وفي صدر البلد بيت اصنام يحكي اخواته او الجنس ويجري مجرى اضرابه
او انقض لهم بتسبيح الكتاب باقلام الذهاب ولا النقاشون باطراف الجامات
امثالها بحسنها فنونها ونقوشها تخطف الابصار بريقها فكان فيما كتب
فيما كتب السلطان انه لو اراد مريد ان يبني بناء يعادل اشباه هذه الابنية
لعجز عنه بانفاق الف الف دينار في مائتي سنة على ايدي عملة كملة مهرة
بجرة وفي جملة الاصنام خمسة من الذهب الاحمر مصروفة على خمسة اذرع في
الهوى منصوبة قد التمع عينا احدها بياقوتتين لو شيم مثلهما على السلطان
لابتاعه بخمسين الف دينار لستين خاصا ولم يتشكك فيه ذكاء ولاحظ صنم على
اخر قطعة ياقوتة ازرق تامة من زرقتها متوقدة تزن اربعمائة وخمسين
مثقالا وخرج من وزن قدمي احد الاصنام المذكورة اربعة الف واربعمائة

مثقال وكانت جملة الذهبيات الموجودة في اجرام الاشخاص المصنوعة مثقال
وزادت الفضيات منها على مائتي قطعة لم يمكن وزنها الا بعد التفصيل والعرض
على كفة المعايير وامر السلطان بعد نهب سائر الاصنام فضربت بالنفط والضرام
فجعلت سقوفها مواطي الاقدام وسار من بعد قصدا بريج قنوج وقد اشتق
الفال من تصحيفه فتوحا وعقد صنعا من اثنه ممنوحا وخلف وراه معظم
العسكر تطميعا للراجل ملكها في ابنائه لحقه الزحام وقصدا اليه
قبل التقص صوته الاشتهار اذ كان اراد الفتنة على غلبة نهابها وقوة اسبابها
واصحابها اطواع الراي فتوج اعراز امكانه واعزاز انفحة فه شانه ولم
يعبر على قلعة من قلاع تلك الرباع الا وضعها بالارض وعرض اهلها على الاسلام
والسيف وحاز من السبايا والنهاب والنعم الرغاب ما يعجز انامل الحساب
ووصلها من شعبان فتوح وقد فارقها رايها حين سمع باقبال عراق
من لا يرى الهزيمة عنه عارا ولا الفضيحة به شنارا وعبر الماء المسمى كنك وهو
الذي يصف الهند قدسه وشرفه ويرون ان عينه في جنان السماء مغترفة ان
احرق منهم ميت ذروه فيه بعظامه فتطهر لاثامه وقد يأتيه الناسك
من بعيد فيغرق نفسه فيه يرجو ان تدركه نجاته وهو في العاجل يرجيه ونحن

الاجل بصليبه وبخيه ثم لا بمينه ولا بجيبه وتتبع السلطان قلاع قبوج
فاذا هي سبع موضوعة على الآل المذكور كالنجوم المبحوث وفيها قريب من عشرة الف
بين الحصام يزعمون انها متوارثة منذ الفي الف سنة الى الطمابه الف سنة كلها
وردنا وفردها موزونا وعدده عن سنن الحصى وكفوا وحسب قد صهاعبا فتهم
كانت لها واحبا شتهم بالدعوات اليها وقد تزعزعنا اثر اهلها خيفة الاثم والسم
وحلول النكير والعقاب بالهتهم الصم البكم فمن نزاح اغاثه نخاوة وثار
امان ثوا وهم وليمحه من سيوف الحق نصفه ولا سما وفتحها كلها في كل يوم
واحد ثم اباحها اهل عسكره بيبا هبونها طلقا حلالا وفينا وسوبنا وتار
وادلاء ونلكص عنها الى قلعة منبج المعروفة بقلعة ابن راهب وهم حي لقاح
وغتاة مالهم عن اقتسار في تلك البلاد براح فيبتنوا للقراع اشباه العقارب عذر
والشياطين مردة او مارجة حتى اذا اعوزهم الثبات واعجزهم النجاة وعلموا
ان ليس لهم بالمسلمين طاقة وان ذكاهم لا شك ذائقة بها ووقع فيها الجدل
وتشرفها البنيان على شبا الرماح وظبي الصفاح استخفافا بالنفوس والارواح
واستسلاما لالاء الله المتاح لا جرم ان السيوف اشتهتها نفرتا هم واطعمت
السنوات اشلاهم كذاك المنايا اصلها نخطب اليها المنزلة تذادا ولم تجد

من انكاحه بدا واحرص على نقبه ذلك الحرف قلعة ابي وصاحبها المعروف
بحذاء السواحل ايات العقود وارباب الجنود لم يزل ذا منعة بالملك ووسعة
في الملك فعرض له راي فوج ضيا بما واتى الحرب مكاوحا وصفا نعا فلم يرد
بها ان نعب او اباه فنكل على الخيبة ورآه وقد حاط بهذه القلعة غياض
ملتفة كاعراف الجياد وضد لخلة كالاشفار احداد لا يستحيل الافاعي
بينها للزفاة ويتبين ابو عهدها للسواة فلما طت بها خاذق
فعن ان الجفان فسبحان الله ولو ان احاطة النجوم بالثريا فالة عنها انفراج وه
له دونها انفراج فلما شعر المذكور بحيف السلطان ليه في كواكب دولته
ومواكب جملته فتد قلبه فرط الجزاء وجش نفسه فكان ذنب الفار وتابي
الموت فاغنا فاعلم بان الا ان يوليه قفاه فامر تقلع قلعته من اصولها
ونعوت ثملا على من بها انها محلولها وقفي ثمانين لعقابيب انصار تنهبون
ويغنمون ويقتلون ويأسرون حتى علم الكافرون انهم هم الخاسرون وكان
المخذول يرى ان اعوانه من كماة المقانب وحماة الاشاهب ورماة الكتائب
حتى رأى عسكر السلطان بين الاشاعب وأتاهم بالقنا والقواضب
والقسي المواطر كالسحائب فعلم ان ضرب اللاعب خلاف ضرب الثلاثة الغالب

وقوس الملتجئ عن قوس الراشب وما فصل السلطان لغزو جيبال واذاقه في هزيمته
الذل العضال عطف على جنود ابي جيبال ابن الهند في قلعته شرق وهو
يظن بنفسه ان القابل بعينه بقوله

عطشت الى نفس شامخ ونما ونأت يداي الثريا فاعدل عن قائم

فلا ذهب بها غيرته ان يعطي عزه مقادته او يلقي الى الغير عنانه وكانت في غابر
الايام بينه وبين ابن جيبال منافسة ومشاحنة تجاحش عن خروج الرقاب فلما
حين استلحمت رجاله واصطلمت ابطاله فابطا ثم قام ابن جيبال الحرب
بينهما فاضطرا الى التوادع والتكافؤ حقنا للدما وصونا للاطراف وخطب
ابن جيبال ابنته على ابنه ميلا الى استمالته للالفة واماطة للفرقة
واستمدها على العدو واستنفاد السيوف في الاغماد وسمح ابنه اليه على
تنجيز ما عقد الوصلة وشرط الانشاح في اللحمة والاشتراك في البيت والنعمة
فلما حصل الختن في يد جيبال حبسه في قيد وقيده وطالبه بعوض ما ذهب
على يد والده فعجز ابن جيبال عن حصن قلعته وافتكاك مهجته فاستخلص
ابنه من اسار محبسه عن ان المنازعة لم تنفك قائمة بينهما الى ان طلعت
رايات السلطان يمين الدولة على البلاد وسفر صنع الله على المقصود

بعد المقصود فاما ابن جيبال فالتجأ ثم تحصن بواحد المعقل بين حصانة
المعاقل وحزونة المداخل وخشونة المواقف خلا صلابة جهته واعتياضا
بن عمه على نزعهم بانتصاحه وامتناع جيبال بي فانه لسعة الملاقعة
ولحشد المانعة اعز ابوابا في قلعته ولو ثبت لقلعته واذا لاذ بمنعته
ولو وقف لاخلعته في استلة بهيال بان محمودا ليس من جنس كابن الجنود
وامر ابن جيبال الشود ان السلامة من مثله تغتنم والجيش باسمه تستهزم
وفي ابن ابنا من كان اقوى منك جملة واعلى اسمه لم يغم الضربة فزنا بحجو
ولم يقف بمصيبة من عصيان جنوده فان اردت الافتضاح فشانك او
الخلاص فخمص ما استطعت من كافلك فعلم ابن جيبال قد نصحه وانه ان خالف
الحق فضحه فسرب اثقاله وامواله وفيوله وامواله نحو جيبال نتاعي
كواكب الجند او اجلام نوائب حتى الارض عن عين السما وورى بوجه مقصده
فلما بلغ ابن سنان وقرأ الذي خطه انطاز انسطى الليل لم ينفع انها به وكان
غرض النصح المطلوم في ترتيبه وتغريبه اشفاقه من جبالة الاقتناص
وبشار من كلمة الاخلاص عليهم اعمامه واقاربه فقبل حين اضطر والى
الاسنتين والاستسلام فلما احاط السلطان بتلك القلعة وفتحها على

حصانة قواعدها او مناعة مواقفها او مصاعدها او نوع منها في علو

بينا اختلاف اصنافه خطير لم يبنه الموجود وقد فاته الكافر المقصود

بدل الارض فيما بين جبال وبحار تصل الوجوه فيها ومساقط احجار

تصدم الجوارح وتحفيها ولحق القوم ليلة الاحد لخمس بقين من شعبان وقت

العتمه وهم يطون مجاهل الارض هبوطا وصعودا ولا يعطي البحار خوض

برودا واهاب اوليا الله من اهل الاسلام وابنا الصلوة والصيام باقتحام

وادرك الظلام في اقتصاصهم ثقة بالله الناصر لدينه القاضي على الكفر بتوهينه

فلم يفلت منهم الا قليل بل رهينة جر الحديد واسير مقيد قبل يد البقية

فاما الاموال فبانت حملا دون الارواح وشرا دون حمل السلاح وحمى

الجراح ولا يعبا بها او تشغل النفوس من عبدة الاوثان وعباد الشمس والنار

وطال الاوليا يتبعون نظرا في المخاذيل مدة ايام نفلا واغتناما

وحال لا بعد ان جمع الكفار جراما واسلم الفيلة فمن بين مقهورين

ومتطوع بالعود الى السلطان محمود لطفا من الله تعالى يتيح لهم غنايم

الاموال حتى يسوقوا اليه بهايم الافيال لا جرم انها سميت خداي اورد

شكر الله تعالى على الهام ما لم يتسل بالمقامع ولم يتكل في المنازع الا

ان تاتي طوعا فتهجر الاصنام وتخدم الدين والاسلام

ولقد احسن من قال فيما عني به السلطان وقد اتاه الله

هذا الاحسان

قل للاعبين عبد تجي قد اتاك الفيل عبدا

سبحان من جمع المحاسن عنده قربا وبعدا

لو مس اعطاف النجوم جرين في التربيع سعدا

او سار في افق السما لابتت زهرا وفرقدا

بيت وبلغ ما يوجد من جرائب المسارب الهايب ذهبا وفضة وحوا

محمرة وقراضة مبيضة قرابة الف الف   فاما السبي

فالشاهد على كثرة عدده ووفور مدده وقوع الاستيام

على الواحد منهم بما بين درهمين الى عشرة دراهم وذلك

فضل الله ذخره لايام يمين الدولة وامين الملة وهو الملي

له بتمام الثواب يوم قيام الحساب والحمد لله حمد معبود

محمود وله الشكر على ما اقر به عين محمد بمحمود

ذكر المسجد الجامع بغزنة

لما عاد السلطان يمين الدولة وامين الملة على هيئة النصر

الموكل بقمع الكافر المفترى المحلل بغدادي السماء الزهرة
والمشتري الجيدان الملك بغرته وقد كاد يغبض سحيها على
عبد الاهوفا من العبيد ولا اماحتى استقر عليها اكاليل التيجان
الضاربين اليهما عن نوائح الغبار وروائع الامصار فخص ما
وراء النهر الجيحون الى العراق ومادى الاشراق دينها ملاحظ بنعمه بالسود
وعدل في التملك بين المسود والمسود واحب ان ينفق مما اتاه
الله عليهما من ولديك لعلها الاعقال في عمان من ينشئ جدواه
ويرتفع الي لعمر الاحتساب مغناه وقد كان وعز باختطاط
صعيد من ساحته عرصة المسجد الجامع اذ كان قد اختط قديما على
قدر اهليهما حيث عنت من رمعات البلاد شحوط دار يتوطنون
من اليها فوافق عوده من مضربه حصول المراد من تقطيعه وتسويه سيحه
واقامة الجدران على نوابعه فصب به المال على الصناع
كما صب دم الابطال يوم القراع ونصب المشائخ من اجلة الزعماء
بحضرته فهو يطوف عليهم مطالبا بصدق العمل ومعاتبا
عجبا من الكلل حتى اذا اتوسلعت الشمس قلة الجبل اقام السيد

المولى بن ناطقة بالانصاف وابهة بالجراف فيمسون بين
اجر بيني علي على السلطان منفقود واجل على الرحمن موعود
وينقل اليه من اقطار الهند والسند خروع توافقت قدودا
ورصانة وتناسبت تدويرا وثخانة كما استودعت رخام الاركان
لامر معلوم وجمعت باعمارها اليوم مختوم فجاءت ولا الحق
كمالا والعدل استقامة واعتدالا يبتني عليها الملامسة والسد اد
وكان بها صما فما لا تصغي ولا تكاد وقد فرشت ساحتها
بالمرمر منقولا من كل فج عميق ومضروبا بحنين على تقطيع
التي يجي امثلة ملابسة من راحة الفتاة وصفحة المرآة وعقد
عند منتهى الابصار طاقات كما تنقطع الدوائر على نقط المراكز
فلو عاش سنمار لعقب في جنسها معتل الواهن العاجز
فاما الاصباغ وطرائف روضة الربيع ضاحكة الثغور باكية
الجفون تستوقف الابصار وتقيد النظار واما التذهيب
فحسبك عنه ان صناعة الرصافة قد عرتها عليهم الحقاق وضح
لهم تكليف الاطاق والبس صفائح الذهب فقط الكتم

صفايح الذهب الاحمر افرغت عن صور الاصنام المجدودة
والبدد المأخوذة وطفقت تعرض على الناس بعد ان كانت
آلهة الكفار وتضرب بالمطارق بعد ان عبدت بالخدود
والعنافق وليس الذي ينفق على حجر ان مساجد الله عبرة
للموحدين وغيظا للملحدين اتم سماحة واكرم راحة ممن
يفرغه معبودا او ينصبه للنفع والضر مقصودا نعوذ
بالله من ريب سواره عال وهو محتاج الى شغال وجزى
الله عن الاسلام ملكا هذه افعاله واعماله واغتنام الارباح
والمتجر في سبيل دابه واداب نعم وقد افرد السلطان لخاصته
بيتا في المسجد مشرفا عليه مكعب البناء مربع الفناء متناسب
الزوايا والارجاء فرشه وابرزه من الرخام كلف عليه الطهار
حتى يقال من ارض نيسابور وقد احتط لكل رخامة منه بعد
محراب من الذهب الاحمر مكللا بالازورد في تعاريج من
الوان المنثور والورد من يراها بعينه يقول بلسانه لا بحسبانه
لا اله هذا الاستاذ ممتعا ببنائه الا من رأى دمشق وراعه

من آيه شافه النظر حتى تناه وقضى بان ليس يوجد شرواه
دونك هذا البيت الذي هو كالشونيه وتنعكس عليه الفضة و
ان الحسن بحض صفاقه والابداع احسن سماته وانتقال العسد
من حريم نقوشه والهمة العليا قد همت ثلثة الف غلام متى
شمروا للعرض احصوا اماكنهم منها صفوفا واقبلوا على انتظار
الاذان عكوفا واضيف الى المسجد مدرسة فيحا تشتمل
بيوتها من بساط الارض الى مناط السقوف على تصانيف الائمة
الماضين من علوم الحوالين والاخرين منقولة عن خط ابن
الملوك الصيب لقروا عن ديار العراق ومهاع الافاق حتى
افتنوها بخطوط كفرائد سموط مصححة بشهادات التقييد
وعلامات التحقيق والتشديد بيتا بها فقهاء دار الملك
وعلماؤها للتدريس والنظر في علوم الدين على كفاية ذوي
الحاجة منهم ما بهم من جراية وافرة ومعيشة حاضرة وقد
اقتطع من دار الامارة الى البيت الموصوف طريق يقضي اليه في
امن من ابتذال العيون اللوامح واعتراض الرجال من صالح

وطاح فيه كباً لبه على فور سكينه وشمول طمانينة حتى نفى
المكتوبه ويقضى الحج والمنوبه فاما سائر دور الحجاب
وقصور القواد فما بقى بحقائق الاتفاق عليها الا من اتاها
اعتباراً او شاهدها اختياراً فترى محل الاباطح ابنية تشرف
على الهضاب شرفاتها وتكاد تغني فيه من المجرة غرفاتها
وناهيك من بلد يحتوي على عرط الفيل يشغل كل واحد منها
في سنته وعاينته داراً كبيرة وخطة وسيعة ان شاء الله تعالى
اذا اراد عمر البلاد وكثر العباد وهو على ما يشاء قدير

ذكر الافغانية

ولما قضى السلطان وطره الغزو بتعريفه واقبل التحويل بتشقيقه
وسح الوقت بحاصر ريفه وقد كان طوائف من الافغانية
المتوطنين قلل تلك الجبال الشوامخ والرعان البواذخ تعرضوا
فعل القطاع لذنابى عسكره منصرفه عن غزوة قنوج
اعتزازاً بمناعة اماكنهم وحصانة مساكنهم اوتطيباً
كحفا افعالهم والتباسها بمناكير امثالهم الذين تقدم منهم

تبيح عليهم اكوارهم وعلق الجيم وتخضب بدما النحور جلودهم
وغنم على ما دبر وصمم على ما قدر وفرق بينه نصبه نحو
احدى اقطار بيضته ثم ركض عليهم في خاصته ركضاً
صبحهم في مراقدهم فلم يشعروا الا بحد الصفاح على برد الصبا
ضربات تقطف الرؤوس عن الجسود وتفرغ النحور على
الجحور صرعى الجص عى كان جلودهم طليت بها الثنيا والعلم
فيها لها بينهم اثمت عليهم الرقود والتحلفه الا تعود
او تشمل اليوم وبالاكوار وسائد موضوعة وبالسموم
دباجين معقوفة وبالاجر لطرف ضمها موصوفة وبالعرق
السابل عاورد وبالقسطال الثائر مثار عنبر وفتاة بل
وبالليل سكناً وقراراً وبالنجوم بدل الحلي وشماراً فمن نسب
فان بالهم المشرفيات بوائك والزاعبيات فوائك وعمائمهم
القسي جوانع والحمائم البال فوارع ومازال يخوض انهاراً
هائجة واودية هادية لم تنض قط عن عوائقها دية
وعين الله ترعاه في كل سعي يسعاه حتى افتتح معاقل اوليك

أولئك المغاوير بل ذبابات اولئك الميامين وظلت رجالهم
الفل يصحون بالويل والثبور وصيح البوقة وارتج بيت الله
المعمور وما زال السلطان يسح بمن آمن واطاع وينصح من
اظهر الامتناع بعد ان اصاب غنايم لا يضبطها حساب ولا
يطعمها ما ولا تراب حتى انتهى السبي الى ما يعرف بباب
غابر المخاض جمى القاهرة كالخضخاض يبتلع الجحف والحافر
ويقتلع الدارع كما يقتلع الحاسر فاذا بمن وجبال من تلك
الحجرة في رحال كالصرايم واقيال تحت الاديم قد اختفى في
الكهف محتجرة واستند الى ما خيل لهم انه يطره وارام ان
يمنع السلطان عبوره ويشغله عن اقتحام الغمرة جمهوره
حتى اذا اكتحل الليل بقار من في دهمة استناره مرور
مروان على جماره فلما علم السلطان ذلك من قصده ورأى
استعداده واحتشاده لصده امر بالاطراف فمسدت لعقود
واهاب بالعبيد من غلمانه للركوب فامتثل الاتراك يبتدرون
العدوة القصوى ويلتمسون كلمة التقوى فلما رأى من حبال

استقلت الماهم رهاهم بحسبه من قبله المحجفة وفوج من
رجاله المصفقة فاراد الله ان يحقق قول نبيه الامي الامين
ورسوله المؤيد بالتمكين حيث قال صلى الله عليه زويت لي
الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي
لي منها فالتمس ملك الهند ان يستوقفوها على ما كمنا خيرة
لاطراف هاتيك الاحقاف بالنبال وعن الهاتيعد في وجات
اولئك الضلال معجزة لم يسمع مثلها قبلها ثمانية يجمع سبيلا
ويتبع قبلة وجبلا وقد من لفظ السلطان عند عيان ذلك
البرهان ان قال من قدر على السباحة فليتعجل اليوم للراحة فاذا
بخاصته ومعظم عامته خايضين ولصعب الماء رايضين فتارة
يسبحون بالاطراف واخرى يلبسون يحبون الى الاعراف حتى لعظم
النهر سابلين لم يستحل لهم جنبة ولم يعطف جنبيه ولم يبد
بجمالته سببه وحمل السلطان بهم وقد نزل الى الطمر حمله
نور عنهم بين عقبين سكران من عقار الجحود واسبى جيران من
اسر الغفلة دياقطرت بحاف من وقع القواضب وقبل بهم اي

هب

النجوم الثواقب وصار ما حصل في الوقعتين من عدد الفيلة
مائتان وسبعون بأثقال الأجسام كأثقال الغمام وطار الكافر
هربًا الى بلاد غرهما فلا يقعد ملجئًا او نفقًا وقد كان السلطان
قبل ان لقي الكافر والتحم جيوشه الله روع والكفار اخذ فالًا
من كتاب الله بمشيئته عاقبة ما ينويه فخرج له قوله تعالى
عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم فينظر كيف تعملون
فلما حقق الله وعده ونصره بفضله وحده ضمن على نفسه
ان يفي بواجب عليه عدلًا برقة الانام وعزًّا بوليد الاسلام
وشكرًا يفيد الانعام لا جرم ان الله حافظه وحاميه ومصيبًا
به اغراض آماله واما نيه والذي يرجوه له من ثواب المعاد
اربح مقادير وارجح مكاييل ومعاني

ذكر ابي بكر محمد بن اسحق

بن محمشاد والقاضي ابي العلاء صاعد بن محمد وما انتهى اليه
امرهما بنيسابور   قد كان ابو بكر من موفقًا
بين المباهة في صنعة هذه الدولة لمكان ابيه من الزهادة

ونصبه الاطراف على العباد واقتفاه مناهج ابيه فيما كان ينتحله
ويتحبب وكان الامير ناصر الدين سبكتكين يرى من عصابته
في الزهد والتعفف والتزهد والتقشف ما قل وجود
مثله في كثير من فقهاء الدين وجميع اعيان المتعبدين فحلى ذلك
في قلبه كما حلي بعينه والمجاهد في الله محبوب وقد يكرم
اهل الشفاعات من له ذنوب فاستمر السلطان بعده على رعاية
في ملاحظتهم بفضل الاحترام واشار طوائف الكرامية بالاكرام
بالاكرام حتى قال ابو الفتح البستي فيما شاهد من نفاق اسواقهم

الفقه فقه ابي حنيفة وحده والدين دين محمد بن كرام
ان الذين اراهم لم يعرفوا محمد بن كرام غير كرام

وانضاف الى هذه الوسيلة القوية والذريعة الالهية انه
لما انقاد جيوش اكابر خراسان عند عبور السلطان ماجيه
اللتان فقصدوا نيسابور على ابي بكر احتياطًا لانفسهم من
شيعته واحترازًا من غوامض مكيدته وبغلوه في حملتهم حتى
طلعت رايات السلطان من مغاربها ومضت سيوف الحق

عن مضاربها الى ان وجد منهم فرصة الافلات والسلامة من
تلك الآفات فاعتد السلطان ذلك له في سابق معاونته واوجب له
حقا بالحظة بعين مراعاته وبعثه عن ارهاب لبدع الباطنية
عما تمسك به الملاعين والله اعلم بما تجنه الصدور والضماير
والنيات قيام واتفقت تصلبا من السلطان في استيصالهم
وتعصبا لدين الله تعالى في احتيال امثالهم فحشروا من اطراف
البلاد وصلبوا عبرة للعباد وكان ابو بكر احد اعوان السلطان
على رأيه حشرا اليه وتصويبا للرأي عليه فصار البرى كالسقيم
مذعورا وعاد الملاب في عارض الخطب شورى وراى الناس
ان يقتنيه السم القاتل والسيف الفاصل فجعلوا له بالطاعة
وفرشوا له خدود الضراعة واعتقدت له الرياسة في كسبه
الصوف وحطته العامة والخاصة بعين المرجو والمخوف
ووجدت خاصته سوقا للاطماع بعلة الابتداع واستنزل
الناس واستفتحوا الاكياس فمن الظاهرين بكاس رمي بالفساد
مختفيا او يعطي الجزية عن يده وعين على هذه الجملة سنين

٢٢١ لا مطمع لاحد في تبديل شكلها وتحويل فادح الى العز اهلها
والاعلم بان الزمان بتغيير الاحوال ضمين وبالخلاف على صورة المعتاد
رهين وعن صبر على الايام راى الرفيع وضيعا والمطيع صريعا
وشاهد عن سموم سموم القبض صرا كالحا وصقيعا تقف
للقاضي ابي العلا صاعد بن محمد اذ حج بيت الله الحرام سنة اثنتين
واربعماية وهو الامام الموفق والزاهد الموصوف والفاضل
الجزل والبازل الفحل فقضى اكثر عمره على الحظ النفيس وتمرس
الدرس والتدريس تتطفل عليه الاعمال فيابها ويقلب اليه
الاغراض فيحيل الحيان فيما عداها ومن حاز شرف العلم لم يشتر
به ثمنا قليلا ولم يعدل به حظا وان كان جليلا فلما حمل
بلاد السلام وانهي الى القادر بالله امير المؤمنين خبره في
حجه بيت الله الحرام فوصل بمقتضى حقه في الاسلام من
اوجب الاثرة والاكرام وظاهر التوقير والاحترام والا عظام
وعضد بالكتب الى حضرة السلطان يمينه فيما التمس من
حاليه وفي مهمات وجب الاحتياط شرحها على لسان مقاله

فلما عاد من وجهه شخص الى حضرة السلطان بغزنة فعرض
ما صحبه وقرر ما تحمله وادى من حق الامانة ما لزمه ونما الى الاعتقاد
ابو بكر محمد بن اسحق محمشاد في مجلسه ذكر الكرامية واطلاقهم
القول في التجسيم وتعريض ذات الله تعالى لما لا يليق بالآية
الكريم فانف السلطان لهذه الشنعاء من مقالتهم والعوام من
فحوى جلالتهم ودعا ابو بكر سائلا عنه بالخاصة حكاه
منه فانكر اعتقادها نسب اليه واظهر البراءة عما احيل
به عليه فسلم مع الانكار عن مس العتب والانكار فاما الباقون
فان الكتب تعدت الى العمال في تقديم الاستقصاء عليهم فمن
اظهر البراءة عن قوله التشبيع واعتقاده الموجب لتبديع
ترك وشانه من عقد المجالس للتدريس وتسنم المنابر
للتذكير ومن اصر على دعواه ولم يخش لنفسه سوء عمل
مضى عليه حتى ورد لسانه دون الفضول فصبغ ايام
السلطان على القي جملة لا فتحلال قدره وخراره بحره
وعاية لعوالمؤمنين بحقه وايعازه لتمهيد لعزه وصرف كلامهما

فائدة [illegible]

في احملها الايناس والتفخيم على اعين الناس ولم يزل عصبة القول
بالتجسيم ما تشبيه في صدر ابي بكر يضارع الايام على غمرة المحال
بما الى ان استتب له الامر في عقد محضر على استحالة مذهب
وبحن خطوط قوم من الاعيان سلكوا فيه طريق المساعدة او
تنفسوا به عن وغرة والحيل في عقد المحضر عليه سفسادا
لصورته لديه فوقع التدبير موقعه من الاحفاظ عليه ورأى
ان يبحث عن صورة المرفوع في احقاق من صدق وابطال من
زور فانهض قاضي قضاته واوحد ثقاته ابا محمد الناصحي من
لم يشركه احد في اصطناعه والجذب الى العلا بباعه فانه اصطنعه
على طراوة شبابه بخلقين قبل ما توجد في فرخ الانسان فضلا
عن احداث الفتيان والشبان ومما للعلم والورع اخوان دونهما
الدر والياقوت والصحة بكفاف القوت واقعده تعز دار
الملك للتدريس والفتوى واصباح الناس من ساطع نوره في التقوى
حتى اذا ابهر كماله وطمح بالفضل مكاله ولاه القضاء على القضاة
في عامة ديار مملكته ثقة لقوته وامانته وورعه ونزاهته

فتولاه بنفس كصفحة الشمس طهارة ونقاء وروضة الحزن ديمتها
الشماء عشائهم وامر بان يستحضر القاضي ابا العلاء صاعد وابا بكر
الاسنادي في وجوه الرفقة واعيان الشهود ويطالب باقامة
الشهادة على الدعوى المذكورة على نفوس الاشهاد من غير محاشاة
او جنوح الى محاباة فقابل الامر بالامتثال وتجافى عن حرمة
العلم بحشمة الملك وهيبة الجلال وسال ارباب الحظوظ عما
عندهم من قضية الحال وجلية المقال فاما ابو بكر فانه اراد
ان يتلافى ناعر الخطب فزعم ان الاشتراك في رتبة العلم احدث
بينهما منافسة تنازعا معها مذهب التجسيم والاعتزال ولا يصح
ما نسبني اليه ولا اتقرر ما ادعيته عليه واما الاخرون
فمن جار على حكم المساعدة في المحاباة والمداهنة ومن حاد
لئام الاحتشام في التصريح واطلاق الدعاوى باللفظ الفصيح
مكاشفة عدلت الشهادة الى التعصب وجاوزت حد المعلوم الى
التعصب ووعى لذلك وجوه اهل الراي حتى كادت تثور فتنة
لولا ان هيبة السلطان اخرتها الا لسن لطولك وصرخ على الفقو

النظام والاعتزال وتلطف قاضي القضاة لعرض الحال وتقرير 222
صورة المحال واتفق ان حضر الامير ابو المظفر نصر بن ناصر الدين في
مجلس السلطان فرهن القول في باب القاضي ابي العلاء واثنى على
شيمته وشيمة ابيه وابنه عن ورعه وتقواه والتمس على سبيل
التلطف ان يقع تلافي لغضاضة به وتدارك لمهانة الطارية
بعد ان تعرض تصدق الحاسفته وتعرض لاستنسال مكافاته فوثق
به السلطان فيما قال وحسن ان صاعدا اجل من ان يعتقد الاعتزال
وامر باشخاص من انتسب الى اعتقاده ومقابلتهم بما اقتضاه حكم وقا جنبه
واستحلف القاضي فلزم بيمينه فلم يكن بمنزلة الغرض يفضيه او
علم يلبيه محترما بالله تعالى جل عن غيره ومقتنعا بما ادره عليه
من خبره ورايا ان تقية العمر اعز من ان يضاع على القيل والقال
وخضع فضول الآمال ومن اعلاه ما يصم قدر العلم ما الابتذال
والاستنساب ولله بر له كالعرفه بل والشعر بين ابا الحسن وابا
سعيد بن نصر يحكي عنا في الفتوة والمروة ومحبتي لسان
في اوامر النبوة واحكام ايات الله المتلوة في قضاء المواجب

ولخمال النوائب فعفى لها عن حقوق المناسب وفرغ لعلم النظر والقياس
وحظي بما ابتاعه ابو الفتح البستي من حاله بقوله

قد جمع الله لي بغزنين عز اي وحسن حالي
بلاغ علم مساغ شرب رفاغ عيش فراغ بال

ثم واطلقه ذات الايام على ابناء ابي بكر وارتفاع مكانته
واتساع حشمته وهيبته وانبساط ايدي حاشيته في
اموال واعراض اهل ناحيته واستمرار العناد بينه وبين
اعيان الاشراف في جيرته والسن المحمودين بحضرة السلطان
بما طغى من حاله وبغى من جريرة حساله اذلالا بافاعيله
وعنادا بن عمه على ما سبق به العلم من طوع ضميره وارشاد
سبيله فتدارك الاحتمال مدة من الزمان مداريا محافظة
على الصنيعة من الاسراع والعاقبة من الانجاع وابقاء على المحل
المرموق في الله من ان يلم به انحطاط او يحل له رباط
حتى اذا جاوز الاحتمال حده والمسئول له استدعته عقد
السلطان رياسة نيسابور لابي علي الحسن بن محمد بن العباس

وقد كان جده في دولة آل سامان محدودا وفي جملة
الاعيان والنبلاء معدودا واثره فيما بين الرجال محمودا وابو
ابوه ايام السلطان اول مقدمه خراسان وانتصابه منصب
اصحاب الجيوش بها لآل سامان فانحل خلفا وسما على مناسبه
الشباب وعرفه السلطان حق الخدمة والاصطناع عني ابنه
اغتباطا في شبابه فعاد كما بدا وكان العرش معا مداه الى التركيب
وكان صهرا لابي نصر احمد بن ميكال بقرابة واواصر مشابهة
فتشابه في جملتي نقابة المقبل وخرج خروج القداح فتح بن
مقبل واحدث لنشكر لنعمة حشمته وصفوا لخدمة ادبا
وهمة فلما مضى ابو نصر لسبيله انهى الى السلطان حاله في
كتبه وخلافته وظرفه ولباقته فاستخص لحضرته فوافق
اوحى المنظر قولا وطرفا مورد الاعجاب محكوكا وازداد على طول
الخبرة وفاقا وعلى سوق الخدمة نفاقا فنعما نمو الاشياء اصلحها
التدبير والقحها النابي والماء النمير حتى سمت به المراتب
وتوجهت له المطالب والرغائب وقابلته حشمته حشمة

ارباب الجنود وسادات الاقلام والحدود وكان غرض السلطان
في تقليد الرياسة له ان يقنع به من العقد له بدلالة الثناء والنعيد
وسائفه الذهب والذهب فقدّر ان يحظى به معقودا بالدهر
فلا سبيل الى حلّه ولا محاق بدا المستهله ويرجع به الى
ما يوجبه حكم التقيه من رفض المراتب العليه والمطامع الد
الدنيا وقيه فلما وردها ساس اهلها سياسة لو عاش اليمان
زياد لعاد الى سياسته بعين استزادته فخفت حتى
صرصر الجنادب وسكن حتى دبيب العقارب وهدا حتى
شغب المرائب وسكت حتى دواعي المذاهب فكانما اقبل
به شقيق الشفا والكل سامه او هامه في الوجار المحار
وبالمغار استتار ٥

وقد بات غيبته خوف انتقامه على الليل حتى ما اند غفاه
ها ان هيبة السلطان هي التي خطمت الهامم وخطمت
الاقاليم فلو وكل بعض همته برواسي الجبال لاضحت
منسوفة او بطوامي البحار لعادت منه وقفا كما خط

٢٢٤ خطة ينبه بها عن الرشد نائبه ويعمي عندها عن مقصد الصواب نائبه
او نابه ومن احسن عجيب مثاله فمن عون القدر وحكم الفلك الدوار ان ابى
الله ان يجد على حى المريد شهاب او يهيج على ستى المحول سحاب وفطرق
آل بسر حوالي المقصود بنزع منهم بعض الخدود وذنبي واحتشوه ثم ولّوا وكثيب
ثم نقلهم الى بعض القلاع عبرة لمن اكل مال الله واطعمه الزهد ثم لم يتوكل على الله وهم
بصاحبهم فاخذ جلده وانتزع دونه سنره ولم يقصد السلطان قصد
استيصاله ونقضه عن فضول له فترك وراء الحجاب على قدم الزهادة
وغضّ الفطام عن العادة وعطف من بعده الى جماعة الاشراف العلوية
ذوي الغدوات العلية فاشعرهم ان حشمتهم بالطاعة موصوله وحرمتهم
ب بلزوم القصد وترك التعدي الى حيث مكفوله فتلقوه بالاجلال وقابلوا الفرض بالامتثال
علما بانه امر ظل الله في ارضه فيما يغني عنه غير الانقياد والميل الى العلو للاقتصاد
واستخلف على الرياسة عند الشخوص الى الحضرة ابا نصر منصور بن رامش وهو
يمت به بقرابة الى السلطان الا قطعها عليه صيانة له من تعيين
الكرام وتقريب الرجال عند ذوي الارحام وطوع له فكان الاحرار والاشراف
الكبار والزعماء ان يخدموه بكرة واصيلا ويخصوا انظاعه جملة وتفصيلا

فمن ورم انفه دون طاعته شريفًا كان او مشروفًا نفي عن بلده وعري عما تحت
يده فتحت اليه الاعناق واحدقت بفنايه الاحداق واستتب له رياسة لم
تعهد لاحد مثلها من روسا خراسان الا لابا عبد الله العتبي فانه بلغ مثلها ولكن
بباع عميم وايد غير عتيد وباس شديد وحلم وعيد ومال نادي على العفاة هل
من مزيد ونوش في زمانه بساط العدل وقواعد الاحفاش لو جاذب الشي
والراش لشدة اكانى الانصاف ونفقت سوق الاحتساب بالدرة فوق الاكتاف
فمن بدعة مرفوضة وزينة مخفوضة وجلود على الحجور ممامه
وعيون دون الفضول منامه وبطلت معها الحانات والملاهي وخرست
العيدان والمزامير وكسدت الحان الناي والسكادي واستوي في
الانجاد والالباد ثمن الاسنان عن الثنايا بالعذاري فاما شوارع
اسواق البلد فقد كانت منذ حين يسابون نفضا الاديم عما ولا ابطلها دون
السما سما غرفها الاعاصير تارة ويردعها الاهاضيب اخرى فاما التراب
فمثار او امسا الاندا فلوجا وامطار لم يعطن احد من ملوك خراسان
واصحاب الجيوش بها لاحكافها باخواتها من ديار خراسان تسقيفا لها وتشييدا
وتطيفا عن الاقذار او تطهيرا حتى ورد الرييس ابو علي وطالب اهلها به فلم يعض

شهران حتى عمت نحو السكان سقوفها وقامت على اركان الاعواد حروفها ٢٢٥
فمن بين منقش ومزخرف ومدبج بالاصباغ ومفوف منفتح منها فرج
يقلدها ما تلمح صبابه الانهار على الابصار دون ما يوسع له دون الفطنان ومن البحر
استغراق فقلدة العامة ما به الف دينار عن طيب النفوس وفضل المكسوب لم
يكلف احد عليها ولم يستكره دون المثال فيها بل عمهم المباهات وشملتهم
المبارات وانفقوا موقنين ومستنصرين ولانفسهم على العجز دون المراد
مستنقصين فمن يشق فيها سعيا او عاش البين ما او نابيا اذ دان
الكاهل فقد اله فترك على شغل النظر لشغاله فيها لها من سما شاخص
نحو السماك ومزايد ملكانا ميلا على الافلاك وما عاد الرييس الا الحضرة وقرر
فوحال الانكاه ومن عزله وولاه وافق هوي السلطان ورضاه فصادف
تقربا فمكينا واحمادا واسعا مستبينا وسنوح دون سنوح ما انتجه
من هذه الاحوال ان ازاله الله وبسره هو

ذكر الأمير
صاحب الجيش أبي المظفر نصر بن ناصر الدين

فقد كان السلطان يمين الدولة وامين الملة لما ملك خراسان واخلاها من
شر ذرية آل سامان عن وليه مولاته اباه وهجرته فيها اسماعيل بن ناصر الدين

اخاه اعظم ما لحق الكبير واعترافا بواجب الفضل فولا بيسابور مضته
اصحاب الجيوش الكائن على وجه الزمان الغابر سادا به مكانه من قبل اذ
هو سايس الجمهور بعد برهما تبدل الامور ومن وضع لقاه موضعا فقد
سد قبل نفسه ورآه اهلا البعض قلده فقد بالغ في البر والتوفيق
وخرج من عهدة النصيحة فولي سنين عدة حميد السيرة في الحيرة كريم
الفعال في سياسة الرجال وجرى على يد من حميد الآثار في مطارده اي
ابن هيم المنصور عنه كفايته وكفاية ما كان بطوا من معرفته وشفاته ما تقدم
شرحه ثم راى السلطان بعد ذلك ان يجمع به شمله ويصل بمشاهدته حبله
فاستدعاه واهله به مستنجحه وبغزاله فلم يزايله بعد بحال ولم يفاضله في
حال التي حل فيها حال وكان يراه في مقاماته اول يجح بوصيه في المحاماة على دين
الله والمراماة من دون حق الله ولقد ابانها المهجة نفسه ان كشف نحامه
او عظم على جوش خوائه استلحام شفقته بجيش اهجمه الزري وشحنه
من الرحم الدنيا وكان يبصر بفضله ابي حنيفة اعتقادا فيه الاشمالكم
رشادا فاقام بمدينة نيسابور في جوار القاضي ابي العلاء صاعد بن
محمد والفقهاء حتى انساها وحسن جاليس على قرائها ودارس ما في العلم

في ذراها فبقيت تذكر عنه تغديه العلم وتراح وتثني عليها الامثال
والاصباح ولم ينقم للسلطان طول ايامه فوقه محالا ولفظا دون الصواب
مستحالا ولا شكا احد من الكبار له جانبا ووقع الا لاشفاق الذنوب
في الابتداع مجانبا وقضى الله ان خانه الشباب ولما استوفي لمدة ونقض باقي
الامل فيه بدل فلحق بالواحد الغفار ان الكرام قليلة الاعمار وكنت في رثيه
رسالة سبكت ابياتها في ذكره اذ كان في ضمنها ما يفي بشرح حاله
ونفرد بعض خصاله ٥ وهي ..

آه من سقرة تعنيا باب آه من حسرة على الارباب
آه من مضجع الامير المغيبي فوق فرش من الحصى والتراب
نصر بن الامير ناصر دين الله صدر الحروب والمحراب
صاحب الجيش ذرة الفخر غوث الكرام والكتاب

نعايا ساسة الرجال يا سادة الفعال يا اعيان العلوم يا اخوان النجوم يا
شيوخ الاسلام يا عيون الكرام يا احرار الزمان يا انصار السلطان
نعي الى كل حي نعاقبي الكرام احتل ربع اند رون اي ركن انهدم واي حد
انثلم واي عقد انفصم واي سور انفصم واي روض ذبل واي نجم افل واي بحر

نصب واي طود تحصّبا واي خطب نزل واي نصر رجل رحل والله نصر
بن الحسين الجليل ناصر الدين الحسين بن الامير والشهاب بن الاثير والبحر بن الصبين
والجبر بن النجم بن العنبر بن العبير من خ الملك اوعفانه وسور الدين او
سوانه وركن العز اوعزانه ونور المجد اوعزانه وفارقت به بحيرة الادب
التي اشتعلت بها الشفاه وضلّت قبله العلم التي ولّت شطرها الحياه
وجفت طينة الفضل التي خدمها الكفاه وعرّت دوحة الكرم التي
خبطتها العفاه وطفقت كعبة البر التي درس عليها التوحيد وعدّت
بها اليافع والوليد واجتثت فواضل البرهان وخليت عواطل الاتحاد
واقشعت غمام شام لبنا الدين بوارقها وخاف احزاب الكفر والجحود صواعقها
فلا امان ولا امن ولا خوف ولا رجا فاضحى به جيب الزمان مشقوقا وسكر
الحدثان مشوقا وبنا العز منقوضا ولوا المجد مخفوضا ودمع الدين
مسفوحا وطرف الاسلام مجروحا واقبل في صورة المفجوع وبزّة
الخشوع تقيّد مطا خطوه وينفث الى اهله شكوه مغرقا في صعدا
بندوب لها حواليها الدموع وتنقد لها الواجب الضلوع ه
ولو عز المنون اتاه اهوى اليه اخوه بالبيض البواتر

يمين الدولة المأمل المرجي صباح الدين مصباح المفاخر
ولكن القضا له مضايق العنق مضيّه المناخر
الا يا صاحبي سمعكما الى ان كنتما مسعدين وجامعين الى كلمتي الندبين

شعر

الما على نصر وقولا لقبره سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا
فيا قبر نصر انت اول حفرة من الارض خطت للسماحة مضجعا
ويا قبر نصر كيف واريت جوده وقد كان منه البر والبحر مترعا
بلى فقد وسعت الجود والجود ميت ولو كان حيّا ضقت حتى تصدعا
فتى عيش في معروفه بعد موته كما كان بعد السيل مجراه مرتعا
ولما مضى نصر مضى الجود كله واصبح عرنين السماحة اجدعا

لئن جاز للموت ان يغصب الامير نصرا لقد ساغ لي ان اغصبها معنًا وابن معن
من شقيق ملك الشرق وسايس جمهور الخلق والقاطع من قمة الفرقدين
على الفرق سلطان الزمان يمين الدولة وامين الملة من دانت له القروم
واستكانت لهيبته الترك والروم ففي بعض خصاله الف معنى لم يرق اليه
معن بهمته ولم يلق له ذكرا في ديوان نعمته قال خطوه من سلطان زمانه

ما نفاق اذا الحرب قامت على ساق ودارت كووسها بين حاسر وشاك قال
فصححه ابن سنان في جوابه وفضله بالسخا عن موجوده ثم لم يعرض له قط
صيانة لفعاله ولم يفترق عليه من بعد ذهابه تغير حاله وحاله
ان الحمير نصا اورث الغبا اباه ولم يحلم مدى العمر الا اخاه ولم يثنه عن نزاع
الاكابر عن شغل المواهب وفلول الاسياف عن قراع الكتايب وقطيعته
الدنيا في صلة الرحم وعصيان الهوى في طاعة السلطان ولي النعم نشا بين
القرآن والتفسير والايمان والتذكير والعلم بالصلوة والصيام والفرق
بين الحلال والحرام وسخا الوري بطوف الغيان وسنى اعلى بحبة السنان
قد اقسمت ايامه من نوابط السلم باسمه الثغور او الحرب ظاهرة البسوق
فامست المغاني والبواني وامست الدقاق والمجالس وامست المحاضن
والمنابر وامست المقابر والسماطين فيوما في جحيم الغضب ويوما في
نعيم الادب ويوما بين ظلال السيوف ويوما بين معاني الحروف رقيقه
اذا احتمى زجا وفيعته وقلبه اذا احتمى حملة او شريعة فكم
في ديار الهند له من وقايع انطقت الحديد واخرست الوليد وسكنت
الشوق وفجرت العروق وغادرت بيض الرباع في قحمة الليل وخضبه

الجزى عن مشيله الجميل وكم في سوادي الفضل له من محاسن تلثم اطرافها
الكلم وتعشق اوصافها الامم وتسجد لاعتلافها الحكم وتأوي الى برد
ظلالها بزرد الكرم قد غنيت بذوب العقول عن صفو الشمول وبحلو المقال
عن كعب الغزال وبعز البراهين عن نزع الزباجين فالخليل على ذكره محشور
وكان سيبويه من طيب نشره منشور وايمة الهدى عليه عكوف وملايكة
العرش حوله صفوف فمن صحيفة للذكر منشورة واخرى باقلام العدل
مسطورة ولا لغو فيها ولا تاثيم الا قيلا صوابا وحديثا كالخالص التبر مذابا
نفس عليه الدهر مكانه ان الدهر غيور وعلى عقايل الزمان حسود فضعضع
كياد النظار واضجعه عناد اللاحرار شاغلا عن الجود يمينه وعن
السجود جبينه وعن الذكر لسانه وعن الغزو سيفه وسنانه حتى اذا
كان يطمع في انتعاشه واستمكانه وقد عرفت على عيان القذا باضعاف
جثمانه فجعه بروحه الطاهرة ونفسه التي لم تعتد الا النعيم الاخرة
فنجى من العمر انضر ما كان غصن شباب وانطقه فصل خطاب والكرة
عود نضارة واحفظ جوار واوثقه بالدنيا دارا فكم هالة
من شؤون مسفوكة ودموع مسفوكة وجيوب مشقوقة وروس محلوقة وصدور

مكلومة وخدود بنعال الشيب ملطومة

رمى الحدثان نسوة آل النصر بمقدار سمدن له سمودا

فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا

حتى إذا انشق برد الذي عليه وقربت حمولته البلى إليه تناءت عنه أكتاف الرجال كما تناءت عنه قبل مطايا الآمال وكان الشمس غربت من حيثو التراب والأرض غرقى في دموع المصاب والآذان موقورة من رفع العقائر والأبصار مخطوفة من نقض العمائر فقد كانت الوجوه مسفورة للنظارة والجموع محشورة للاعتبار والعيون بين جموم يجري سوافيه وجمود لا يسقي مآقيه وودت أن لو هوت النجوم لو صادفن ليلا فلعون ويلا وشاق حزني على المصاب حتى نحلة فأما الليل فقال الحسن فيه من قال وإن تركت الآن نخاله

لقد حكت الليالي في دجاها لموت الفقيه مصباح الظلام (الإمام)

فأشعلت النجوم الزهر ثم تحشمت من مدامعها انسجام

ويطلق مجتبرا كلا كل مصابرة لها موقف الوداع حيا

من كان مسرورا بموت أميرنا فليأت نسوتنا بوجه نهار

يجد النساء حواسرا يندبنه بالليل قبل تبلج الأسحار

فقد كن يخبأن الوجوه تسترا فاليوم حين برزن للنظار

فإنا لله وإنا إليه راجعون من شعوب تركت القلوب شعوبا وأوسعت الأكباد ثقوبا وكظمت النفوس كروبا وسفحت العيون غروبا وفضحت الوجوه قطوبا ونثرت فينا الأصلاب أنبوبا فأنبوبا وسار شخص العلي إلى حفرة البلى فريدا وحيدا ولم يغن عنه وجوده ولم يجد عليه جنوده ولم تقاتل عنه قبوله ولم يناضل دونه مرؤه وكهوله خلا أنه فاح ذكاء مآثره لما فاح كثيبا مجامره ووهب على عرشه الرقاب كما أوهنت جنبي أثقالها النعم التي غاب

فليس نسيم المسك ريح حنوطه ولكنه ذاك الثناء المخلف

وليس صرير النعش ما تسمعونه ولكنه أصلاب قوم تقصف

أيا ويل العفاة من بعد ما جاءهم وما فعلت بهم لياليهم لقد انقصم والله حبل آمالهم وانقطع دون هذه المواقف حظهم وجمالهم كأني بهم عادين على شدة كانت بالأسواغ تلتزم وبالأفواه تستلم وبعتبة زكبانها تتمسك ومن قدمه أركانها يتمسك فقد افترقت الأبواب والحجاب والحجاب يسألون بين الأمير وما فعل الشيخ وابن الحاجب والوزير وابن المناح والشمني وما هذه (الوحشة) المنظارة والعبرة المنثارة والظلمة للساحة والغمة الشاملة يقولون

ركب الامير بن وزاباه وحيي بالسلامه محياه وتقضي بنية الاعتكاف على ثراه
وبعث شلة من هجو طال عليها مداه فمن تركب للسلامة تخذل ابوابه
ويعدم ثوابه ويعرض لحجابه ويوحش منابه هـ انه الركوب فمني
المعاد يقولون ميعاد وانتم المعاد الم تروعي وشه بالامس ممدودة
وعروشه مخفوضة وحبله مملوبة وسروجه مقلوبه وابا ماه مفجوعة
واباد بنائها دفو الطعام موضوعة هنالك نادوا ثبورا وعلموا انه
الحق مفقودا وعقدوا حامة البيت مناحه وسواعين الورى دون
كرما وسماحة وادبا وفصاحة وافعاله الاكما سن الحسن بهم وابتذ
كفه الكليم مغداه ومراحه يعتبون على الحجاب وقد عدوا في
بيض الثياب ابنع السواد وقد كتب الحداد الان احوج ما كنتم اليه من عتو
هذا الخط الرسم للوجوب ولبستم لبسة المنكوب ووقفتم وقفه
الحجاب للسيد المحجوب ع

يا قوم ليس بياض الثوب مرتبتكم وقد فجعتم بمولى كله كرم
ردوا عليكم جميعا فضل لبستكم ان الحداد على المفقود ملتزم

وطفقوا انشادون بينهم عتبا على الزمان وعدمه للفضل والاحسان

يا دهر دونك ما فعلت فقد غدا بك كل ما يخشى الرجال سليما
من ذا الذي يرجا وقال بعد ما غادرته نضوا في التراب مقيما
ما كان اعذب شيمة وسجية والذكرة والطيب خيما
ومن العجايب والعجايب جمة ان الكلام وقد عدمت مليما
يا دهر ما لك طول فقد ترتعي روض المعالي ما رضاق جميما
يا دهر ما للدو الكرام اولي النهى ماذا ابصرت لو نزلت كريما

لبن شل الامير اباه بلقياه علته لو عتبه وصداه لقد سالخاه بان علم مثواه
مصبحه وممساه ووكل من بعده الى نواهم الارض ولواحس التراب فراه
لكنه ما يصنع وشيف القضا الحق وحكم السماحتم لا يرد ع

ومن قبله ما قد اصيب نبينا ابو القسم النور المبين بقاسم
وخير قيس بالحليمي في ابنه فلم نبغه وجه قيس بن عاصم
وقال على في التعازي لاشعث وخاف بعض تلك المآثم
انصبر للبلوى عزا وحسبة فتوجر ام تسلو سلو البهايم

ولهذا ردت المون من وقاح وفرق كفاح ما انشبت به الافرس ولا احج مخلبه
الا المس سوا عليه الملك المحجب والسلطان المتغلب والمستقر المستضعف

والسوقة المنصف

الا تعش هذا الموت كيف اتى الى حمى قصر العالي المنيع الجوانب
فمر على تلك القنابل والقنا وجاز على تلك القواضي القواضب
عجبت له والموت ليس بمعجب وفيه اذا فكرت كل العجائب
لعمري لقد جاءه جرى عدا على نهاب النفوس واغتيال الكتائب
وفيهم فتح الحصون وانها سوامي المراقي ساميات المراتب
ونصرته بالفلك في غزواته ورمي الرزايا وافتراض المضارب
فكر عليه شدة الليث وانثنى كطوف فحول السوح ول الغرائب

ومن عجائب الامور في حكم المقدور ان اخترم الماضي برد الله مضجعه
ونور غرته حتف انفه على خطارته بنفسه في قحم الحتوف واعراضه
للشهادة بين الاسنة والسيوف كخالد بن الوليد حين وفي اجله اذ قال
ثاو من الحروب منذ عقلت فما في بدني معقد ابرة الا وفيه جرح ضربة
او جرح طعنة وها انا اموت ميتة الحمار ان الحكم الا لله الواحد القهار
اوكلاما معناها اما ان خالد بن الوليد لم ان سيف الله لا يقتل بالسيف يلدر
وكذا ال القتلة تنوا الى موت الشباب من خصائص الحتف وان الله تعالي

لما جعله اكرم النفوس مناقب فيض له احمد الامور عواقب ولقد فرغ ابن
الرومي من هذا المعنى فجود وبيض وجه البرهان بما سود هـ

اذا لم يكن طفي الهيجا منيته فاكرم الميت يدوي غير مختضد
اما ترى العرش لا تدوي كرائمه الاعلى شوقها في اخر الابد
لمينه السيف قوم يشترفون له ليس من المجد في غاية البعد
عز الحيوة وعز الموت مالجتمعا لشيء وابي لبيب العز ذي العمد
موت السلامة للانسان يعلمه وانما القتلة الشنعا للاسد
لم يعمل السيف ظلما في ضرائبه فلم يسلط عليه كف ذي قود

ولعمري ان الرزية به قدس الله روحه لما طن الغموم مشاطرة بين
الرجال على العموم عنيت ان القاضي ابا العلا صاعد بن محمد وسائر
شيعته والمتازين من رجال شيء بعته او في من الاحزان اقساطا
واشتد على زود الاشجان انبساطا هـ

عزي الله تربته لهم ظلا ممدودا وشربا مورودا او كهفا مقصودا
ولوا على نصرة الدين مفقودا ولولا ان الله تعالى سلى بهم المصاب
وخلا الاكتئاب بملك الشرق وسيد العرب وحجة الله في ارضه سلطان

الزمان يمين الدولة وامين الملة اطال الله بقاءه وحفظ على الدين والدنيا
بهاءه وسناءه ففي بقايه عوض من كل شاجب وخلف من كل عازب
وغارب لا تسع القول في عظم هذا النعي وفقد ذلك الشهاب المضيء
والنقاب الالمعي غير ان النعمة بحمد الله فيما نفى ضافية اللباس نامية الغراس
ناضرة الاكناف جافلة الاجلاف فلا يزال فضل الله عليه غطها وصنعه
لديه جسيما ولطفه كريما ولا خلف عنه الزمان نيما والهمه الله فيما عراه
برد الصبر وعرفه فيما عزاه فاتحة النصر ولقاه مثل الوهم مواهب
تحوط الدنيا في سلك ملكه وتقرّ بها لخق الوجوب في قبضة ملكه
ورحم الله ذاك الامير العديم النظير والجليل الفقيد المثل والبديل
رحمة تبرد ضريحه وتقدس روحه وريحه وعرّفه مساعيه في
الذب عن دين الله والسعي في سبيل الله والفرض من ماله لاوليآء الله وعوض
المشايخ اللتان عمادهما واوهاهم ثوابا يحفظ عليهم دينهم
ويثقل في موقف العدل موازينهم وجعلنا من المستعدين ليوم الدين
ان حكم الله تعالى الخلق والخلق فيها شرع والاخر للاول تبع والحمد لله على
كل حال والصلوة على نبيه محمد وآله خير آل

[illegible]

ذكر ما انتهى اليه امري بعد بلوغي هذا المكان

من شرح اخبار السلطان من قصد الوزير شمس الكفاة وافتضاله حق الخدمة والموالاة

قد سبق في اول من خلعه وتمهد عنده من آل ودنية وعرست انشآء
ذلك في التقرب الى شمس الكفاة والتكفل بآراه والتجرد لما ارضاه
ما رجوت على الايام ايراق شجرة واتساق نورة وثمرة بعد ان صادفت
من اتار رعايته ما لم يكن يليق الا بهمته وما نشأ من كرمه المجد
ضمان ذمته فرأى عند وصولي اليه وعرضي موضوع الكتاب ومجموعه
عليه ان يسمني بالتقليد ويسيرني الى كنج رستاق على البريد عليها في عوض
يعرف ابو الحسن البغوي العلوي شيخ ظاهره نور وباطنه دجور ومنظره
متن السيف ومخبره زبد الزيف وأوله مشوب العاسل واخره فروث
السنابل واستحق موقعي عليه بانه لم يناسب خشمه الامر واحرمه
الاقلام والمحابر بوهم من جانب انه مبعوث ومن اخ ان الحقد موروث
وقد كذب ان الوعاق من منبع التشرب محال ووراثه مجاني الاولاد
حلال وما علمنا ان موالاة الابنا معاداة الآباء وان والدالك شيح ولد في [illegible]

ببالٍ آن الدفين معتقده حتى يباغض من ذا فقه اوبما هذه قاضرب
بما وجوب عقد الموالاة به وسامني حبا به الذين بمواطاته على كابن
تُعلق الرقاب وتوجب في عواقبها العقاب حتى اذا علم ان مثلي لا يقر على
الباطل ولا يرضى باستيكال اليتامى والارامل رام ان يعوقني في دون
دون ويتيههني في تيهور فاحتال واكتال وحرس على الامر الاشبال
وابى الله لعلمه بعباده الا ان يحيق به مكيدته ويكشف عن ابطل الغرور
واقوال الزور فضيحته ولما ايس عما رامه وابلس عما جرد له اهتمامه
واعزامه عرج على استنزال شمس الكفاة بسحر التمويه وعرض صورتي
عليه في معرض التشويه موهما اياه ان لي صغوا في بعض من ناظره يوما
على رتبة المقابلة او وازنه بميزان الموازاة والمماثلة علما منه بان
حلمه لا يستخف بهذا التاويل وان رابه علمه لا يستنزل الا على
مثل هذا التخييل حتى نفذت فيه رقيته وعملت في سنوله
دخنته فسقم حقدا والارض من صوب العهاد واتكف من وشم
السواد والثوب من لون الجساد او صبغ الفرصاد وعلم الله اني لم اكن
لاضمر كدرا على صفايا او اسر حسوا في ارتغا او استخبر غمد الصنيعة

او طما على غير شيء بعته عبري من نكب عن نهج الوفا وغيب دون فرض النعماء
وودع خفو المنعم المثيب وردا الحجى الى عزان الغليب ونزعني عما قلدتنيه
بقدم من اهل جرجان لا يعرف الرشد من الغي ولا النطق من الفي ولا
النشر من الطي ولا النقد من اللي ولا الاثبات من النفي ولا جرجان
من الزي شوهه بوهه قد صبغ من طول الفناء وزرقة البزاة ولبقه
الدواة وصفاقة الصفاة ونجد الصحف بالعشتان طالما حتى على
العشنون تشمما للتراب وكففا للعصا في الجراب ونصرفا على المحس
بالصوف ونحبلا للالف بقطبين من بين الحروف وطفق يتفصح
لكنه عجمية في شغف كشعر الموصوف بوثان الصوف مستميحا
كل صراف واسكاف وعطار وبيطار على سعر صفقته الاولى اذ
السلعة قايمة والجلة دايمة والسبحة ممطوة والنخلة مابونة فعبر
زمانا على هذه الجملة في الوقاحة والوناحة ثم انتجع خراسان ببضاعته
المزجاة فوافقت على البطن الخي فافبولا ولبست من غر العطا غرة تحجولا
فلما تعقبها التامل علم ان صرف الانتقاد ضيع المال واورث الوبال
فاهمل مخذولا وعود في فلد تسعه مرذولا الى ان عن شمس الكفاة عن

نفسه فاختاره علي ونفذ معه ملكه البغوي الغوي في فقصدت
من المكروه في الروح دون سائر الممنوح بها ولولا مكان الامير الاجل
السيد ابي سعد مسعود بن يمين الدولة وفضل احسانه واستقال
اياي من فجاءات اشداقها باحد علاته لتراقي الخطب الى ما يعوق تلافيه وتغلق
تهن الجيوب بما فيه ولو كنت عرفت من سيرة البغوي قبل ما عرفته
بعد لها استعفيت من جواره واحترست من مساقط احجاره لكن
السرائر بعيد الله لا يكشفها الا الاختبار ؎

والظلم في خلق النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

وقد كتبت الى جماعة الافاضل في ذكر المذكور وشكواه ونقرير مجاباه
ما هذه نسخته ؎ بسم الله الرحمن الرحيم لجماعة
ارباب الصناعة وعصابة اعلام الاصابة من مبادي الاشراق الى اقاصي
العراق من محمد بن عبد الجبار المعروف بابي النصر العتبي رسالة تخص
كل حاضر موجود وتعم كل لاحق مولود ما سمع الحجيج اذان واطلق على
عبدة الكفر عنان وشيم في سبيل الله حسام واقيم على كتاب الله نظام
والحجام سلام عليكم ما تاق شائق مصبوب واتى افاق سكوب ودر
على الابساس حلوب ولاذ الى حوبة الوغا فارح يعبوب سلاما يميل

على نفحات السحر قضبانه وتنم على فتات المسك والعنبر ارادنه
اما بعد فان لله حمده مازانه التي تبلج للسارين صباحها وتبرج
للناظرين وشاحها معتدلة القدود موردة الخدود مضفرة
القرون منورة الشؤون مبتجة المعارض مغلفة العوارض مخضبة
الاطراف معطرة الاردان والاعطاف متأسنة على عباده
ابدا تقتضيه حكم كرمه او ابتلاء لاثارهم في جنب نعمه نعما ما بدا
شؤم الخذلان وسائقها لؤم الكنود والكفران تخالط ابناها
مشوهة المطالع منقشة القنازع مرققة المواشر مقلمة
المشافر مغوله المعادي والمحاسر تصهر فهم من اخلاق مذمومة
واخطار مشلومة واعراض مكلومة وافعال بعاجل العار واجل
النار مختومة وقد تستحيل النعم لعيا بها نقما منكورة كما
تستحيل المحن على اربابها منحا مشكورة تطبعا على خلق
المكان وترعا على عادة المقصود بالاحسان كالحب يعطر
من نوافح الند المعطرة والجو يفهمن روائح الحشوش المقيرة
والمزن يسقط على عرصة الروض فواتحه طيبة وفضائح وتهبط

على فروه الطب فبعده بحاسنه وقذاره ولما القاح ليسقى
عروق الشجر بعضى عليها باختلاف الثمر يقبله كل منها على ما اسبه
من مراره وحلاوه ومزازه وحرافه وتفاهه ولطافه يسقى بما واحد
ونفضل بعضها على بعض في الاكل قدره من لمبدئ بالاول
والموجود في المنزل ان تشر خلق الله بعضا وشه ولجنتهم
قد يزوقهم من صنعم صنع الله رأى منها اللطافه شوان من
صهبا اللباقه فصار من غلل السجاحه ميسان في حقل الراحه
حتى اذا حط رحله وخالط البشر الخصيب اهله قراه من بوس الخصال
وعبوس الملال وضرع الاستبدال بعضه الاستبدال ما يطير واقعه
ويهيج وادعه ويشتر ودون ويعقر ولون غير حل في سواد الجداد
شاديا سوء الجار وخضرع الذمار وذلد المقدار وغلطه بروحما
ويدحصار بانيا على ثنيه الوداع صليفه متمثلا بقول القايل

نعم الله لا تعاب ولكن ربما استقبحت على الاقوام
لا يليق الغنى بوجه ابي يعلى ولا نور بهجه الاسلام
وسخ الثوب والعمامه والبرذون والوجه والقفا والغلام

ولولا ان العقاب تبع للخطاب وان الناشر على اعراض مجهول في حكم
الاعتبار ونص الكتاب وان مجاز الشعر غير حقايق الكتاب لادعيت
غضب الله على نعمه حسن ابتلاها بمجاورة الاندال وزوالها عن مظان
الاستحقاق من كرام الرجال غير ان المقصود فيها الاهم وقد قابلها
الاستخفاف وكابر عقله من جوارها لغير انصاف اولى بان يقهره
دح عاجل الغضب ويصهره اجل اللهب فكم من والد دما اشرقه نميره وقد
زند احرقه سعيره وشاحذ حد قطع به وريده وراكب جواد قصم عليه
حيده وقد يخلف مواقع النعم من اربابها على شبهها ممن سارت اليهم
ونيلها ممن مالت اليه بسوء اختياره وقبح اثاره عليه فالاحداث فيها احسن
حالا واربح خصالا من الكهول الطاعنين في الاسنان والشيوخ الحالسين
اشطر الزمان فليس من قرح وحنك وسبر وسبك واخذ على حبه
الاستبصار اوترك كالغتر لم ملقحه هواجر الامور والغمر لم يردعه
زواجر الدهور والغفل لم تنبه الحادثات باحوالها والمهر لم ترضه
الرجال باكفالها وقد يعذر البازي في طول الجهالة بالشباب الذي هو
طليعه الحياه وشريعه الشهوات واللذات وانما ليس العقل بغير

علمها عقاله وصيقل التجريب لم يحكم على متنيه صقاله وان

الراى برعومه سقفها كالجديد بدد بدد سعود وشمس تطلع

ثم تغور وموسم زمان تفوح فيه النور والنور وان الشباب شعبه

من الجنون وان ولم الطف يروع عن المجنون والحدث الغر كالجما

جرحه جبار وجمحها دون جنايتها اعتذار فما بال من خلع لباس

الحداثه ووضع جلباب الطراوه واجتلى نهار المشيب عيانا وافنى

للمشايم الوانا

سوداجيه وسحق مفوف واحد لونا بعد الهجان

وحان له ان يصحو عن قهوة البطاله وينزع عن سطوة الاستطاله

ويبكى لضحك الشيب براسه وتصول الانفاس من قرطاسه وتمشى

الوهن فى عظامه وقعود القوى به عند قيامه واصباحه على حماد

نرمه وافتضاحه بعثار قدمه ونبذ برهان الله عليه باتساع

مجنه وانقطاع جنته وايلاع النهار اعنافها لا لتقاطه واحتطا

ها وملغى سراطه لستحير العمى عن سبيل الله والصمم دون امر

الله خبطا فى ليل الخبال وحطبا فى حبل الضلال ورجوعا فى

حافره الخسار وولوغا بفاجره الاثار وخلا فى شطن العتو والغلو

واباالاعلى النفس الامارة بالسوء فلا درّ در الشيب مشوبا

بدنس الحبب ولا نورت اقاحى القذال لا على مكارم الافعال

فاقبح ما اجتلاه الطرف يوما ضيا الشيب فى حلل الخضاب

نعوذ بالله من غضب الرحمن وختمه الثم بطابع الخذلان وتعريضه

المشيب لما انهتك من استاره وكشف من اسراره ويحق من نواره

ويحرق من نوره ناره وعصم اقمار الكرام واحرار الانام عن

مصرع الغوى اى الحسن البغوى ذى الة الاحتيال وسلة الافتعال

وجراب المخاريق وجراب التخابيط وعقرب النضيب وبليع الاله

وشبيه التدليس وربيق التمويه والتلبيس ومراه الغريب ومقرا

المعيب وافه الجود وخرافه الموعود وحربا الالحاد وتمسا

العناد ويربوع النفاق ويعسوب الشقاق وضبه العقوق

وفاره الفسوق وثعلب الخداع وخنزير القصاع وكلب الهنات

واسود الترات وحرصنه الانذال وفرضه الخبث والخبال

وسكين الارحام وببرز الدم الحرام ولعل من تصفح عن

نعم

هذه الالفاظ منسوقة الاسجاع مجموعةً ومفروقةً منطويها
ركوب البهت في حلبة الاقتدار وعصيان القصد في طاعة الاهجار
ادلالا بنضاضة البلاغة وايما الى مقراض السفاهة بالفصاحة
وحذوا على غرار الشعرآء في استعمال المجاز واغفال التحفظ والاحتراز
وانكارًا لالتقاء هذه المساوي السود في شخص قد شرى على تصاريف
الزمان وجرّب واذل على طعم لحواله وشرب لم يعلم ان الله تعالى
اذا خذل من شاء من عباده لم يؤمنه الاحما اسنونا وجلدا على
اخلاط الفساد معطونا وعلى شك خاصرة الشك عن واضح اليقين
بالافصاح عما ابهم والاصباح على ما اظلم تحذيرا لغفلة الانام
وتبصيرا لشاكلة الاستعصام وتنبيها على منزلة الاغترار بظواهر
النعم والانخداع بزواهر الاحاظي والقسم فكم من صفيح بروق
العيون نون ويروع النفوس مشهون وقد خطف عنا فيه رونق
واراق ابارنق عروق وقرا المنايا عن عضد من الانياب زرق وكم
شهاب لهخط بالاسرة نات او حل عن معقود اللواء الاب لسموق
الابصار ضيا ممدودًا وبهايا فوق السماء معقودا قد دمر طار

بطواره وهمد من رام التحيز في جواره وكذلك الدفلي
يغر الناظر بمخبره ويفتر عن عقيق الورد زبرجده ثم هو
الدآ المجلوب لمن خبر والسمّ المقشوب لمن فتر واعتبر ولولا
ان قصد الشريعة ان تسح غيرها على العموم وتكافي بين الكافة
في قضايا المعلوم اباحة للدابة التي هي قيد العلوم وصعد الحكم
المبثوثة في ابن قوم لقلت لله درّ ساسة العجم ورفعة اقدار
الدولة والقلم حين عنسوها دون ذوي الاستحقاق وخدروها
الا على الكرام العتاق

لله در انوشروان من رجل
ما كان اعرفه بالدون والسفل
نهاهم ان يمسّوا بعده قلمًا
وان يذل بنوا الاحراب بالعمل
فما لخيبرة لها كفاة في مناكحة الاداب وملاءة في متاجرة الكتاب
ولا كل مسك يصلح للمسك وعاء ولا كل ذر دري يصلح للعين جلاء
واضيع شي عقد في نحر خنزير وجد بكف ضرير وخطب تخب
فتر ونفس على بنان فاجر شر برها ان المذكور معيد الاخبار
بخراسان دناءة همة وقماءة قيمة وخساسة مفعول وخصاصة معقول

نشأ في بيت الفضل والنعم ونما على فرش اللين والنعم فرق
عليه نعيم النشب وعلق به نسيم الادب فاصبح نجيبا لاصوب
افعاله جديراً بحكم الانتخاب في امثاله ينطق به وبعض الظن اثم
ان الفرع الى الاصل نازع والغيث للغيم مضارع ولا علم بقضي
بان الثار تهفو اعن بماد مائل والجمر يطفو على عكس سافل
حتى اذا اينع واستنع حملته بذاله الطباع وخبائث السنخ تحت
يد الطباع على عقوق ابيه سعاية به الى السلطان فما حوبه واشيا
له باملاكه واملاك ذويه فامتلك عليه قبل الاستحقاق ماله
وقصم مجاله واحال حاله وفجع به امه واتب عياله واحجره
دون ما اقتناه على كبر سنه وضعف اساسه واشتعال المشيب
براسه ورسوب قذى العمر اخر كاسه فطفق يمري الشؤون
دموعا ويقضي اجل الكآب مخمصة وجوعا ويرجي مطايا الاستجاريش
بريد الياس وحث الانفاس بدعوات لم ترجع مخايلها الا
بقاصمة الظهور وحالقة الدين لا حالقة الشعور وحلف بعد
على من طلعت عليه شمس واله ورقت اليه اغصان فوائده فجمهم

نجب السلم وقرضهم قرض الجلم وعركهم عرك الاديم وقشرهم
قشر القلم فعادوا اعرى من الصحو معصورا والسيف مشهورا
والغصن مخبوطا والدجاج على السفود مربوطا كل ذلك بمريدة
ونصب عينيه حتى اضمرته الارض نديا للزفرات نطيما بالحسرات
نمرقا بالعبرات شرقا بماء الحياة وعقد على مال خطبه كنج رستاق
عقدا اشترى به اهلها واخذ مطيتهم بما يربهم من سداد الشيء
ورعاية حق الخيرة ذريعة الى استيلائهم واستيصالهم دون حرابهم
واموالهم وسامح عدة من شيوخ بنا بهم بعض ما لزمهم استماله
لهم على روسا معروفين وضعفا مضرورين وسامهم بعد الاحتياط في
عليهم في التراضي بزعامته والتواصي بطاعته عقد الوثائق عليهم
مصحح ما من مال ضمانه بنكسر وجبران حق من عقده يجبر حتى
اذا استتب له ما اراد واستوفى عليهم الحق وزاد ووضع عليهم
يد الاستصفا بعلة حاصل وباق وحابر وتاو فاخذ ما وجد من
صامت وناطق وصاهل وناهق حتى اذا ارب كل من في يديه وما عمر
اطلال الضياع والرباع عليه رام استنزالهم عنها طواعية وكراهية

ثم اهتبل منهم فرصة الخلاص على الظلم مما دهاه فاوهاه وعراه
فعراه سبقه محض العصبه الغايه بالافك في حصان التوفير ولهان
النزوس فارتد على عقبيه خزيان قد سال به السيل واسوان اطافه
الويل وناح عليه النهار والليل فاما ان يزول على حرب وفلول واما
ان يؤول على غيظ وحنق حتى استخلص الضاحيه والضامنه
واعتصر الباديه والامنه وغادر الضياع حسرى وشرد عنها
الزراع عزين واخرس الثغا والرغا وانطق الهام والاصدا وطم
المنابع والمشارع وحمى المراعي والمراتع فلو ملك عصافير الهوا
ويعافير الدها لاستكرههن عن طعوم القوانص وحموى الملاجى
والمفاحص قد شحا فاه للاطماع ولا مداخل الكهوف ومفاتح الولائج
الحوف

كالحوت لا يرويه شي يلهمه يصبح ظمآن وفي البحر فمه

وبادر الكلاب لولا احساح المالك بحوكه واستحلال حرام الملك بزعه
كانما عقد على الدهر حلفا لا يخونه واتخذ منه عهدا يصونه
ونحا ما من دونه متونه وهيهات انما ظالم حديات الشفاه

ومغارم معلات الغرايب ومصايد طالما خفقت مخاخها وضربت
عليها الشاهات رخاخها ومطاعم ظاهرها الادى وباطنها السم
وان من الربيع ما يقتل حبطا او يلم نعم واقام سوق الفسوق
خاصة وعامة واباح حمى الفجور بطانة وحاقه ملتزما سمه
الشطاره ومستمطرا نعمه الحجاره ومضاهيا سوس المجوس في
خبث الالحاد وصلم الاخوات والاولاد بلاغا منه ثقات
خدمه وادته على وجه الاتبان حيران حرمه وربما ارادوا له في
التسري ما وراموا منه تحذير حدود الله وتخويفه مما
عقاب الله مراما فما نزيدهم على ظاهر تمر عاهر يحق الجراد
ما لها احتفار تواريها ولا اهداب يقيها تصلفا بركوب الاثام
وتحلفا المحظور الحرام وانما اثبت لفظ التحلف قطعا على ما سمعت
بعض مشايخ الاداب يحكي عمن سال ابا حاتم السجستاني عن قول
النبي عليه السلم ابغض الاشيا الى الله شيخ زان وعايل متكبر
وفقير مختور وزعم ان القياس يقتضي ان الشاب الشديد الجلد
القوي المنه ابغض اليه من الشيخ المضعوف والمعتصر المنزوف

فقال هو على بنا قوله الغرض الاشارة الى الله التكلف فابغض الشيخ لان
فعله تكلف وتقدمه استدراء للطبع وهو تخالف لذلك هذا الخرق
المحلف والشره المتوثب فقد قضى شبيبته على اقتراف المحارم واحتراف
المآثم حتى اذا وضح القتير ورزح المسير وانجذ المرير وافرغ ما
الصبيرات عادة السوان ترخيه من عقالها وتعريه عن سربالها
وتصحمه من فضالها وتربيه على سعب الاران يوم قضاها

لا تعتودا اخي عادة تحوي بها ضربا من الشين

فعادة السوء اذا استحكمت شر على المرء من الدين

هذا والمرض بالعقوق الذي وسمه ودسه وسخم وجهه وحمه ورداه
بالخزي وعممه حتى قطع على رؤوس الاشهاد رحمه وقتل في الشايع المستفيض
ولده وكان لحمه ودمه فلو كان كاحد اولاد السوقة في اخلاق ولهم بين
الجذة والخلوقة لكنه اخمر تاء العهاد والزهد بذنب النهار
والليل برشف الرضاب والملك بشرخ الشباب والامر بطيم الوصال
والحلو بطيب الحلال والعفو ببشرى النوال والعيش حوب العذال
وشمس الحنوب بروح النسيم يعشق الادب قبل ان عقد عليه تمايمه

ورتبته دون الاختصاص روايه فجاء القدح هدى اوانه النصل
المطار وجدا اسفله الريش الطيار وناهز عشرين من سنيه يرى
الخليل في جنب فضله خليلا وسيبويه كليلا وعبد الحميد دليلا
وابن العميد عميدا ان خط فنقش القيد على ايدي الكواعب العيد
وان لفظ فعقود الورد منظومة واقاحي البطاح مرسومة ولولا
ان اباه اغتبطه دون مداه خلف من آثار بنانه وخلد من انوار ابداعه
واحسانه ما يفضح ما الورد في تصعيده وعصير الخمر عن عناقيده لكنه
لم يغن الا قدر ما لمحته العيون حتى اختطفته المنون فقامت نواعي
المجد بنديه جميعا وبكينه نجيعا فظلت من بينهم صريعا الشدهم
واله القلب وجيعا

قد كان لي في رايه وذكائه اشراط صدق ان يموت سريعا

ولقد ضمني واياه مجلس بعض اركان الدولة اليمنية فاتفقنا
نتأنس من بين الحضور على تنافث الهموم وتذاكر العلوم وتناشد
ابيات الكرم واللؤم فما كان الا ان حمي المجلس بنا به وعقر الشرب
بعقاره حتى انحل عنه عقال الخباره وانفتح له اقفال

اسراره وغرق في بحر الدموع عينه والقى الى ما دار بين ابيه وبينه
بقوما نشا عليه من خدمه الادب والاستغنا لعصام النفس
عن عظام النسب على طلبه من ولد في حجره والبروز على حكمي
امره وزجره وانه حين ملك امره وعرف من خلله خمره وانفرد
بتدبير معاشه وتوفير نعمته ورياشه ناهض باملة معونه ابيه
بعض ما يستحقه بره الابنا على الابا فلم يرده على ان زاحمه في
ارثه عن امه وحال بينه وبين ما اتت الله له من حقه مطاوعه لرفيق
اعتقده وذاق سيلته واذاقه ذليلته فخلاه عنهما تدبير دانيته
وقاصيته وولاه تدبير حاشيته وغاشيته وحكمه في عرض ولده
وساير ملحت يده فاجحف ذلك الفاضل دون نعمته واقعده
دون الاستمتاع بجمته وجعل كل من يعتري اليه منقوما مقدوعا
ومن نعتزيه ملطوما ومصفوعا حتى اضطره صراح الياس والحاح
الافلاس الى قصد شمس الكفاه لاستماحته وانتجاع ندى راحته
فحين علم ابوه المعتوه تجيبه على شاطي الاقبال واستقلاله على
مواطي الامال ندب الفكر لاغتياله واسهر الليل لاقتناصه

بالحق حبايله وحبايله فدس اليه على ما شاع وذاع وشحن المسامع
والبقاع من رعف له نقيعا غادره على فراش المنون صريعا فاستقل
غير بعيد الى جوار الله ودار كرامته متشبثا بذيله فوق هامته ومستصرخا
ولي العدل ومالك الخلق على ظلامته ومختصما حول العرش الى
دار قيامته وحدث عن قهرمان بيته وقد عاد الى ابيه السفيه
بما كان استفضله من رواتب نفقاته واقتطعه دون عوارض
حاجاته استظهارا به على حوادث النوب واشفاقا على معالي
الرتب والحرمين رفقايه انفقا من جمله المال قدر ما قطعا به المسافه
اليه ووضعاه في اكياسها حشوها بين يديه فلان جزاوهما منه ان وضع
الدهق عليهما حتى استغرق ملكيهما وانترف صليب العظام من بين
جنبيهما ثم قصدهما في روحيهما اشفاقا على صورة الحال وميسور
المال من هتكه الاذاعه وفضيحه الكشف والاشاعه لولا انه اعتصم
بالاستناد دون صاحبه مترعدا بما تكلماه ومبرقا باستمرار ما
وراه ولم يرض بالارث وقد حازه دون مستحقيه من قراباته وذويه
حتى قطع سياط المطالبه على وكلايه ومواليه وهلم جرا

الى شقيقة له محتجبة في الحجاب معنسة دون الخطاب خلافا
على الله في حكمه واجترا عليه في فرض الاسلام وحته واستحقاقا
لولغ الالسن في دينه المجروح وعرضه المفضوح وعقده
المحلول وسره المعجون بالفلول فعزاهم ذلك اناثا واناثا عما يسوه
من بال وجديد وطارف وتليد اعتلالا عليهم بقايا اخرجه للتوفر
على ضياعه وهي تحت استغلاله وفي ضمان منازعيه وعماله ولم
تستبق من جملة الذخاير الية رحمه الله عليه لتسليه غير سوم
بحريمه ومكدوم بعضيه ومنقوص عن ذخيره وذريه ومغلوب
على ما حواه من سعه او فنه فزارته المقصوره المحجوره تشكو
بلابلها وحنوعا وتمري عليه من احلها دموعا ضيقا بما دهاها
من اضاقه وافرحها عن مسرا السبب من فاقه ونساله سوال
المضطر ان يملك عليها ما ملكته ارثا ويحوي ما حوته عنفا وحثا
مصانعة له دون ما اطلقه عليها من ايدي الجنود ولخيافا الترك
والهنود فهز في وجهها ضجرا بما تشوقته من نظره وقلقا لما
خصصه عليها من ورق الصيانه عن شجره وجعل يرميها في جواب

اللطف والتألف باحد من نوالله القراع واشد من ململة القلاع
فعل من لا يكفه حرمه ولا يحنه رحمه ولا يروعليه رافه ولا يخف اليه
في ذات الله مخافه ولا يثنيه عن وجوه الناس حيا في ذوره تذال
وعوره نبالها الايدي الطوال فلما ايسها الاعراض ادركها الا
والات حلقة مصبوره لئن لم تنته عما لم تقصد مثله والد ذات
خدر وكريمه وراستر ليهتكن الحجاب ولتطرحن الجلباب ولتحثن
على قرونها التراب منطلقة الى حضرة السلطان في ايضاح ما
واريه الحد منه وطرحته المحاملة عنه وكتمته ضماير الاشفاق
فيه وطمسته ذيول المواده دونه فقال المجنون لاخيه وهو
معه في ناديه اغلق على هذه القحبه الورها فقد اسطرتها الفعول
وانطقها ذلك الاحتمال فما تدري ما تقول هذه والله حميته
الابطال في ذوات الحجال وحمايه الذمار ورعايه حقوق الحرم
الابكار ورحم الله ابا الفتح البستي حيث يقول
لي جاريه حسن مرسه تلعن اين
خلق الله الناس للعبره غيره

ولما فرغ هذا الفاضل عن هلاك والده ووراثه ما كان تحت يده
واعتصار المظلوم معزيلا لصحالها وغلا له ما لها المعاشه ومعاذيره
للتقبل بمعاملات باجنبه احتيالا لا علمه في الحاقه باحيه واقطاعه
دون كافٍ يتصرف فيه فتلطف واعتذر بما فقد حتى اذا اعياه
التلطف ولم ينفعه الا التصرف مد رقبته بربقه التعليل وكبر
سبعا على طارف الملك والتليد وما زال الجبى كل والود ونرود ويمرى
كل بكي وثرو حتى نضب المال الا قليلا وعصب ربقه الا تليلا
وطفق بعيره بعجزه وتجبيعه وسكيه على خرقه وتضييعه وامر فجمع
عليه ما لم يثبته سمع ولا بصر ولم ينبته نجم ولا شجر ولم يطلع عليه
شمس ولا قمر وسبب عليه الهنود وغلاظ كفارهم السود مالا
اوهى متن طاقته واتى من وراء فاقته وحرشهم عليه سطمع في عاجلٍ
موزونٍ وترغيب في اجلٍ مضمون حتى اوهنوه شدا واثباقا والخنوه
ضربا وارهاقا ووضعوا عليه في بعض لياليه دهقا استمر به الى
الصباح النابر حتى اذا لم يبق منه غير فاقر الطائر علموا انه
مظلوم وان الاخا عليه في دينهم المدخول لوم وشرعهم المرذول قوم ولوم

سعدوا ايديهم به لا عنين اباه ومن ارضعه وربّاه واطعمه بعد الله
وسقاه ومالطف الافاضل الكرام ممن توفى رحمه الله الفاجر على
قساوته وطبع قلبه وغشاوته ومن زعم انه والد يحنو على ولده
ويعتده فلذة من كبده وبضعة من روحه وجسده كل ذلك طمعا
في استزاده مالٍ واستصفا به حالٍ فصار امرها الى محق وزوالٍ فلا
رحم الله كل جافي العقيده جافي المكيده قاسي الفواد حاسي دما
الاولاد ان للآبا فروضا على الابنا وللابنا حقوقا على الابا فان لم
يكن من فرض الوالد ان لا يقتص منه متى قتل ولده وقطع سيده بيده
فمن حق الولد ان يطلع الله في صله رحمه وتوقى الاقدام على
روحه ودمه   نعم ولما انحرف عن الناس ذمه وانجلى عنه وصمه
اسرى الى جانب الامير ارسلان الحاذب في السلطان امين الدوله
وامين المله في زحفه السهم المارق والرجم المقذوف على المارد
السارق مستغيثا به عارض الناس ومستبقيا روحا معلقه بخيط
الياس فاواه وقبله ونشر عليه جناحه رحمةً له وكتب الى
اركان الدوله في بابه بما اطلع عليه سعاية ابيه وحمل ذويه نكايه

ثلاثه قصده وتحنيه وحاذ بالفاسق المارق افتضاحه باخر
ولده لما افضح ممن قبله اروى الله صداه وقبح اباه فلم يزل يلقاه تشعوذه
المخاريق وبرقشه المزاويق حتى افترصه مالا سد به منخر راسه ورد
معه عدوى امتعاضه وشماسه كابن المقفع حين استفرض السجان
واستوجب الامن والامان فلو نقب من منافس قتوقه ومناخ جلده
وعروقه لاستنصح حيلا تعجز له صباغ وصواغ وثعلب من الوحوش
رواغ ومازال هذا المذكور يحلف به السرج والكون الى ان قدم شمس
الكفاه وزير السلطان معين الدوله وامين الملة مرو الروذ سنه ثلث عشره
واربعمايه مستوفيا على العمال بقايا الارتفاعات والاموال فجنح اليه
لايذا بحقه وعايذا بواقيه الحرام وراقيه الانام من شرفه ومقررا
حاله في الظلم الذي ضرسه بخديه ومعسه معس المحاح غايب
يعيره وموطيا لسانه فراش التقيه طاعة لله في لزوم الاحترام
وصيانه العرض من وشوم المذام الى ان حشرت مطالبه العمال ايام
الى مثواه من باب ولى نعمته ومولاه فكم ضرع اليه فما نفع وخشع فما
نجع وتلطف فما اقصر واستعطف فما سمع ولا ابصر حتى اذا عارضه

٢٢٢ الردّ بحي به وظلمه البايس من وراقابه باح على شمس الكفاه بعض
تلك المخاريق وصب له مجرعا من الوان تلك الاباريق واشعره ان
صنيعته لا ينجم منه الا حجرا الا باديه مخافنا لمساويه مواليا
لاعاديه مخالفا لكريه الحفاظ في مواليه براهين كما سطع الصباح
السافر او متع النهار الحاشر مفرطه بصحايح الاقوال مشتقه بفضايح
الافعال فلولا دم غذي بلبانه وعجن على مسكه ورابه لرجمه
رجم العفريت وضربه بالنفط والكبريت لكنه راى ان يضم عليه
طرفي بساطه ويستبقي مختوم سره من جوره ورباطه تقديما لشفاعه
المشيب وتفويضا الى ما وراه من الاجل القريب واقناعا لمن سمع
او نظر وروى او خبر بما تناهبه الافاق من درشح معايبه احداث
ولومه مكتسب وفضله ميراث ولما تسامع اهل عمله بما ركد من
ريحه وظهر من رغوه صريحه تبادروا الى مفصل ظلاماتهم صارخين
كما ينعق في الحومات الاعداد جمهور في السعب جميع البلاد واختلفوا
في المظالم فمن قايل هتك حرمته واخر اسهلك نعمته وثالث
انهبت ثلته ورابع طلقت عليه ظلته وخامس قتل على التعصب

اخوه او ابوه وسادس حدرت على المعروف بسربه وقص فوه فمنهم
من وصل فسعد بالانصاف ومنهم من حذر فسقى على ما مس
الانصراف ورای شمس الخفا ان يسلكه شعب المجامله فطمر بصرفه
على نبايث مساويه وصد عن مسامع السلطان خبايث افعاله ودواهيه
واصم بذا النظلم عن شريف ناديه فعاد المذكور وراه مخذولا معلولا
واراد الله ان يقضى فيه امرا كان مفعولا ولما راى ان قد نجحت عليه
افعاله وضحك منه حيله وادغاله وان الالسن قد مضغته حين
اطاع عبدا مملوكا في معصيه خالقه ووصل شهوه الفجور في قطيعه
ولده وعم الطلال صنيعته نخاب لخونته وثب به وثوب الثاير الموتور
والجاش المسعور يرجع ما خلاه على الفسوق ووفى من ثمن الاستدلال
لسلعه ذلك السوق ورای ان صنيعه ذلك يحميه سهام الالام
ويقيه نبال الالسن اللوامه واسترد ما نحله من صداق ورجع
عليه بقيه ما اشرته من مجاحه اشداق وعراه عما اعطاه
بعد ما عراه واستطاه وبطحه للسياط بعد ان بطحه لبطى اللواط
مبتلا منه جرده طال ما اقتصها سفره وكنسها بعارضيه وقذالها

بفسه وابويه ودفن عليها احد ولديه هذا والله الجود لا ما نقى
عن حاتم العرب وروى عن سادات بنى عبد المطلب فلحا الله من
رضى بها لنفسه سيره وخباها على نايبات الاحقاب كنزا وذخيره
انه وذات الاستتار سطر مكه ارذل من والغ في جيفه مقلوب واذل
من طامع في شريطه مصلوب ان كان اتاه استقاما فهلا ذاك والولد
حی وفی الوالد من ملك الجنان شي الان وقد سبق السيف العذل
وقد فعل القضا ما فعل اورد اوقد نضب الما وشيما وقد اصحت السما
وعبره وقد سقط الجدار وستره وقد ظهر السوار هيهات هيهات
لطرح امل وراى فايل وظل زايل ورد ما سايل

ايتها النفس اجملي جزعا ان الذي تحذرين قد وقعا
واحتال مفترش لذته ومعتصر شهوته للانقطاع الى بعض كبرا
الامرآء فقبله واواه وانتزعه من قبضته مولاه مراغمه لوته بنار
اضغانه وسوته على جراره غموسه واشجانه فلا حميم ولا قريب
ولا ولي ولا حبيب ولا والد ولا مولود ولا عابد ولا معبود واما
الشرع وطريقه والدين وحقيقه فحي هلا به ان وضوح هذه

الخلال وتشرحها وتبلغ لسان المقال بعضها عن ان التقرب
الى الرسول المصطفى الابطحي المجتبى صلى الله عليه وعلى اله وسلم
بقوله اذكروا الفاسق بما فيه بعض البنية على مخاربه تلخيصا
لحقا باخره وخباياه وتشكيلا لاصناع خبثه وزواياه ليعلم
الافاضل انى جاورته على البريد قريبا من سنتين فلا والله ان
تصفقت الاحداقه في المسجد الجامع للفرض الا يوما واحدا
ببيضه العقر لقصه البكر فما ادرى اخطاه خطاه ام الجاه عذر
تخوفت عقباه وتجاريت حديث الصلوه فقال مازحا وما صدقك
الا مازح او سكران قام بعضهم وهو يسعى يوم جمعه للفرض وقد
نودي للصلوه فقال له صاحبه مكانك ان اربعه من خبز السوق
لخير من ابنى من عمل السوق وقد كان من طريق التجوز مساغ للتاويل
على وجه التملح ولكن من هذا قيله وترك الاسلام العبادات سبيله
فلا عيد يعتاد ولا فرض لما يقتضيه العباد بحال به غير النفس بالالحاد
وتلقى اوامر الشرع بالعناد واطن قول الغلام للواصف لمولاه
انه يلعب في الشتم ويلحن في الاعراب ويصلي من قعود ويملك من قيام

يحي الى صوره حاله ويأوي الى مقصوره خبثه وضلاله فجل احواله
عيوب ومعظم افعاله ذنوب

٢٤٦

يصلي بحفض اردانه ويسهو فيصب سيقانه
يخاطب بالكاف اخوانه ويشتم بالراء غلمانه
ويكفت للشر اكمامه ويسحب للاثم اردانه

ومن نادره البلد اعتقاده مذهب الاعتزال على وعيد الابد ثم
لا يتقي محظورا او محجورا ولا يستبقي عملا موزورا ومنكرا من القول
وزورا هاهو طمع مستهدي في مال رجل كان انقطع اليه منذ زمان
بامان فاغرى به رهبا له لغضب من الامين مبايس بعله تنكر كان يامه
اذ هو رضيع وعلى جداله الضيع صبيع ولقنه استعدا الامير
الاجل ابي سعيد مسعود بن نصر الدوله وامين المله بعلمه وتنجز
الامير في معنى الاستعطاف اليه فتنبه ذلك الامير الالمعي السيد
اللوذعي على باطن كيده وباطن حيله في صيده فامر الحاجب
التي في تعرف الحال وتجنب جانب الاحتيال والاستلاب لاجل
الساعي على خصمه واشاعه حكم الله في امره فلما احس اخوه له انه بالمحاله

ان حدسه فذفاك وظنته قد استحال وسعيه الى الثبور وقد مال منع
شهود الزور ان يصدعوا بالحق بما بذلوه من حظوظهم وعبادتهم بها
فمرضوا القول وادعوا على مسلمهم القول ومال المزور المزور [illegible]
الى التوسط عن رشى المستباح دمها على ما اتى به فيهم ما حسبه خبر
فلم تبدرا به بحمله وبعثان ديات الامهات على هذين العقدين فما في
الاسلام لهذه معلوم ولا في الفقه باب مرقوم ولا عند اهل الكتاب
امر مختوم ولا في ديار الشرك رسم مرسوم ولا في فطر النفوس ان نبر الحر
امهاتها مقتولة بهذا الوكس والثمن البخس ولا الخنازير او القرد لو
لطفن يرضى عن واسعافها بمثله ذلكم قد قلت واقول انها ليست
ديه موذيه او وديه بل هي ديه نسمه مسلمة قد حقن الله دمها الا
بحقها بلت بشعائر رسول رب العالمين صلى الله عليه وعلى آله
اجمعين فهل يستجيز الترخص في هذه الاحكام الا المستوفي بدين
الاسلام اما ان المحكوم عليه لم يلتزم الا بعقده يوم تابيه
وهيئة فهاك المفجوع المخدوع بالله لا رضيت بهذا الغبن ولا
شربت الدم الحرام بالابن وهم بالرحيل في اسر القتيل فلم يغتيل فلم

يدا هلته النار ام شربه الماء والتقطه الارض او اختطفته السماء
فسبهما من دمين ذهبا هدرا وتخصص بقدا عيله وسحرا [illegible]
والله الدين السليم والعقد المحكم والامر القويم والسمت المستقيم
والمبالاة بما اوراه الجحيم وبما بين يديه ادام الله عز المشايخ فصوحا
وبقية هذه المقدمات وضوحا ما كانت الاخبار تنتما هدية من
استحلاله عند الاشفاق من لواحق جناياته على سلطان زمانه ورعايا
عمله وسكانه بجنس ما نسب اليه من ضياع وعقار وبلاغ ودار لشاهب
ذكره الاسماع وتقاصر دونه الاطماع حتى اذا خلا جوه واستقام
على انقطاع المراشد شدوه ندم على ما فعل ورجع فيما بذل وفصل
بالتسمح لما اجمل فكان هذا البلاغ تقرب بانه من الاسلان وسعيه اجرى
حتى انقضى شخص العيان عن الخبر ونابت شمس البيان عن القمر وذلك
حين بعث السلطان يمين الدولة وامين الملة قاضي قضاته ابا محمد عبد الله
بن محمد الناصحي الى ديار خراسان لتدارك امور الاوقاف وانتزاع
ما اقتسمه ايدي التسلط والاختطاف فرفع اليه خليفة دار [illegible]
جنايته والى حقائق ما يرده ويضعه ناظرا ما يقرر عنده من احتجاجه

ما تقلب بمائة الف دينار عينا او قاف وضع عليها اسم الملك
وسومها التغلب والتحجر عاما فيها افواه ادبابها دون السطلم
دونه رقاق التراب وشيد عنده رواق الرقاب حتى درج عليها
قرن بعد قرن اسين عن الاستصاف وخلف من بعدهم خلف
فانعين من دونه بالخلاف فاوحى اليه ان قام الاستقصاء على حكم
امانة القضاء فقام فيه وقعد وابرق وارعد واشرع ما عظم
من حيث انصرابه وجد به الافصاح ان يعرض لمراسه وكان
قصاراه ان يسكت وخشي اسوة امثاله العنت واحضر الرجل طول اعيت
الشهود وعفاريت الفسوق والمرود وعقد بشهدهم وعلى شهادتهم
وثائق بوقفه كل ما ملك واطلاقه على وجه الله جميع ما امسك
ترى بما فعل ان القسيم بما تحت يده من قليل وكثير وزهيد وعظيم
براى شن الطمع في مال لغيره موقوف وعرض الى وجوه القربات مصروف
فلم تتراخ الامد على هذا العقد الوثيق والحد لان المنية بالوثيق
حتى واللي وهو ينتلوا الوزير شمس الدولة دستاعه ابا طيل
السعاة ما هو الا ان اجل عقود املاكي هذه على طرفة الى

العراق يا لخراسان واهلها وقاليا قران الميلاد ومبادئه ٢٤٩
الطارف والتلاد مستوعا فعلت انا لله وانا اليه راجعون من شيخ
هذه نقيته وما لفظ به على وجه الاستحلال وغيظ العجز اهلاك
الرجال بقيمته هذا ومن فضل سماحته واساحته فيض راحته
ان كل من ساكنه في بلدته على عمل يليه او مال يجبيه كاله ما شاء
جزافا ووزنه تبذيرا واسرافا استحقاقا لانها ذاتهم بجوده وتحرقه
حذر الحرام بموجوده حتى اذا قضى الوطر منهم وسلك بسطه
الاستعفاء عنهم تبع عليهم صبابات القدور وخلى لامال لتعود دوما مات ١
الاطراف وصولجانات الاصواف وجعل المطعوم في زنة الذهب المصون
والمشروب في قيمة الجوهر المخزون والدرهم الواحد قنطارا او حمر شا
في دواوين الشرف قطارا سعاية من خبثت ارومته ورسخت على
دمنة اللوم جرثومته فيصدر عنه العامل او المجاور
مغبونا مدة مقامه موضوعا في شرابه وطعامه مفجوعا بما
اقتناه غابرا ايامه مخلوعا عن شهادة ختمت صحيفة اعماله ايامه
قد حصف على فحيه تكلي يديه يباري في عدوه الشليل

وينادي لبيك اللهم لبيك وليست هذه من آثاره بأعجب من كمون
لحبانه وسدول الاستار دون اسراره وقصور الانتقام من
معقد ازراره غير ان لكل شي امدا وابى الله ان يفلح الظالم
ابدا الا ان المال لعذر المال ويحقن الدما ويجمع الاهوا ويدفع العصا
ويستر العوار والعورا ولقد بالغ ابو الفتح البستي حيث يقول

اشفق على الدرهم والعين تسلم من العين والدين
فقوة العين بانسانها وقوة الانسان بالعين

غير ان المال متى سلب الجمال واورث القيل والقال وبال ولا التين
مطلوبا والذنب مكتوبا والانف مجدوعا والبنان مقطوعا فقبح
الله الاعراض متى دنست الاعراض والاموال متى لطخت السربال
والاملاك متى اعقبت الاوراك والجراب متى ابدت المعايب فاما فوائده
ومطامعه تخددها الكم باسنادها انفحت الاصابع واسقت
الكعوب القوارع انه يغدو امع صفير العصافير على الطعم يرنو
عليها حشاه كاحشاء الذئب جرابا وانقل الرماض كعابا
ثم هو الان يذرذر الشمس في صلايات الجدران حتى كان

اولاد البقر يلحس فؤاده وكان الظليم يدعى فيه ميلاده فيغد ى
بالفول سفه وقتاده وبملجانسه من عمل السوق شهوة وارادة ٢٤٩
حتى اذا طفح الدلو لمن متح وقبض الكف على قرم لا يطير د اجنحه
ولا يمشي دون الجذب مجانبه فاذا انتصف النهار اولاد والتحف
الجربا الاكادر بطعام اليوم وهو المتلف في ما تقيم به الصلف
فاحتشى من كل حلو وحامض وامتلا من كل بكر وفارض حتى يخشى عليه
في الصفاق من الانشقاق وفي العروق من الفتوق فيظل باقي النهار
يشكو خوا امعا معاويه وخلا خابيه خاويه حتى اذا انجحب الاسبل
وهجم الطفل على الليل بالتطفيل لعمد عليه الطبايخ والغروب
وحشر عليه القواطف والقروف ثم يولي المتيه بلفايف
كالاضابير مطويه والطوامير محسوم ومسحه وربما يعار في بعض
ساعات الليل فنادي الجوع وملاقي الطمام بالقنوع فحاص عليه
بحاله الوقت من مستودعات البواسق ومطحنات الطيور
والغرانق فيهجد عليها من غير قيام ويتسحر منها لغير صيام
لا شركه فيه غير الملائكة حاضره والكواكب من محاجر الظلم ناظره

فما الارض وهي الغايه في الانقسام والانبهام ولا النقص وهو
النهايه في الاستسفاف والارتشاف ابلغ منه لولا فنا زاده ولا
باجع لولا قصا نفاده ومن نادره امره في المعاقره انه كتب يوما
في التنقل من الصبوح الى الغبوق والتهجير بين الغبوق والفسوق
فان نشط للتشمر بثوا اسقاعد الاكفاف حتى تعود ساقنا الاخفاف
مهادي من انس حرسا في جلده شيطان وحيفه في صوره افعوان
قد نتج منهما نتوج الفحل للرماك بل صنيع الذاهبين بالضحاك وربما بقي
في التمارض سنه واكثر شفقا من تكلف الخدمه لولي النعمه
وتجشم المسير الى باب الوزير فيرشوا على التعالل مالا ويجلو وجوه
الاطبا واصحاب الاتهام تخففا وبدو الانتقالا وليس
هذا الاحتيال باغرب من احالته الزمانه على امتناع الطماع وشموس
النفوس دون الاصغا اليها فضلا عن القرار عليها فسبحان
من خلق النفوس اطوارا وجعل من الهمم انجادا واغوارا هذه من
اعيان مسايل هذا الفاضل العاطل ولو سردت امثالها لطال
الكلام وعال الابرام وورا ها من دقايق الظلم المذموم

والثقل المكتوم وثقل الحسيوم والذل المبلول بلعاب اللوم
٢٥٠ مايربى على دقايق الابراج واجل جواهر الامشاج والصغائر على
الاصرار كبائر ولهذا رغب الشعوب على الايام مغاير ولقد احسن ابن
المعتز حيث يقول

خل الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقى
لا تحقرن صغيرة ان الجبال من الحصى

ومما اقصى التنبيه على معايب المذكور ومعايبه والقلى على
شمط عقاصه وذوائبه مقابلته صنايع لي عنده ايام السامان
وبعدها في حق قضيته وعهد رعيته وسر خفيته وشغل
كفيته وبراو ليته بازكا شغفي لمودته وجمعتني وولده المعتبط
ابا المظفر رحمه الله بعداوه لم ترج لعظم سيلها صفا ولا لبهيم
ليلها انقضا وذلك ان شمس الكفاه ندبني لمجاورته وتقمن لي
خيرا من معاشرته مرافاه على خدمتي دوله السلطان يمين الدوله
باليميني في شرح اخباره ومدح مقاماته في بهديه وانصاره
فما زال يسري اليه عني نميم كقطار ديه ووقيعه كسراب بقيعه

على غفلتي دون ما نصبه من شرك ونسجه من معترك تمويها له
انّ الحقه كافرًا وعن فرض محبته نافرًا الى مرموق بعين الاهانة
في استحقاق صدب الوثانة ما بلى وفى شعب الاختصاص به
الا انقطاع اليه اسباب اكذوبة لم يخلق الله ابارنا ولا ادنيا ولم
يضرب لها ودًّا ولا طنبا ودمنة لم يهتد دمنة لسوء حوافرها وصموف
كلاها واباهرها حتى هاجه على كالليث موتورا والنمر محرجًا
ومضرورًا فكم كدحت حتى استنزلته عن حرانه وشماس جهدت
حتى نجوت منه راسا براس وطفقت انشد وقد فارقته سالمًا انشد

اذا نحن ابنا سالمين بانفس كرام رجت امرًا فخاب رجاؤها
فانفسنا خير الغنيمة انها تؤوب وفيها ماؤها وحياؤها

واغرى بي يد الملك تميم الدولة في عظيمة لولا ان الهمه
الله الاناة واشعره الحصاة فنقر ونقب واستشف اعطاف
البلاغ فعل من جرّب ودرّب لثارت على منه داهية لا تبقي ولا
تذر ولاستطارت عليه عباقيه تثني عليها الشعر والبشر
فمنّ الله تعالى بان فضح الفاضح فيما قدّه وكشف وجهه ولونه واهواه

فيما حضره وحققه بقوى ما ضمره وجعله عبرة العابرين لشرح
هذه الاحوال فمن تصفح هذه الفصول فليحمد الله على السلامه
من مثلها والبراه من فوادح الاوزار وقوادح الناس بها وليعلم
ان الانسان نصيبا على الايام عتبا ثقيله وعيا وبيلا وخطبا جليلا
ولسانا كالحسام صقيلا وقبح الله من نقص عمره على زيادة الايام
ومساواة الانام وحيازة الملام ويرحم الله عبدًا قال امين

تم الكتاب ———— بحمد الله ومنه

وفرغ من نسخه في غرة شهر رمضان المبارك من شهور
سنه سبع وستمايه والحمد لله رب العالمين
وصلواته على سيد البشر محمد المصطفى وعلى اله

صاحبه [illegible] محمد [illegible] الخطيب [illegible]

[illegible] في سنة [illegible]

[illegible] الكتاب [illegible]

[illegible]